مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية

دراسات بيئية فى المجتمع المصرى

تأليف

دكتورة نجوى عبدالحميد سعدالله

كلية الآداب - جامعة حلوان

الطبعة الأولى

٢٠٠٢

مركز البحوث والدراسات الاجتماعية
كلية الآداب - جامعة القاهرة
١ ش الشهيد عبدالهادى صلاح - الرماحة سابقاً - الجيزة
ت: ٣٣٨٥٣٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

"كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ ولا تَعْثَوْا فِى الأَرْضِ مُفْسِدِينَ"

صـــدق الله العظيـــم

(سورة البقرة: الآية ٦٠)

فهرس المحتويات

تقـــديـــم

بقلــم

الدكتور محمد الجوهرى

صاحبت الابنة والأخت الصغرى الدكتورة نجـــوى عبدالحميـد سـعدالله طـوال رحلتها العلمية على امتداد نحو ثلاثين عاما من خلال تلمذتها على يـد علياء شكرى فى كلية البنات جامعة عين شمس، تلمذة امتدت من بداية مرحلـة الليسانس، حتى حصولها - تحت إشرافها - على درجة الماجستير والدكتـوراه. وقد لمست فيها دأبا على تحصيل العلم، واجتهادا فى تنفيذ كل ما يتوجب عليـها أداؤه من مهام ومسئوليات، وفطرة خيرة مطبوعة على حـب الحيـاة والنـاس والإيمان الراسخ السمح الذى لا يتزعزع ولا يلين فى الحق.

وهذه الفطرة الطيبة السمحة - القوية الوديعة - هى معادلة إنسانية صعبة لا تجدها إلا فى خيار أبناء أسوان، ليس المدينة فحسب، وإنما الإقليم. هـل أقـول ليس فى أهل أسوان فحسب، وإنما فى كل أبناء الصعيد، خيرة أبنـاء مصـر، ومستودع قيمها ومثلها العليا، ومصدر عظمتها وشموخها.

هذا الانتماء الأسوانى الغالى - على نفسى وعلى نفوس كل المصريين - هو الذى لفت انتباهى أول مرة إلى الابنة نجوى. ولذلك لـم استغرب منـها نشاطهـا وحماسها، واجتهادها الذى بلا حدود. وأسعدتنى الظروف أن أشـارك معها جهدها المتميز الذى بذلته فى إعداد رسالتها للماجستير عن: نظام القرابـة عند بعض الجماعات السكانية المتميزة فى منطقة أسوان، التى نالتـها بتقديـر ممتاز فى عام ١٩٨١.

وتابعت نجوى عبدالحميد مسيرتها العلمية فـأنجزت رسـالتها العظيمـة للدكتوراه، فى موضـوع: دراسـة أنثروبولوجيـة مقارنـة لأنمـاط التنشئة الاجتماعيـة فى مجتمع محلى بدوى ومجتمع محلى ريفى فى مصـر، ونـالت عنها درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٨٦. وكانت بمثابـة فتـح لميدان جديد فى ميدان بحثى جديد وعلـى أرض أسـوان الغاليـة علـى كـل المصريين.

ثم تتابعت أنشطة نجوى الأكاديمية في التدريس والبحث وخدمة كليتها وطلابها ومجتمعها: إن فى القاهرة أو فى أسوان. خدمت طلابها بالتدريس المخلص الأمين الجاد، الذى يزرع مع العلم مثلا عليا وقيما نبيلة، وخدمت مجتمعها العظيم - تاج مصر - فى جنوبها بإجراء سلسلة من البحوث بدءاً من رسالتها للماجستير، مروراً بدراستها عن "أبوالحسن الشاذلى - سلف العبابدة المصريين"، وبحثها - المنشور فى هذا الكتاب - عن الطب الشعبى عن قبائل البشارية فى منطقة أسوان. وقدمت إسهامات مهمة فى دراسة بعض المجتمعات النوبية المصرية فى أسوان، إن فى رسالتها للماجستير، أو فى بحثها القيم عن غرب أسوان وكثير غير ذلك. ومازال فى جعبتها الكثير، مما لم يجد بعد طريقه إلى النشر العام، ونأمل له ذلك فى القريب بإذن الله.

فأعمال الدكتورة نجوى عن أبناء قبائل العبابدة والبشارية وعن بعض المجتمعات النوبية تنطق - بلسان العلم والبراهين العلمية - عصرية هذه الجماعات، وتؤكدها، فتقدم بذلك مثالاً يحتذى كيف يستطيع العلم الاجتماعى أن يخدم الوطنية المصرية ويحميها ويؤكدها، ويشد من أزر النسيج الاجتماعى، ويدلل على متانته وقوته، ويكشف عن قدراته الفائقة على اجتياز كل المحن وتجاوز كل الصعاب. ولهذه الأسباب دعوتها للانتقال إلى قسم الاجتماع والأنثروبولوجيا لكى تسهم بهمتها وإخلاصها فى تأسيس كلية الآداب، التى أنشئت خلال العام الأول من رئاستى لجامعة حلوان. ومازالت تواصل العمل بذلك القسم بنفس الحماس ونفس الإخلاص حتى الآن.

إن بحوث نجوى إنما هى تجسيد للدور الوطنى - المتسلح بالخبرة العلمية العريضة - للباحث الأنثروبولوجى. دور يبنى لا يهدم، ويجمع لا يفرق، ويعلى من قيمة الأشياء العالية لا ينقص منها أو يبخسها. دور ينبع من الضمير المصرى المؤمن بصلابة لا ترقى إليها صلابة أحجار الجرانيت فى أسوان.

تحية لنجوى عبدالحميد، وتحية لكل أبناء أسوان، مجد مصر وعزها، وترحيباً وتقديراً لعملها العلمى الذى يمثل شريحة من إسهامها المتميز.

محمد الجوهرى

الفصل الأول

تصور مقترح للتنشئة البيئية للطفل المصري

مقدمة

إننا نعيش الآن في عصر البيئة. لقد حان الوقت أن ينظر الإنسان إلى بيئته ويتفحصها بعين جديدة للتصدي لكلِ جوانب الهدر والتلوث التي تقع عليها. وهنا نقف لنتأمل الموقف ونطرح سؤالا : ما هو السبيل للحفاظ على بيئتنا وحمايتها من التدهور والهدر؟ هل بسن القوانين؟ هل بتدخل العلماء والباحثين بأبحاثهم وجهودهم العلمية؟ أم بإعادة بناء الإنسان المصري وبتثقيفه بيئيا؟ أي بعبارة أكثر تفصيلاً تعليمه للقيم والاتجاهات الإيجابية نحو بيئته، وتوعيته بطبيعة العلاقة التي تربط الإنسان بمحيط البيئة الطبيعية، وهذا بدوره يحتم علينا المحافظة على مصادرها وحسن استغلالها لصالح الإنسان؛ حفاظاً على حياته الكريمة. وتعرف جميع مدخلات هذه العملية بالتنشئة البيئية Environment Socialization.

ولكي نحقق التثقيف البيئي لا بد أن نبدأ بالأطفال؛ باعتبار أن الأطفال اليوم هم آباء وأمهات المستقبل، وهم الذين يتقلدون المناصب الهامة التي تدير دفة المجتمع في المستقبل.

مشكلة البحث

لقد بلغ عدد أطفال مصر في نهاية عام ١٩٩١ دون ست سنوات ما يزيد عن سبعة ملايين طفل، ووصل عدد الأطفال ما بين السادسة والرابعة عشرة إلى حوالي ثلاثة عشر مليون طفل. ومع الزيادة المرتفعة في عدد السكان في مصر، تشير التقديرات إلى أن عدد الأطفال دون ست سنوات سوف يبلغ عام ٢٠٠٥ حوالي عشرة ملايين طفل (حامد عمار، ١٩٩٢، ٨٠)[١].

ومن هنا تتضح أهمية وحجم مسئولية تنشئة الأطفال تنشئة بيئية، وأن هذا الأمر يتطلب من كافة المؤسسات المعنية بتنشئة الطفل في مصر أن تتعاون وتسهم في تنفيد الاستراتيجية المقترحة للتثقيف والتنشئة البيئية. وهنا تتحدد

مشكلة البحث في السؤال الرئيسي: ماهية مشكلة الفساد والتدهور البيئي الذي تتعرض له بيئتنا في هذا العصر؟ ما هي صور التصدي لها من جانب المجتمع الدولي والمحلي؟

ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة التالية:

١- ما هو مفهوم البيئة وبدايات التدهور البيئي وأسبابه؟

٢- ما هو واقع الإجراءات الدولية والمحلية للتصدي للتدهور البيئي؟

٣- ما هي الأبعاد الرئيسية للتصور المقترح للتنشئة البيئية للطفل كمدخل للمواجهة؟

وفي ضوء الطرح السابق يتحدد الهدف من الدراسة، وهو المساعدة على تطوير العمل في مجال تنشئة الطفل المصري والعناية به؛ حتى يمكن تحقيق طموحات مصر المستقبلية بمعايشته للمشكلات البيئة، وتدريبه على المشاركة في حلها؛ نتيجة الوعي البيئي الذي يكتسبه قيما واتجاهات إيجابية نحو بيئته. وذلك انطلاقاً من قناعة مؤداها أن: مصير مصر في الألفية الثالثة يتوقف على الكيفية التي ستعد بها أبناءها تعليمياً وثقافياً للتصدي لكل جوانب التدهور والهدر الذي يقع عليها.

ولقد جاءت معالجتنا لتحقيق الهدف من الدراسة – في إطار ثلاثة محاور – على النحو التالي:

المحور الأول: نموذج الرأسمالية والصناعية وتحول البيئة الطبيعية كمدخل للتدهور، وذلك من خلال تناول مفهوم البيئة – بدايات التدهور البيئي – البيئة الطبيعية باعتبارها مجموعة من النظم – الرأسمالية والتحولات البيئية – الاشتراكية – الدولة – الصناعية – التدهور البيئي – الحضرية والعولمة والسياسة البيئية.

المحور الثاني: الإجراءات الدولية والمحلية للتصدي لمشاكل التدهور البيئي.

المحور الثالث: التصور المقترح للتنشئة البيئية ينفذ أولاً من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة – الحضانة – وسائل الإعلام)، وثانياً من خلال أجهزة وزارة الثقافة من (كتب الأطفال، المسرح، المتاحف)...إلخ.

كما تعتمد الدراسة المقترحة على الأبعاد الأربعة التالية:

أ- تبسيط المفاهيم البيئية للطفل ب- تعريفه بالنظام البيئي

ح- تعريفه أنواع البيئات د- تعليمه كيفية التفاعل الإيجابي مع بيئته

منهج الدراسة

تنتمي هذه الدراسة إلى نمط الدراسات الاستطلاعية، نظراً لعدم وجود دراسات سابقة في حدود علم الباحثة. وهى تستخدم المنهج الوصفي وذلك من خلال الاطلاع على أدبيات التراث البيئي والسوسيولوجي والأنثروبولوجي؛ بغية التعرف على مفهوم البيئة كنظام طبيعي، وسعياً للتعرف على بدايات ظهور مشكلة التدهور البيئي عالمياً ومحلياً، وما هي الأسباب وراء هذا التدهور البيئي عالمياً؟ والذي انسحب بدوره على البيئة المحلية. هذا بالإضافة إلى استجلاء واقع تنشئة الطفل في مصر والقضايا التي تتناولها، في محاولة لوضع تصور يساعد على تطوير وتوسيع مجالات عملية التنشئة؛ من أجل التفاعل الإيجابي مع البيئة، وإعداد جيل واعٍ ومحافظ على بيئته. فالمنهج الوصفي يتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع، وتحديد الممارسات الشائعة، والتعرف على المعتقدات والاتجاهات. وقد يسعى إلى عمل تنبؤات أكثر دقة (فان دالين - ١٩٧٧ - ٣٧٠) [٢].

الدراسات السابقة

١- مارجريت ميد (بدون سنة نشر)[٣]

استهدفت هذه الدراسة دراسة ظواهر النمو النفسي المختلفة من خلال التركيز على أساليب التربية في جزيرة مانوس، في إطار ثقافي بسيط. وهي واحدة من الدراسات التي تدخل في نطاق الاتجاه الأنثروبولوجي وعلم النفس. وقد ركزت الدراسة على دور الأسرة في التربية، الأولى: للطفل، والطفل وعالم الأرواح، عالم الطفل، نمو الشخصية، الاتجاهات إزاء الجنس. والثانية: الفتاة المراهقة، الشاب المراهق. ثم انتقلت لمناقشة بعض المشكلات التربوية المعاصرة، على ضوء تجربة مانوس مثل: التربية الشخصية، اعتماد الطفل على تراث مجتمعه.

ولقد اعتمدت مارجريت ميد على المنهج الأنثروبولوجي - الإقامة -

الملاحظة - الإخباريين - وتعلمها لغة مجتمع الدراسة - وتحليل وتفسير بياناتها في ضوء التحليل الثقافي.

ولقد ركزت نتائج الدراسة على مرحلتي الطفولة والمراهقة، كما خلصت إلى أن هناك ثلاثة اتجاهات رئيسية تحكم عملية التربية في مرحلتي المهد والطفولة المبكرة والمتأخرة في مانوس. وهي: اتجاه تأكيدهم على حب النظام، وحبهم للممتلكات الخاصة، والتكيف مع البيئة الطبيعية بالرغم من مخاطرها، من خلال الإصرار على الحذر من جانب الوالدين واليقظة بلا هوادة أو تهاون، واتباع أساليب غاية في الصرامة.

٢- حامد عمار ١٩٥١[٤]

كان من أهم أهداف هذه الدراسة إبراز عملية التعليم وتكوين الشخصية وتحديد السلوك ومعاييره في ضوء النمط الثقافي العام للحياة الاجتماعية لقرية " سلوا " في حقبة الخمسينيات من القرن الماضي. فقد حاولت إبراز دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية للطفل من خلال تتبع حياته منذ ولادته، والطفولة المبكرة، وألعاب الأطفال وقصصها ومضمونها ودلالتها، ثم تناولها لمرحلة المراهقة والزواج، وتناولها لدور التعليم الإقليمي والعلاقة بين التربية والتغير الاجتماعي.

اعتمدت الدراسة على ثلاثة مناهج: الأول: المنهج الأنثروبولوجي في دراسته لموضوع الأسرة والعلاقات العائلية ونظام المعيشة في الأسرة الممتدة. والثاني: المنهج التاريخي من خلال الإخباريين؛ للوصول إلى الجذور التاريخية لظواهر خاصة بمجتمع الدراسة. الثالث: المنهج النفسي من أجل توضيح أثر أساليب التنشئة الاجتماعية على الشخصية، إلى جانب الاستعانة بالاختبارات الإسقاطية (رورشاخ). كما استعان الباحث في تحليله وتفسيره للمادة الميدانية بنظرية الثقافة والشخصية.

وتوصلت هذه الدراسة في معالجتها للبناء الاجتماعي للقرية إلى أن هذا البناء يستند على ثلاثة محاور رئيسية، تتداخل فيما بينها لتحديد العلاقات والمسئوليات وتوزيع العمل واتخاذ القرارات. وهذه المحاور هي: القرابة (النسب)، والجنس (النوع)، والسن. كما أكد عمار على دور النسق القرابي في عملية التنشئة الاجتماعية، بمعنى كيف يتدخل الأقارب في الأمور الخاصة بالثواب والعقاب.

أما بالنسبة إلى الجنس، فتؤكد الدراسة على أن هناك حدوداً فاصلة بين عالم الرجل وعالم المرأة. أما محور السن فتشير النتائج إلى أن المجتمع ينقسم إلى ثلاث جماعات متمايزة: الصغار والشباب والكبار. وهذه الجماعات لا تختلط إلا من خلال مراعاة شروط وقواعد الأدب التي يتلقنها الطفل منذ نعومة أظافره.

٣- بالدوين ١٩٦٢ (الدراسة الأولى)(٥)

استهدفت هذه الدراسة إبراز موقف الوالدين تجاه بعض جوانب التنشئة الاجتماعية للريفيين، من خلال التركيز على أطفال المزرعة الملتحقين بمدارس لوا LOWA، خلال الفترة من عام ١٩٢٣- ١٩٢٧. ولتحقيق هذا الهدف استخدم الباحث كلا من الملاحظة - لمتابعة سلوك الأطفال طوال فترة أربع سنوات - ثم المقابلة مع آبائهم للتعر ف على اتجاهاتهم في تنشئة الأبناء.

وجاءت نتائج الدراسة مشيرة إلى:

١- أن موقف الوالدين كان ذا تأثير هام في عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال.

٢- كما كان الآباء الذين يقيمون في مناطق أكثر عزلة ميالين لأن يكونوا محافظين جد ا بشأن تقبل أفكار جديدة من خارج نطاق مجتمعهم المحلي. على عكس استجابات آباء الأطفال الذين يسكنون في مناطق غير منعزلة، من حيث ميلهم النسبي لتقبل أفكار جديدة من خارج نطاقهم المحلي.

كما حاول الباحث أن يجيب عما إذا كان هناك اختلاف في أساليب التنشئة للساكنين في المناطق الزراعية عن أساليب التنشئة للساكنين في مناطق غير زراعية؟. وخلص بالدوين إلى أنه كلما مال المجتمع إلى العزلة، كلما كان أميل للتمسك بأساليب التنشئة التقليدية، وكلما قرب المجتمع من المناطق المتحضرة، كلما كان أميل إلى التأثر ببعض الأفكار الجديدة. كما استطاع الباحث أن يقدم لنا في نهاية دراسته الخصائص الشخصية للطفل في البيئة الزراعية، وهي كما يلي: أن طفل المزرعة يحظى بفرص أقل للاتصال مع الأطفال الآخرين، بسبب ما لديه من الواجبات المنزلية الكثيرة.

٤- أحمد أبوزيد ١٩٧٩(٦)

تميزت هذه الدراسة عما سبقها من دراسات في ميدان التنشئة الاجتماعية

بتخطيطها للمواقف التي ركزت عليها معظم الدراسات (الرضاعة - الفطام - الإخراج - النظافة - الاستقلال). كما جاءت معالجتها بداية من تعرف الاتجاهات الوالدية في تنشئة الأبناء. ولتحقيق الهدف اعتمدت الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي بأدواته: الملاحظة المباشرة، والملاحظة بالمشاركة، والمقابلات، ودراسة الحالة، وتحليل مضمون الكتابات والروايات السابقة عن مصر، ثم تحليل شبكة العلاقات. كما استعانت بالاستمارة والاستبيان؛ لاستكمال بعض النقاط التي تحتاج إلى معلومات كمية. كما ركزت الدراسة على مرحلتي الطفولة والمراهقة.

ولقد شملت هذه الدراسة الأنماط المختلفة للحياة الاجتماعية والإنسان والثقافة، حيث أُجرِيَت دراسة مركزة في عدد من المجتمعات المحلية، بحيث غطت الدراسة كلاً من نمط الحياة الحضرية (القاهرة) والقطاع الريفي (المنوفية والبحيرة والفيوم وسوهاج)، والقطاع الصحراوي (محافظة مرسى مطروح).

وخلصت الدراسة إلى أن تشكيل الشخصية المصرية يتأثر في بعض جوانبه بما يتم من تلقين للطفل من خلال عملية التنشئة الاجتماعية. ومن هذه الجوانب: الدين والقيم الدينية، الانتماء للوطن، التماسك العائلي، القيم المرتبطة بالرجولة والأنوثة.

٥- علياء شكري وآخرون ١٩٨٥(٧)

هدفت هذه الدراسة إلى تناول عملية التنشئة الاجتماعية من حيث مدى انعكاس نمط عمالة الأم (المرأة) على هذه العملية، ومن جهة أخرى تتبع الاختلافات في أساليب التنشئة طبقاً لاختلاف نمط العمالة.

ولتحقيق هذا الهدف اعتمدت الدراسة على المعايشة لمدة عام كامل لحالات البحث، وخلصت إلى أن هناك اختلافاً في أساليب التنشئة الاجتماعية في كافة المراحل التي اهتمت بها الدراسة (ما قبل الولادة - الولادة - الطفولة - المراهقة - ما قبل الزواج)، وهذه الاختلافات تأتي تبعاً للاختلاف في نوع المهنة التي تمارسها المرأة، أو التي تشغلها وحدة المعيشة ومستواها التعليمي.

٦- نجوى عبدالحميد ١٩٨٦(٨)

استهدفت هذه الدراسة مقارنة أنماط التنشئة الاجتماعية في مجتمعين:

أحدهما ريفي، والآخر بدوي. ولتحقيق الهدف استخدمت الباحثة المنهج الأنثروبولوجي، واستعانت في تحليل المادة الميدانية وتفسيرها بالاتجاه النظري التكاملي.

وتوصلت هذه الدراسة إلى تباين أساليب التنشئة الاجتماعية في المجتمع وفقاً لتباين البناء الاجتماعي والاقتصادي والثقافي السائد. فالخصائص المميزة للمجتمع الريفي تمنح عملية التنشئة الاجتماعية طابعاً خاصاً متميزاً عما يسود في المجتمع البدوي.

وتتباين أنماط التنشئة السائدة داخل إطار الثقافة الفرعية البدوية (بدو خلص وبدو متريف) تبعاً لتباين الأصول السلالية ودرجة التمسك بالهوية البدوية. ومن جهة أخرى هناك اتفاق نسبي بين مجتمعات البحث على أن الأسرة (وحدة المعيشة) هي وحدة للعمل والإنتاج. كما كشفت الدراسة الميدانية عن وجود اتفاق نسبي بين مجتمعات البحث في تدرج عملية التنشئة الاجتماعية وفقاً للأسس العلمية (الملاحظة - المصاحبة - المزاملة - التقليد). كما أن هناك فروقاً ريفية وبدوية فيما يخص أساليب التنشئة الدينية.

٧- سهير حسين إبراهيم ١٩٩٠[٩]

استهدفت الدراسة توضيح أثر التحديث والتغيير بكل ما يشتمل عليه من مشروعات اقتصادية وسياحية وخدمات متنوعة على المرأة البدوية (منطقة الحمام)، ومدى انعكاس ذلك على دور المرأة ومكانتها في المجتمع، وعلاقاتها بالأبناء ذكوراً وإناثاً في فترة المراهقة، بالإضافة إلى تناول عملية التنشئة الاجتماعية من منظور دينامي.

ولتحقيق هذا الهدف استخدمت الباحثة المنهج الأنثروبولوجي من المقابلة، والإخباريين لدراسة المجتمع، والمنهج المقارن لتعرف الجوانب الثابتة والمتغيرة في عمليات التنشئة الاجتماعية، وما طرأ على النظم في المجتمع البدوي من تغير. وخلصت هذه الدراسة إلى أن عملية التنشئة هي عملية تعليم وتعلم تقوم على التفاعل الاجتماعي والتعلم المباشر وغير المباشر.

٨- مؤتمر استكهولم ١٩٧٢ والاهتمام بالبيئة[١٠]

يمثل مؤتمر استكهولم نقطة البداية والاهتمام بالدراسات البيئية؛ فقد كان

ضمن توصيات هذا المؤتمر ضرورة الاهتمام بالدراسات البيئية والتربية البيئية، وذلك من خلال وضع مناهج وخطط دراسية عن البيئة ومشاكلها، وتدريسها في جميع المراحل التعليمية. ومنذ ذلك التاريخ تعددت الرسائل الجامعية(*) ما بين ماجستير ودكتوراه في تخصص المناهج وأصول التربية.

نخلص من هذا الاستعراض للدراسات السابقة التي تناولت موضوع التنشئة الاجتماعية عامة، والطفل خاصة، إلى عدم وجود دراسات تعرضت للتنشئة البيئية أو التثقيف البيئي، باستثناء الدراسات في علم المناهج وأصول التربية، وجميعها أخذت الطابع التعليمي في مؤسسات رسمية. أما ما نبتغيه في دراستنا الحالية فهو أن يتم هذا التعليم والتلقين من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية في المجتمع. ولذا سوف تركز دراستنا الحالية على تنفيذ الخطة المقترحة لتنشئة الطفل بيئياً من خلال مؤسسات التنشئة، وهي: الأسرة، الحضانة، وسائل الإعلام (خاصة: التليفزيون)، وأجهزة وزارة الثقافة المعنية بثقافة الطفل (مثلاً: مسرح الطفل - قصص الأطفال - المتاحف).

المحور الأول: نموذج الرأسمالية والصناعة وتحول البيئة الطبيعية

يحاول هذا المحور إلقاء الضوء على قضية الفساد والتدهور البيئي التي تجاوزت حدود غض البصر، وبات الحديث عنها في الآونة الأخيرة هو الشغل الشاغل لجميع البشر باختلاف أجناسهم وعقائدهم وانتماءاتهم الأيدولوجية، سواء في الدول المتقدمة أو النامية. فنحن جميعاً نعيش في عالم واحد، وأصبحت عناصر البيئة من ماء وهواء ويابس وما عليها من أحياء أصبحت رهينة التقدم البشري النهم، وأسيرة الأنانية المفرطة، التي تميز بها الإنسان فترة ما من غياب إدراك مختل لعمل القوى الطبيعية وقوانينها، سواء عن عمد أو غير عمد.

(*) نذكر منها على سبيل المثال:
- رسالة دكتوراه - ١٩٨١ - بعنوان "وضع برنامج لتنمية مفاهيم التربية البيئية في مناهج المواد الاجتماعية بالمرحلة الإعدادية في مصر".
- رسالة ماجستير - ١٩٩٠ - بعنوان: "الوعي البيئي لدى طلاب كلية التربية".
- رسالة دكتوراه - ١٩٩٦ - بعنوان: "برنامج مقترح في التربية البيئية لطلاب المعاهد الفنية الصناعية في جمهورية مصر العربية"
- رسالة دكتوراه - ١٩٩٨ - بعنوان: "تأثير برنامج مقترح للتربية البيئية لتنمية الاتجاهات البيئية لطلاب كليات التربية الرياضية"

وعندما أصبحت الكرة الأرضية بكل من عليها في قلق، تعالت أصوات الجميع إلى الحاجة الملحة للبحوث والدراسات العلمية الجادة لحماية البيئة والتصدي لحالات التدهور البيئي التي تفاقمت. ومع بداية عام ١٩٦٩ بدأ الوعي والاهتمام المتزايد في المحافل الدولية والمنظمات العالمية كافة؛ للتصدي لظاهرة التدهور البيئي عامة، والمشاكل التي ترتبت عليها من تلوث وهدر بيئي خاصة (الأمم المتحدة - ١٩٩٢ - ١٣)[١١].

ويتبلور هذا الاهتمام في التحضير لمؤتمر استوكهولم الدولي الذي عقد في عام ١٩٧٢ عن بيئة الإنسان، حيث كانت الدول المتقدمة صناعيا هي أول من شعر بالآثار البيئية الناشئة عن تطبيق بعض التكنولوجيا المتقدمة؛ مما أدى إلى الاعتقاد بأن التنمية الصناعية والزراعية مسئولة عن المشاكل التي أصابت البيئة. (ك.م. ستتك - ١٩٩٠- ٢٧) [١٢].

(١) البيئة كمفهوم

يقال إن أينشتين Einstein عرف البيئة بأنها "كل شيء عداي". وهذا القول المأثور يرمز إلى إحدى الخصائص البيئية المتاحة، فعلى خلاف أي كائن حي آخر فإن الإنسان يستطيع أن يرى العالم الطبيعي كشيء منفصل عنه. كما أوضح توينبي Toynbee أن للإنسان عقلاً سليم التفكير وروحاً عاطفية. وهذا يمكنه من ترتيب الأفكار وتصنيف المشاعر، كما يمكنه أيضاً من الاهتمام بشكل عاطفي بالخلاص والخوف مما يسلمه كميراث لأحفاده.

تعد البيئة كناية عن التناقضات الثابتة في الظروف البشرية، كقوة سيطرة المسئولية، على الرغم من التزامها والسعي نحو التحسين المعالج بحساسية التواضع واحتكار البيئة لتحسين ظروف البقاء، هذا على الرغم من النداء العالمي للتنمية المستدامة وفردية الاستهلاكية والتضامن الاجتماعي للمدينة الدولية. وتوضح هذه النقاط في كتب أتكنسون ١٩٩١ Atkinson - إكرسلي ١٩٩٢ Eckersley- دكنز ١٩٩٢ Dickens - دوبسن Dobson١٩٩٠ - ساش ١٩٩٣ Sachs .

وعبر التاريخ روضت التزايدات الإنسانية بمزيج من الحذر الواقعي والشعور بالذنب المخيف (Eckersley .R. 1992-23)[١٣]. وهناك مزيد من المراجع المتاحة حول هذا الموضوع في سايمونز ١٩٩٣ -١٩٨٩-Simmons.

ولم يسبق لمنطقة التوازن أن كانت بمثل هذا الثبات أو القصور على نقطة واحدة، لم يعد التصادم التقليدي مساحة قتال بين المتطورين والمحافظين، الذي ميز الخلافات البيئية منذ أيام الفيلسوف الطبيعي الأمريكي الكبير جون مور John Muir حينما حارب لحماية وادي Hetch Herely في كاليفورنيا. فالصراع الحقيقي الآن هو إعادة توحيد البشرية مع العالم الطبيعي؛ ليرتد العالم إلى ما وراء أي شيء يمكن للإنسان أن يبذله سيتمكن العالم الطبيعي من إزالة الكثير من متطفليه، وإن كان يعدل تحويلاته التي يسببها الإنسان. وتكمن المأساة في أن الذين سيعانون هم الضحايا وليس القائمون على هذا التحول.

البيئة الآن هي عملية الجمع بين العدالة الاجتماعية والبقاء العالمي، وعملية تكامل الحقوق المدنية مع الحقوق الطبيعية، وعملية ربط كل العلوم مع العمليات السياسية التي تسعى لعمل الديمقراطية بشكل جيد.

يبدأ البشر الآن في إدراك مدى تفرد الحياة على سطح الأرض، وتعد الأنظمة الكونية التي نحن جزء منها اليوم نتاجاً لفرصة لا يمكن تصورها تقريباً. يبدو أن للعمليات البيولوجية والكيميائية والفيزيائية - التي على قدر من التعقيد والتي تعمل على المحافظة على الحياة على سطح الأرض - قدرة هائلة على التنظيم الذاتي مع أي تصميم خارجي واضح.

وأفضل تعبير عن هذه النقطة قام به لفلوك Lovelock ١٩٩٢ في رسالة جايا Gaia Thesis. وتعد العالم الحيوي بشكل مبسط المنطقة التي توجد بها الحياة على سطح الأرض، وتعرف جايا بنظام العمل الذاتي الذي انبثق عن التطور المتلازم للكائنات الحية والعناصر المادية والتدفق الذي يحرك كلاً من الموارد والطاقة في شكل دائري حول العالم. وبمعنى آخر، فإن جايا هي فكرة علمية على قدر كبير من الخصوصية. فهي تستخدم بحثاً علمياً تقليدياً للكشف عن كيفية تفاعل شمولية العمليات الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية؛ للحفاظ على الظروف الضرورية لبقاء كافة أشكال الحياة على سطح الأرض. ولا فناء ولا هدف للجايا، ولا يوجد بها مكان محدد للبشر، ويحفل تاريخ التطور بشكل غير منتظم ببقايا فصائل مفقودة وبعمليات الإزالة الإجمالية للمساكن. وإذا كان لجايا أن تخبرنا بشيء، فإنه حتمية تكيف البشر للبقاء، وأن عملية التعديل

هي جزء من شمولية العمل الذاتي، ولن تقوم الأرض بذلك بالنيابة عنا. (Adam Kuper and Jessica Kuper- 1996 - 250 - 251)[١٤].

(٢) إطلالة على بدايات الهدر والتلوث البيئي

بمطالعتنا لأدبيات التراث الأنثروبولوجي، وبالتحديد الدراسات حول البيئة، بإمكاننا تتبع نتائج التصرف البشري بصفة دقيقة فقط من خلال ذلك النوع من عدم الوعي بالأنظمة السالف ذكرها، فعلى سبيل المثال: قام الاستعمار الإنجليزى الجديد في القرن السابع عشر بتجريد هضاب الغابات من الأشجار للحصول على حطب الوقود ولتوفير مزيد من الأرض الزراعية؛ مما أدى إلى تعدد نتائج مثل هذه العملية. فبالنسبة للخدمات البيئية نلاحظ فقدان خصوبة الأراضي، حيث أدى غياب جذور الأشجار المساعدة علي تماسك التربة في أعلي الهضاب إلى تعرية التربة. كما ارتبط ذلك أيضاً بانخفاض الترسيب والتأثير على جودة التربة المتبقية نتيجة لزيادة أشعة الشمس. وبالحديث عن الموارد فقد أدى انخفاض معدل الغابات الواقية إلى الحد من عدد الأراضي المتاحة للزراعة الهندسية، كما أدى إلى انخفاض عدد الثدييات ذات الفراء والتي تلعب دوراً فعالاً بالنسبة إلى الاقتصاد. علاوة على ما سبق، فقد اتضح أن هناك نقصاً في عدد الغابات المحلية، وتم استخدام مصادر الخشب بمعدل يفوق بشكل كبير قدرتها على تجديد وتعويض ما يفقد منها. وأخيراً فقد كانت تلك الأمور بعيدة الأثر على المجتمع باعتبارها تحويلاً للبيئة الطبيعية (Riordam,1994- 201)[١٥].

(٣) المدينة الحديثة وأشكال التلوث

تعد المدينة الحديثة بوجهيها: وجه يصور سمات التقدم والتطور، ووجه آخر يتضمن أنواع التلوث البيئي. فبينما تبغى المدينة الحديثة السير في طريق تغيير أساليب التصميم والإنشاء، والسعي نحو تفجير الطاقات من أجل البناء والتعمير، وسعى إنسان المدينة الحديثة إلى رصد جميع إمكانياته المادية والعقلية صوب استنباط الوسائل الكفيلة لإنقاذ أرواح ملايين البشر، وتطوير مفاهيم الحياة؛ لتكون أكثر رفاهية، وأعظم يسراً؛ بغية حل مشاكل البشرية، وتقديم كل ما تستطيع من اختراعات؛ وذلك بهدف السعي إلى تحقيق التحضر والتحديث بخطى سريعة. ولكن إذا بكل هذا الذي يبدو أمام أنظارنا وفي

عقولنا أكثر جمالاً ويحقق بدوره حياة أيسر من حياة الأجداد (عبد المحسن - ١٩٨٥ - ٧٠٧-٧١٠) [١٦]، إلا أنه قد ثبت العكس، ولكن بعد فوات الأوان. ذلك أن هناك علاقة سلبية، فكلما تقدمت المدينة، وزاد نشاطها، واتسعت مساحة طموحاتها، وتفجرت طاقاتها، كلما زادت مشاكلنا. فعلى سبيل المثال، أحدث التقدم الصناعي والتكنولوجي الذي ترتب عليه استخدام عديد من وسائل الإنتاج الحديثة في المدن المتقدمة آثاراً بيئية بالغة الخطورة تتمثل في التلوث البيئي الذي جهزه إنسان المدينة الحديثة لنفسه ولغيره من الذين يعيشون بعيداً عن المدن، وأيضاً لتلك المخلوقات التي سخرت للإنسان، فلقد لوث الإنسان هواءه وأرضه وماءه، ثم انتقلت عناصر هذا الهدر إلى جسمه؛ لتتداخل مع جزئيات الحياة في خلاياه وأنسجته، كما تسبب في تغيير العمليات الكيميائية التي تجرى بها حياة المخلوقات والمنظومة البيئية، ومن ثم أصبحت مشكلة التلوث البيئي واحدة من أخطر المشكلات التي تواجه إنسان العصر الحديث، وتكشف عن فشل الجنس البشري في التخطيط لبرامج اجتماعية وسياسية تهدف إلى استفادة أكبر من التكنولوجيا مع تلوث أقل (John Barry.1999.P.21- 23)[١٧].

(٤) مخطط تمهيدي عن النظرية الاجتماعية لأنتوني جيدنز للبيئة

يقع اثنان من أهم المفاهيم التي قامت النظرية الاجتماعية بتطويرها؛ بهدف تعريف وشرح المجتمعات الحديثة في قلب ومركز الجدل الدائر حالياً حول البيئة، والمفهومان هما: الرأسمالية والصناعية، وأيتهما المسئولة عن تدهور البيئة في المجتمع الحديث؟ ولا يتضح رنين ذلك الجدل من خلال الجانب التاريخي؛ وذلك لإعتماد الخطط والسياسات التي ترتكز عليها لإدراك الأزمات الإيكولوجية مسبقاً على كيفية تحليلنا وفحصنا لأصولها.

وتنظر الأحزاب الخضراء في أوربا الغربية إلى الصناعة كمفتاح لفهم وشرح التدهور البيئي في ظل الاقتصاديات الرأسمالية، بالإضافة إلى اشتراكية ما كان يسمى بالاتحاد السوفييتي واشتراكية أوربا الشرقية بعد الحرب. ومن أجل ذلك دعت تلك الأحزاب إلى برامج تطوعية للتخلي عن الصناعية، بينما أرجع الماركسيون الجذور والهيكلية البنائية لذلك التدهور البيئي إلى نموذج الرأسمالية للإنتاج، حيث يتم تقديم الحل في صورة الطريقة المعتادة للاقتصاديات الاشتراكية.

وعلى الرغم من ذلك، فقد فشل الماركسيون في التوصل إلى تفسير مناسب يشرح قدرة اشتراكية الدولة على تحقيق مستويات متعادلة من الفساد البيئي لا تمثل شيئاً بالمقارنة مع إجمالي الإنتاج العام. ويرى خبراء الاقتصاد البيئي الداعون إلى التوجيه الديمقراطي الاجتماعي والتحرري، أن أساس المشكلة هو الرأسمالية وليس ما يتعلق بالأسواق أو الملكية الخاصة لرأس المال. ويمثل عمل جيدنز Giddens نقطة البداية لتفسير تلك التناقضات والآراء المتضادة السالف ذكرها.

وبالرجوع إلى مقالات وكتابات جيدنز يمكننا أن نستخلص نموذجاً مختصراً يخدم معالجتنا لقضية الفساد أو التدهور البيئي. لقد اتسمت كتابات جيدنز Giddens بثلاث مراحل زمنية متداخلة:

أ- المرحلة الأولى

تبدأ مع أوائل السبعينيات من القرن الماضي، تميزت أعماله بمجموعة مقالات يستخدم ضمنها نماذج محورية تعبر عن النظرية الاجتماعية في القرن التاسع عشر مثل: الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة Capitalism Modern Social Theory، والتي احتوت على تحليل مقارن بين ماركس Marx وفيبر Weber ودوركايم Durkheim. فيعترف جيدنز من خلال هذا العمل بالرأسمالية على أنها موضوع الدراسة الأولى للنظرية الاجتماعية، لكنه لم يطالب مطلقاً بإعادة النقاش حتى ولو بسيط للمادية التاريخية. فعلى عكس ذلك، صرح جيدنز بوجوب إلقاء الضوء على كثير من ذلك التراث - وكذلك دوركايم والوظيفية - في حالة مناقشة التطور التاريخي للرأسمالية الغربية وعمليات التغير الكبرى التي مرت بها. وقد أنجز ذلك بالفعل في مؤلفه: "البناء الطبقي للمجتمعات المتقدمة" The class structure of the advanced societies. كما قام جيدنز بإعادة تفسير النماذج المختلفة للبنى الطبقية والصراع في عدة مجتمعات رأسمالية واشتراكية، من خلال تقييم صلاحية أو فعالية النماذج الماركسية للطبقات، ومع ذلك فيختص أهم جزء من الكتاب بتحليل التغيرات التاريخية في البنى الطبقية. فقد انقسمت جميع النماذج الاجتماعية السابقة للرأسمالية إما إلى مجتمعات قبلية لا يتناسب معها التحليل الطبقي، أو إلى مجتمعات طبقية التقسيم. وقد نجحت الرأسمالية فقط في التوافق مع حالة مجتمع الطبقات بشكل ملائم،

وتلك هي الحالة التي كانت محور قوتها وتنظيمها المتفرد.

ب- المرحلة الثانية

أما المرحلة الثانية من أعمال جيدنز فقد بدأت مع نشر كتابه: قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع(*) عام ١٩٧٦، حيث تم التركيز من خلاله على سلسلة متكررة من مشاكل النظرية الاجتماعية كنظرية المعرفة والمنهاجية والعلاقة بين البناء والقوة. وقد قام جيدنز بالفحص النقدي للتراث الوفير المتاح عن علم الاجتماع التفسيري، كما قام بتحليل الشرعية التوظيفية للنظرية الاجتماعية، حيث تم رفض كل من المشاريع المعرفية التفسيرية، سواء الإيجابية أو السلبية الخاصة بالعلوم الطبيعية. كما قام بإعادة النظر تجاه حل بارسونز Parsons لمشكلة النظام. وعلى الرغم من الطلبات الملحة لكتاب "الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة Capitalism modern social theory"، فقد أصبح الركيزة الأساسية في مشروع البحث النامي لجيدنز، وهي بمثابة إحدى المحاولات لإصلاح التوازن بين الفرد والمجتمع أو بين البناء والقوة، ضمن تحليل السلوك الاجتماعي. علاوة على ما سبق، فقد طالب جيدنز برقي الصيغ التحديدية الناجحة في استخراج العامل البشري الواعي من سطور النظرية الاجتماعية، كما طالب أيضاً باسترداد الطبيعة المفيدة والمصممة للسلوك الاجتماعي؛ مما أدى إلى ظهور نظرية جيدنز المسماة بالتشكيل البنائى Structaration. وفي الثمانينيات من القرن الماضي رجع جيدنز إلى الأساس الجوهري للمجتمعات التاريخية الحقيقية، حيث نشر بذلك النظرية الجديدة الداعية للتشكيل البنائى، من خلال مقابلة نقدية مستمرة مع المادية التاريخية.

ج- المرحلة الثالثة

اختصت بتنحية الرأسمالية المتفردة تاريخياً عن كونها الموضوع الأول في النظرية الاجتماعية الحالية، والاستعاضة عنها بالحداثة modernity وتنظيماتها الإنشائية، والتغيرات التي تتعرض لها الحياة اليومية، والهياكل الاجتماعية تحت تأثير المخاطر. كما قام جيدنز بنقد ماركس في عديد من كتاباته

(*) صدرت لهذا الكتاب ترجمة عربية مهمة بعنوان: قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع، أعدها محمد محيى الدين، وراجعها محمد الجوهرى، وصدرت ضمن المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢.

عن المادية التاريخيةContemporary Critique of Historical Materialism، إلى جانب تحدي المعتقدات الرئيسية للمادية التاريخية. ليس هذا فقط، بل قام بتطوير نظرية اجتماعية شاملة وبديلة تعتمد على نفس الأساس.

وإنه لمن الحكمة أن يقوم بتحديد مجال مثل تلك الأعمال الثرية جيدنز في صور أهداف أساسية، هي:

الأول: عارض جيدنز جميع النماذج الإنشائية للتطور الاجتماعي أو التفسير التاريخي. وقد اتضح ذلك من خلال نظريته عن اللاستمرارية، ومن خلال تفسيره للمسارات المتعددة المختلفة والخاصة بالتنمية الاجتماعية.

الثاني: قام برفض أي نظرية باطنية عن التطور الاجتماعي. كما أكد على أهمية العلاقة بين النماذج الاجتماعية المتعددة في مختلف الأزمنة والأمكنة.

الثالث: أثرى عمله السابق عن النماذج الاجتماعية الأصلية بواسطة الأخذ في الاعتبار بعنصري المكان والزمان عند تأسيس البناء الاجتماعي، بالإضافة إلى طبيعة المدن وأهمية الدولة المؤيدة للحكم المطلق أو القومية في صياغة الرأسمالية الغربية. ونتيجة ذلك التحليل، قام برفض التصور التكنولوجي والاقتصادي عند تفسير أصول الرأسمالية وبقائها رفضا تاما.

وينظر جيدنز للحداثة باعتبارها مزجا مميزا لأربعة أنظمة بنائية، هي: (الرأسمالية، الصناعية، المقاطعة، القوة الفكرية). كما أسهم المسار النظري لدى جيدنز بأن جعله يأخذ في الاعتبار الأصول البنائية التاريخية للتدهور البيئي في المجتمعات الحديثة. فالصور الخارجية تؤكد على تأثيرات ارتفاع معدل الاهتمام بالبيئة في الثمانينيات من القرن الماضي على أعمال جيدنز، بالإضافة إلى تأثر الدلالات السياسية الخاصة بالتغيرات البيئية العالمية في تشكيل أحد العناصر الهامة لبرامجه ومخططاته السياسية، ولكن المنطق النظري النامي لأعماله سمح بإبراز مناظرتين هامتين ومترابطتين:

الأولى: تصريح جيدنز بأن المزج بين الرأسمالية والصناعية هو المسئول الأول عن التدهور البيئي الحديث، ثم إعادة تقييم الأصول المسببة للتدهور البيئي عند تحويل دراسته عن الرأسمالية وتوجيهها للحداثة.

الثانية: بالاستناد إلى نظرية اللاستمرارية، فقد صرح جيدنز بإعلان المجتمع

الحديث عن التحول الكامل الإجمالي للطبيعة مهما كانت الأسباب الدقيقة والمعبرة عن التدهور البيئي، ويختلف بذلك المجتمع الحديث عن المجتمعات البشرية السابقة في عدم إمكانها التعبير عن ذلك. (David Goldblatt, 1999, 15-18)[١٨].

(٥) البيئة الطبيعية باعتبارها مجموعة من الأنظمة

يتكون النظام البيئي Ecosystem من عناصر حية وأخرى غير عضوية، مثل مجموعة من النباتات والحيوانات من عصور معينة، بالإضافة إلى الكائنات الدقيقة والتربة والنماذج الجيولوجية والماء والهواء. ولكن تواجد تلك العناصر في صورة ارتباط ديناميكي بين بعضها البعض يخلق هذا النظام، ويلغي فكرة مجرد وجودها كعناصر حية، فمثل تلك العناصر يتم ربطها ببعضها البعض بواسطة شبكات الغذاء والدورات الهيدرولوجية والمعدنية، علاوة على دورة الطاقة. وعموماً توجد تلك العناصر في حالة متغيرة من التدفق، من حيث صعود وهبوط مستويات السكان، وتحرك المفترسين نحو الفريسة، وازدياد وانخفاض أعداد الطفيليات. ويمكن تغير الأنظمة حول نقطة التوازن الديناميكي، من خلال تنوع أساليب الدراسة الإحصائية للسكان، بينما يمكن أن تتعرض أنظمة أخرى لتحولات عميقة عبر العصور، فمثلاً بإمكان الأشجار البطيئة التطور أن تصبح مروجاً خالية من الحرائق، أو تصبح إحدى الغابات عندما تنمو وتزدهر فيها النباتات والحيوانات لها نفس الوضع. كما يمكن أن تتغير قدرة الأنظمة المختلفة على الإبقاء على الصدمات والتغييرات. (Eckersley 1992-23)[١٩].

وقد تتضمن متطلبات المجتمعات التي تفرضها على البيئة مصادر الطاقة الجديدة والمتجددة، بالإضافة إلى بعض المواد الخام من أمثال: الوقود الراجع إلى بقايا الحفريات، بالإضافة إلى بعض المواد الخام. كما تقوم البيئة بإمدادنا بأنظمة جوهرية تمكننا من البقاء على قيد الحياة، مثل الجو الذي يسمح بالتنفس والسيطرة على بعض الأمراض والأوبئة والاستقرار المؤكد للمناخ، فضلاً عن الدورة الهيدرولوجية. وفي النهاية فإن البيئة تقدم بعض الخدمات الاقتصادية للمجتمعات، مثل امتصاص التلوث وخصوبة الأرض.(Eckersley 1992-29)[٢٠].

(٦) الرأسمالية والصناعية والتحويلات البيئية

والسؤال المطروح الآن على الساحات الأكاديمية؛ بهدف تعريف وشـــرح دور المجتمعات الحديثة في قلب ومركز المناظرة البيئية الحالية وموضوعـــها: هل الرأسمالية والصناعية مسئولة عن التدهور البيئي في المجتمع الحديث؟

يمكن القول عموماً أن التراث السوسيولوجي قد كشف الستار عن أن صدى ذلك الجدل لا يتضح من خلال الجانب التـــاريخي؛ وذلـك لاعتمـــاد الخطـط والسياسات التي نعرضها - بغية التعرف مسبقاً على الأزمـــات الإيكولوجيـــة - على كيفية تحليلنا وفحصنا لأصولها. وتنظر الأحزاب الخضراء فـــي أوروبـــا الغربية إلى الصناعية كمفتـــاح لفـــهم التدهـــور البيئـــي وشـــرحه فـــي ظـــل الاقتصاديـــات الرأسمالية، بالإضافة إلى اشتراكية ما كـــان يســـمى بالاتحـــاد السوفييتي واشتراكية أوربا الشرقية بعد الحرب.

ويقول جيدنز: دعت تلك الأحزاب إلى برامج تطوعيـــة للتخلـــي عـــن الصناعية، بينما طالب الماركسيون بتعديل الجذور البنائية لذلك التدهور البيئـــي في ظل النموذج الرأسمالي للإنتاج، حيث يتم تقديم الحل في صـــورة الطريـــق المعتاد للاقتصاديات الاشتراكية. وعلى الرغم من ذلك، فقد فشل الماركسيون في التوصل لتفسير مناسب يشرح قدرة اشتراكية الدولة علـــى تحقيـــق مســـتويات متعادلة من الفساد البيئي لا تمثل شيئاً بالمقارنة مـــع إجمـــالي الإنتـــاج العـــام (Marray Boockchin, 1998)[٢١].

ويرى خبراء الاقتصاد البيئي الداعـــون إلـــى التوجيـــه الديموقراطـــي الاجتماعي والليبرالى أن أساس المشكلة هو الرأسمالية وليس ما يتعلق بالأسواق أو الملكية الخاصة لرأس المال. وعموماً سنجد عبر السطور القادمة أن عمـــل جيدنز يمثل نقطة البداية لتفسير تلك المتناقضات والآراء المتضاربـــة الســـالف ذكرها حول التدهور والتلوث البيئي. (David Goldlatt, 1999, 21)[٢٢].

(٧) اشتراكية الدولة - الصناعية - التدهور البيئي

إن إمعان النظر في قضية التدهور والتلوث البيئي يجعلنـــا لا نتجـــاهل أو نغض الطرف عن المناقشات التي طرحت على الساحة العالميـــة لحســـم هـــذه القضية.

فيشير ديفيد جولدبلات David Goldblatt أنه في أي مرحلة مـــن مراحـــل

الحوار والنقاش لا يمكن أن نتجاهل مناقشات وتقارير جيدنز الخاصة بالتدهور البيئي. ففي كتاب "نتائج التحديث consequences of modernity" قام جيدنز بالتأكيد على اعتبار الصناعية السبب الرئيسي للتدهور البيئي الحالي، ولكنني أعتقد أن بإمكاننا حالياً عدم إلقاء المسئولية كاملة على عاتق الصناعية فقط، مع استثناء المشاكل المتعلقة بالحفريات غير المفيدة واستخدامات الوقود. فعند فحص موقع الصناعية بالسجل البيئي الخاص بالعالم في وقتنا الحاضر، نجد أن جيدنز قد أخطأ بشكل مباشر وبنائي، كما تقمص دور الرأسمالية والدراسات الإحصائية، بالإضافة إلى السياسة، بينما قد ترجع مسئولية الصناعية عن الزيادات الفعلية والكمية في معدل التدهور البيئي إلى عدة أسباب:

- إبرازها لموارد هائلة من الطاقة الطبيعية السهلة.
- صعوبة أنماط الإنتاج الميكانيكي وقوتها التحويلية.
- توليد عناصر خارجية(*) جديرة فعالة وقوية.

من أجل ذلك تقوم الصناعية بتغيير وتحوير الأساليب التي تتفاعل عن طريقها المجتمعات الحديثة بشكل مباشر مع البيئة. ومع ذلك يرتبط تحقيق مثل تلك الظواهر أو جعلها أكثر واقعية بعدة شروط، فلا تعنى القدرة التكنولوجية على التخلص من قطاعات كبيرة من الغابات أو على إهدار خصوبة التربة وقيام الفرد بفعل ذلك بصورة آلية. وربما تقوم الصناعية بالإمداد الكامل بالقدرة على مثل تلك التغييرات، لكن تكمن الحقيقة في حديث أحد المعلقين على التكنولوجيا بأنها " تفتح الأبواب " لذلك فقط لا غير.

وعلى المحور الآخر يعتقد جيدنز أيضاً أن الصناعية لا تعطي تفسيراً واضحاً للقدرة الديناميكية للحداثة، بينما بإمكانها تحديد بعض خصائص للمجتمع الذي تنتشر به (تقسيم العمالة – العلوم التطبيقية...إلخ) بالإضافة إلى قدرتها على تحديد خصائص التدهور البيئي ومستوياته.

ويؤكد " ديفيد جولد بلات " أن أحدث أعمال جيدنز في تلك القضية ما هي إلا خطوة للوراء، حيث تحليله الأول في "العنف والدولة القومية" (The Nation- State and Violence _ pearce,D,W.and

---

(*) يقصد بالعناصر الخارجية externalities تلك التى تؤثر على التكلفة والربح.

(Turnes,1990 - P.253)[٢٣] الذي شرح من خلاله سبب التدهور البيئي المتمثل في الاندماج بين الصناعية والرأسمالية.

وعلى الرغم من ذلك فإنه إذا كانت مسئولية الصناعية عن التدهور البيئي مشروطة، فقد كان جيدنز على حق - فعلا - في حديثه عن التجاذب الاختياري بين تطوير الرأسمالية وظهور الصناعية. فلم يكن ظهور الصناعية ممكناً دون التعرض لأنواع التغييرات العديدة في المجتمع الإنجليزي والتي تسببت فيها الرأسمالية، مثل نقص الموارد والعمالة المتنقلة والثقافة العلمية المتزايدة وما إلى ذلك (John Barry- 1999- 30)[٢٤]

ولكن عند الحديث - بالاستناد إلى المنظور البيئي - نجد أن الصناعية باعتبارها سبباً "بنائياً" لم تمنع الرأسمالية الإنجليزية من إظهار أوجه القصور العضوية، والتي تسبب فيها الدمار البيئي، وبصورة تناقضية تسهم تقنيات الإنتاج الصناعية بدور فعال في زيادة الندرة الاقتصادية الرأسمالية ومعدل النمو العمراني الحضري والسكاني. وبهذه الطريقة تساعد الصناعية على زيادة قدرة الرأسمالية على إنتاج عناصر خارجية Externalities وعلى تجاوز قصور الأنظمة ومحدودية الموارد. فطالما تلعب خصائص الرأسمالية الإنجليزية دورا هاماً في إبراز الصناعية، فمن المؤكد أن يتم تناول الصناعية ذاتها في ظل الاضطراب التراكمي الشديد.

فضلاً عن ذلك لا تزال قضية الاشتراكية والعلوم ظاهرة في الأفق. ويتضمن تحليلي الخاص متطلبات الصناعية مثل تنمية العلوم النظرية، كما يتضمن أهمية تناول البيئة باعتبارها أحد العوامل المؤثرة على مجال ومدى التأثيرات البيئية على المجتمع. ولعلنا مازلنا نزعم أن الصناعية هي السبب البنائي وليس المباشر المسئول عن التدهور البيئي. كما تتضح الآراء التى تؤكد على تواجد صلة ثقافية بين العلوم والاتجاهات النافعة لكل من العالم الاجتماعي والطبيعي. وتعد مثل تلك الاتجاهات بمثابة التمهيد التقديمي للرضا بالتدهور البيئي في المجتمعات الصناعية. ومع ذلك فلا تستحوذ المجتمعات الصناعية فقط على تلك الاتجاهات الآلية التي تمثل بالطبع القاعدة الأساسية التاريخية وليس أحد الجوانب الاستثنائية.

وتنظر قلة من المجتمعات إلى العالم الطبيعي نظرة قاسية وحشية، مثل ما

حدث بالفعل مع أوروبا في الفترة السابقة لظهور الصناعة. وهنا يبقى لدينا سؤال: ما هي العوامل الأخرى التي تجعل الحس الثقافي في المجتمعات الزراعية قريباً من موارد الرزق، وتجعله أيضاً متأثراً بتقلبات التربة والمناخ؟

وعلى المستوى الآخر يؤكد دوبسان Dobsan - كما تعبر ملاحظات جيدنز عن السياسة - فإنه من الأمور المثيرة للدهشة عدم تشييد المجتمعات الرأسمالية للعوائق التي تمثل إحدى العثرات في طريق التوقف عن اهتمام المجتمعات الرأسمالية بكبح هذا الاندفاع في طريق الدمار البيئي، وعدم سيطرة الاتجاهات الآلية الخاصة بالعالم الطبيعي على المجتمعات الصناعية. فعلى النقيض تقوم السياسة البيئية والمجتمعات الصناعية، بالإضافة إلى الثقافات العلمية، بترديد الكلام عن جمال الطبيعة الأخلاقي الفني. وفي الحقيقة يقوم العلماء بوضع ملامح الرواد الثقافيين لكل مرحلة حضارية، تماما مثل هؤلاء الذين يكتبون من منظور نقدي عميق خاص بالعلوم، وتظل هناك صورة قاسية تشوب المناظرات والآراء عن الصناعية.

وعلى المستوى الأكثر رحابة، فإذا اعتبرنا الرأسمالية - اقتصادياً وسياسياً - بمثابة القوة البنائية الرئيسية المسببة للتخريب البيئى في مجال الصناعة، وإذا اعتبرنا الثقافة العلمية بمثابة أحد العوامل الثقافية الغامضة التي تشجع على الصناعية؛ فكيف يمكن لمثل ذلك التحليل إلقاء بعض الضوء على السجل البيئي الخاص بالاقتصاديات الاشتراكية في الفترة ما بين الأربعينيات وحتى الثمانينيات من القرن العشرين.

وهنا يثار سؤال: ما هي الجهات المسئولة في المجتمع عن توجيه النمو الديموجرافي والاقتصادي نحو أحد الاتجاهات إيكولوجياً (Dobson, A.1990, 30-35)[٢٥] ؟

في الحقيقة، قامت اشتراكية الدولة بتحقيق الصناعية ثم توجيهها نحو أحد الاتجاهات الخاصة. وعلى الرغم من سيطرة الملكية العامة بشكل ملحوظ في اقتصاديات الاشتراكية، فقد كان الاهتمام الأساسى موجهاً نحو رفع مستويات الإنتاج المادي. ولم يكن الحافز هنا هو مجرد المصلحة الفردية أو الديناميكيات الخاصة بدور الاستثمار والأرباح، بل كان الاتجاه المنظم سياسياً بهدف التصنيع الاقتصادى. وتتضح الطبيعة الحقيقية للمجتمعات في الفترة التي سبقت ظهور

الصناعة بها من خلال أوجه متعددة، مثـــل الضعــف العســكري والسياســي المقــارن لمثل تلك المجتمعات والفقر البائس الدائم الذي كان نســبياً ومطلقــاً، وشمل الأغلبية العظمى من السكان. ومن أجل ذلك، فقد تم اعتبار النمو بمثابــة المفتاح لمشكلتين سياسيتين محليتين:

أولاهما: إرضاء المتطلبات العامة بتحقيق مستويات أفضـــل مـــن الحيــاة بالمقارنة مع الغرب.

ثانيتهما: تحقيق الأمان من خلال تبنى المستويات الغربية الخاصة بالانتشار العسكري.

ومن جهة أخرى، فقد نجحت تلك الأنظمة الاقتصادية بالفعل في:

- الزيادة الكمية للمنتجات الصناعية ورفع مستواها.
- اقتصار الاستيراد على التجارة البينيـــة بيـــن جمــهوريات الاتحــاد السوفييتي.
- الحفاظ على ارتفاع مستوى الإنتاج الزراعي؛ ليصبح قادراً على كفاية تزايد السكان الحضريين.

ويظل هناك سؤال: ما السبب في فشل الاقتصاد الذي لم تعقه مشاكل الرأســمالية عن كبح جماح نتائج الصناعية التي سبق وأنشأها؟ وتتبلــور الإجابـــة فـــي الاستناد إلى الرأسمالية بوجهيها الاقتصادى والسياسى معـــا (Antony Giddens-1999-51)[٢٦].

٨- دور القوى السياسية والتغيرات الديموجرافية والاقتصادية في التدهـــور البيئي

تشير جميع الشواهد إلى التأكيد على أهمية غياب السيطرة السياســية فـــي اتخاذ القرارات الاقتصادية، فإنه من المتوقع أن اتبـــاع المجتمـــع لمثـــل ذلــك الأسلوب يرجع إلى سعيه وراء تنظيم السياسة الاقتصادية بعيداً عن التـــهديدات البيئية.

ومع ذلك فإنه من الواضح أن متطلبات النمو الاقتصادي والأمان العسكري قد خطفت الأضواء من الحاجة للتقييم والأخذ في الاعتبـــار بالتكـــاليف البيئيـــة

الحالية والمستقبلية، على الرغم من السيطرة السياسة على ميكانيكية التسعير وعلى قرارات الاستثمار، وعلى الرغم من ملكية الدولة للبنية التحتية الصناعية.

ومن جهة أخرى، فدائما ما اعتبرت أنظمة تخطيط الاقتصاديات الاشتراكية الإنتاج بمثابة المعيار الأساسي للنجاح. وبهذه الطريقة فقد اتضح الهدف من تواجد مثل تلك البواعث الاقتصادية الإيجابية، ألا وهو زيادة الإنتاج، مما يفسر طريقة إتاحة الحوافز للإدارة والعاملين. وتحمل تلك البواعث الإيجابية القليلة لزيادة الإنتاج أهمية كبيرة، خاصة مع إبراز عدم كفاءة الأنظمة في تحقيق التوازن بين العرض والطلب، وفي تشجيع الابتكارات في استخدام العمالة بصورة إنتاجية، بالإضافة إلى تأمين الجودة. وعلى نقيض ذلك، فقد انخفضت المطالبة بتقليل التأثيرات البيئية في عملية الإنتاج، وكذلك الاهتمام بتفسير خطط الاستثمار الرأسمالي. فلم تعد السياسة ذات تأثير واضح على الحد من النتائج البيئية للنشاط العسكري. فنمو الجيش السوفييتي والأساس الصناعي الضخم الذي تميز به ونزعته تجاه التخريب البيئي، كل ذلك ساعد على اتساع سيطرة الجيش تماما، مثل السيطرة على الاقتصاد الحضرى.

إن ملكية الدولة للموارد العامة تساعد بشكل فعال على استخدامها بصورة متزايدة، دون أن تؤخذ فى الاعتبار المصالح العامة والمستقبلية. وقد تسبب ذلك في بروز إحدى المشاكل من خلال غياب الإيجارات المناسبة للأراضي التي تستغلها شركات التعدين، فلم تتمكن تلك الشركات من زيادة سعر المنتجات، خاصة مع ازدياد تكاليف الاستخراج. ولهذا فقد كان هناك مسار محدد تتبعه تلك الشركات لاستخراج الموارد حتى الوصول لمرحلة التوافق بين تكاليف ذلك الإنتاج وتكلفة البيع. ولعدم قدرة الشركات على زيادة سعر التكلفة؛ فقد كان من المنطقي اقتصاديا الانتقال من أحد قطاعات التعدين المستخدمة بشكل جزئي إلى قطاع آخر؛ مما أدى إلى تدمير أكبر وأكبر من الأراضي.

يتضح مما سبق أن نظام التسعير فى دنيا الاقتصاد لم يكن يخضع للاعتبارات الصديقة للبيئة، وإنما كان يخضع فى المقام الأول لاعتبارات اقتصاد السوق. وربما تتسبب الأسعار المحددة بشكل روتيني في مشاكل بيئية كبيرة، خاصة مع انفصالها عن حقائق العرض والطلب بالاقتصاد الحقيقي. ومن جهة أخرى فقد أسهمت الإعانات المالية للطاقة الشاملة بأوروبا الشرقية في إنتاج

مستويات غير كفء لاستخدام الموارد. بالإضافة إلى ذلك فقد أدى الفشل في تسعير المواد الخام بشكل تراكمي إلى إعاقة حركة الصناعة بالاتحاد السوفييتي، واستخدامه لأسس ربحية غير اقتصادية؛ نتيجة لعدم سداد تكاليف منتجات الأخشاب الضائعة (Antony Giddens ,1999, 70-73)(٢٧).

ومن ناحية أخرى، يشير أتكنسن Atkinson إلى أنه يجب توجيه اللوم أساساً إلى الأنظمة القانونية والسياسية الخاصة بالمجتمعات الاشتراكية. فمنذ بدء ظهورها (مع أنه كان هناك بالفعل جانب كبير من التشريع السوفييتي يختص بالتلوث والصيانة) لم تتمتع القوانين بنفس القوة والنشاط اللتين اتسمت بهما أهداف الإنتاج؛ فقد كانت العوائق القانونية التى تحول دون التعدى على البيئة ضعيفة. أما الغرامات التي كان يتم فرضها على المتسببين في التلوث، فقد كانت أقل من حوافز زيادة الإنتاج؛ مما أدى إلى سهولة تسديد الغرامات من مكافآت الإنتاج المتزايدة. وعلى أية حال، فقد كان يتم تنفيذ التشريعات البيئية بصورة متلكئة وضعيفة فقط من خلال الهيئات المسئولة. ويقودنا هذا الوضع إلى فهم السبب السياسي الرئيسي للمشكلة (Atkinson ,1991,30)(٢٨).

ومن الواضح أنه لم يكن في مصلحة الصفوة السياسية لتلك المجتمعات إثقال الصناعات التي تعتمد عليها للسيطرة على عناصر التكلفة الخارجية دون مراعاة لمصالح الأجيال القادمة. ولذلك قامت تلك المجموعات باتخاذ مثل تلك القرارات الجائرة. وتبرهن بعض الدراسات عن السياسة البيئية للاتحاد السوفييتي على قيام المسئولين السياسيين باتخاذ تلك القرارات البيئية – وليس البيروقراطيون هم الذين قاموا بذلك – بعيداً عن قانون البيئة أو عن إنشاء أية هيئات بيئية.

٩- الحضرية والعولمة والسياسة البيئية: Urbanism ,Globalization and Environmental Politics

خلصنا من تحليلنا السابق إلى إلقاء الضوء على الدور الذي أسهمت به كل من القوى السياسية والتغيرات الديموجرافية الاقتصادية في تسهيل التدهور البيئي وتأخيره. والآن نحاول أن نخطو بهذا التحليل نحو مجال أوسع من خلال اتجاهين، هما:

الأول: البعدان الزمني والمكاني للتدهور البيئي.

الثاني: محاولة الكشف عن الظروف التي تساعد الحركات السياسية على الحد من التدهور البيئي.

ولكي ننجز مثل هذا التحليل يلزم فحص آراء وتحليلات أنتوني جيدنز عن الحضرية والعولمة، التي قدمت تفسيرات مختلفة عن السياسية البيئية. فقد قام جيدنز بالتمييز بين نوعين من أنواع التغيير البيئي:

الأول: التأثير المادي الخاص بـ " تحويل البيئة الطبيعية ".

الثاني: التأثير الثقافي الحضاري للعيش في " بيئة اصطناعية ".

وقد عزا جيدنز سبب تحويل البيئة الطبيعية إلى الدمج بين الرأسمالية والصناعية، إلا أنه عاد وجعل الصناعية هي المسئولة وحدها عن ذلك. وظهر ذلك التحول المفاجئ في وجهة نظر جيدنز من خلال تجربة البيئية الاصطناعية؛ مما يبرهن آراءه التفسيرية المتغيرة عن المدينة والعولمة والسياسة البيئية. ولعل التأكيد الثقافي في مناقشته عن البيئة الاصطناعية قد قاده إلى التقليل من دور النتائج البيئية المادية الخاصة بالمدينة الحديثة، بينما قد قاده التغيير المستمر في آرائه إلى عدم تصديق تفسيراته عن التغييرات الثقافية التي يتم تسجيلها. علاوة على ذلك، فإنني أرى أن تحليله عن المدينة ينأى به عن الوعي المكاني التام بالتدهور البيئي، وقد استعاض عن ذلك بشكل جزئي بتحليلاته عن العولمة. (Globalization, David Goldblatt , 1999, 48-54) [٣٠].

١٠- البيئة الاصطناعية والمدينة والمكان

لقد أبرزت معظم كتابات جيدنز طوال العقد الماضي أهمية الدمج بين التنظيم المكاني للعمليات الاجتماعية والنظرية الاجتماعية، كما كان يؤكد على دور علم الاجتماع الحضري المهم فى إبراز أهمية التنظيم المكاني. وفي الواقع، يقوم جيدنز بالكشف عن البعد المكاني للعمليات الاجتماعية من خلال ربطه بجانبين أساسيين: النتائج المكانية والثقافية للتحويل من الجانب الاجتماعي إلى تكامل الأنظمة، بينما يختص الجانب الثاني بالانقطاع الاجتماعي بين المدينة الحديثة والمدينة في فترة ما قبل التحديث. وهكذا ترتبط العناصر الجغرافية في أعمال جيدنز بشكل وثيق، مع مناقشته التحليلية للتجربة الثقافية الحضارية للمدينة.

١١- المدينة والصناعية والرأسمالية

نخلص من التحليل السابق للأسباب المؤدية للتدهور البيئي أو المساعدة عليه من وجهة نظر جيدنز إلى بزوغ بعض الآراء الجديدة، وهي على النحو التالي:

١- يعزو وجود البيئة الاصطناعية إلى الصناعية؛ بسبب قدرتها على تحويل العالم الطبيعي.

٢- في نطاق البيئة الاصطناعية، يقسم جيدنز تقسيماً مفاهيمياً فرعياً بين البيئة الإنشائية العمرانية والبيئة الاصطناعية اللاعمرانية.

ولعل ذلك الجدل يثير قضيتين هامتين:

الأولى: مدى مسئولية الصناعية أو الرأسمالية أو تأثيرهما معاً على خلق البيئة الاصطناعية الحديثة وعلى القضاء على التراث الحضرى التقليدى.

الثانية: مدى الدور الذي تلعبه المدينة كوسيط في العملية السابقة.

وفي نفس الوقت ينبغي تقديم النتائج المثمرة لتلك المناقشات والتحليلات من خلال تفسير أصول التدهور البيئي وجغرافية الحركات البيئية، على عكس ما قيل سابقاً عن مسئولية الصناعية فقط أو مسئولية الصناعية الرأسمالية الحضرية، باعتبارهما وسيطاً في البيئة الاصطناعية. وقدم جيدنز تفسيراً مقنعاً عن مسئولية الحكومات عن تفكك وانحلال المدن ذات المستويات الطبقية المتعددة، وذلك بفضل القوة التي تتمتع بها. وعلى الرغم من التحذيرات، فإن عمليات دعم الرأسمالية للصناعية كانت بمثابة العوامل المسئولة عن الطبيعة الانعزالية للريف وعن قوة المدن الاصطناعية.

ولا يعني ذلك صحة آراء جيدنز الأولية، ولكن يعني تقديم آراء بديلة معقولة عن أصول البيئة الاصطناعية وعن تحول العلاقة بين المجتمعات والبيئات الطبيعية وعن فناء التقاليد. بالإضافة إلى ذلك، فلم يزل يفسر ما يميز البيئة الاصطناعية للمدن الحديثة عن أي موقع مكاني آخر بداخل الدول الحديثة. وربما يكون ذلك الانهيار الحضري العمراني للمجتمعات متعددة الطبقات في البيئة الاصطناعية للمجتمعات الحديثة بمثابة التحليل الدقيق للبناء الجغرافي لتلك المجتمعات. وفي حالة كونه كذلك، فإننا نستند إلى مزاعم

جيدنز الخاصة بالمدينة العمرانية، وبأهمية علم الاجتماع الحضري وكل قـــوى نقدية فى هذا المضمار.

ومن أفكار جيدنز الأساسية أن المدينة الرأسمالية هـــي الموقـــع الفـــيزيقي الحقيقي للتحويل التام من المكان الطبيعي إلى المكان الاصطناعي، ومـــن هنـــا تظهر أهمية علم الاجتماع الحضري. (الذي يهتم بدراسة العلاقات البشرية داخل البيئة الاصطناعية) (Antony Giddens,1999,52-62) (٣١).

الخلاصة

قدمنا خلال العرض السابق تحليلاً لأربعة جوانب من أعمال جيدنز، وهي:

١- أهمية الإدراك المكاني للعمليات الاجتماعية بشكل عام، والتدهور البيئـــي على وجه الخصوص.

٢- ظروف نشأة الحضرية الحديثة ونتائجها على البيئة.

٣- أسباب عولمة منشآت التحديث ونتائجها على البيئة.

٤- الطريقة التي أدت إلى ظروف نشأة الحضرية الحديثة ونتائجها على البيئة، وأسباب عولمة المنشآت، والتحديث ونتائجه على البيئة أدت إلى مســـاعدة جيدنز على تقديم تفسيرات تفسر أسباب الحركات البيئية.

وهكذا نوجز ما توصل إليه جيدنز على النحو التالي:

• ربط جيدنز بين الجانب العمراني الحضـــري وطبيعـــة التدهـــور البيئـــي الحديث.

• أن الدمج بين الرأسمالية والصناعية في العناصر الأساسية للجانب العمراني قد أسهم بشكل كبير في زيادة حدة تلك المشاكل البيئية، إلى جانب اندماج عـــدة عناصر مثل الكثافة السكانية وندرة ما تبقى من الأنظمة الطبيعية داخل البيئـــة المدنية العمرانية.

• كما فسر جيدنز أسباب ظهور الحركات الاجتماعية للبيئة إلـــى عـــاملين: الأول: تحليله للمدينة العمرانية، وتأكيده على الأهمية البيئية للانعـــزال الثقـــافي والمتطلبات المترتبة على ذلك ولم تتحقق. أما التفسير الثاني فينبع مـــن تحليلـــه للمخاطر والعولمة، كما يؤكد على الأهمية المسببة للمصالح المادية داخل البيئة.

المحور الثانى: الإجراءات الدولية والمحلية للتصدى للتدهور البيئى

جاءت نتائج معظم الدراسات الإمبريقية في مجال علم الاجتماع الحضري؛ لتؤكد أن من ضمن المشاكل البيئية التي تواجه المدينة الحديثة تزايد أعداد السكان المقيمين بها؛ ذلك لارتفاع كفاءة مستوى الخدمات المتوفرة بها، وزيادة تيارات الهجرة الوافدة إليها من المجتمعات المحلية الطاردة. ومن المسلمات الحتمية المترتبة على ظاهرة التزايد السكاني ما يؤذي البيئة من ازدياد النشاط الصناعي والتكنولوجي؛ من أجل زيادة وتنوع مصادر الطاقة المستخدمة، ومن ثم المزيد من النفايات التي تصيب بالتلوث العناصر البيئية الأساسية التي تقوم عليها حياتنا. ثم ينتقل كل ذلك بالضرورة الحتمية إلى أجسامنا، فيترتب عليه ظهور أعراض أمراض جديدة لم يكن أجدادنا يعرفونها في الماضي (عبدالمحسن، ١٩٨٥،٧٨)[٣٢].

ومن أجل تلافي هذه المشكلة والتصدي لها، أخذت المحافل الدولية والمنظمات العالمية خطوات جادة تمثلت في إلزام الدول المتقدمة بأن تتخذ مصانعها وشركاتها الصناعية إجراءات للحد من تلوث وهدر البيئة. غير أن هذه الإجراءات باهظة التكاليف؛ مما جعل بعض الشركات تعمل على زيادة نشاطها في الدول النامية التي لا تفرض مثل هذه الإجراءات. فمثل هذه الشركات تسعى بكل جهد إلى الحصول على أكبر عائد من الربح، بغض النظر عن أثر المنتجات على البشر أو على البيئة. ولكن على المستوى الأكثر تحديداً أخذ الاهتمام بالتصدي للتدهور البيئي باتجاهات متعددة أكثر اتساعاً، ففي ألمانيا – على سبيل المثال – تم تشكيل أحزاب سياسية خاصة لتبني قضية حماية البيئة، كما تضمنت برامج الأمم المتحدة ومنظمات واتحادات دولية المحافظة على البيئة، مثل اليونيب (UNEP) ومقره نيروبي، والاتحاد الدولي للمحافظة على الطبيعة والموارد الطبيعية (UCW) والصندوق الدولي للأحياء البرية (W.W.F) والاتحاد والصندوق مقرهما سويسرا (جهاز شئون البيئة – ٨٧)[٣٣] .

ومع بداية عام ١٩٦٩ بدأت مناقشات مشاكل البيئة بصورة مكثفة في أروقة الأمم المتحدة. ومنذ ذلك التاريخ اعتبر هذا العام البداية الجادة للاهتمام العالمي بالمشاكل البيئية. ثم أعقب ذلك اجتماع ضم قرابة ٢٢٠٠ عالم وباحث؛ لمناقشة نفس الموضوع. وخصص عام ١٩٧١ لتدارس مشاكل البيئة

الإنسانية في مدينة "مونتون" الفرنسية، الذى خلص إلى مجموعة من التوصيات، ضمنوها خطاباً تم إرساله إلى الأمين العام للأمم المتحدة ليعربوا فيه عن موقفهم وآرائهم تجاه المشاكل الخاصة بالتدهور البيئي.

وفى يونيو ١٩٧٢ جرى التحضير لمؤتمر استكهولم للبيئة، الذي استغرق قرابة العامين بإشراف الأمم المتحدة، بدعوة ما يقرب من مائة وثلاثين دولة للحضور. وقد صدر عن هذا المؤتمر عديد من المنشورات والوثائق، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: وثيقة "ليس لنا إلا الأرض" لـ "باربر وارد Barber Word ورينيه دابو Rene Dabaus" (اللجنة العالمية للبيئة والتنمية ١٩٨٧)[٣٤]. كما كشفت المناقشات في هذا المؤتمر الستار عن اختلاف وجهات النظر بين كل من الدول المتقدمة صناعياً، ودول العالم النامي، حول ما يجب أن يسلكه الجنس البشري تجاه البيئة. فقد أجمعت آراء الدول الصناعية على أن يبقى الوضع دون خطط لتلافي مشكلات التدهور البيئي، بالرغم مما يعانونه من مشكلات التلوث الاقتصادى والصحي والاجتماعي. في حين جاءت اتجاهات معظم الدول النامية، بما فى ذلك بعض دول أفريقيا وأمريكا اللاتينية ميالة كل الميل إلى عدم الانزعاج أو اعتبار التدهور البيئي شيئاً خطيراً، ما دام يحقق ارتفاعا في مستوى معيشة أبناء هذه المجتمعات (أحمد الرشيد، وهناء الحسن ١٩٨١ - ٢٢)[٣٥].

إلى جانب ما سبق فقد صدر عن مؤتمر ستوكهولم الإعلان العالمي للبيئة الذي جاء مركزا في معظم توصياته على المسلمات الأساسية لفهم البيئة، ومواجهة المشكلات التي نتجت عن مطالب الإنسان المتزايدة. كما يرجع لهذا الإعلان العالمي الفضل في الدعوة إلى تنمية الوعي العالمي تجاه البيئة ومشكلاتها، وإلى التأكيد على مبدأ التعايش السلمي مع البيئة وعناصرها. أما عن أهم التوصيات التي أسفر عنها هذا المؤتمر، فنذكرها على النحو التالي:

- الدعوة إلى حماية البيئة ورسم سياسة عالمية لها، والتخطيط من أجل إيجاد مسلك عالمي في هذا المجال.
- إنشاء مؤسسات متخصصة لدراسة القضايا البيئية في نطاق الأمم المتحدة (الوثيقة رقم ٨).

ولقد لاقت نتائج وتوصيات مؤتمر استكهولم قبولاً منقطع النظير، تمثل في

زيادة مساحة الاهتمام الدولي، ولفت الانتباه إلى الحاجة الملحة إلى البحوث والدراسات العلمية الجادة لحماية البيئة وللتصدي لمشاكلها المتنوعة. وفى هذا الاتجاه تم عقد عديد من الندوات والمؤتمرات. ففي عام ١٩٧٥، وبالتحديد في الفترة من ١٣- ٢٣ يونيه، عقدت ندوة عالمية في مدينة بلجراد، حدد من خلالها الإطار العالمي لمفهوم التربية البيئية. وبعد عامين من هذه الندوة، - في شهر أكتوبر سنة ١٩٧٧ - تم عقد مؤتمر في مدينة "تبليسي" لمناقشة إطار التربية البيئية، والدعوة إلى خلق وعي وضمير بيئي ينقذ الجنس البشري من تبعات سلوكياته السلبية تجاه البيئة (الطبيعة وعناصرها). وقد خرج هذا المؤتمر بمجموعة من النتائج، هي على النحو التالي:

- أن الاهتمام العالمي بالمشكلات البيئية أصبح ظاهرة ملحة للمجتمع المعاصر، خصوصا بعد ما تأكد أن كثير ا من الأنشطة البشرية على امتداد الكرة الأرضية تسفر عن نتائج ضارة للبيئة يستحيل إغفالها. وملاحظة أن بعض المشكلات التي تنشأ في بيئة معينة، قد تؤثر على الجنس البشري كله. بل إن هناك مشكلات بيئية يمكن تصديرها إلى بيئات أخرى عن طريق شبكة المواصلات والنشاط التجاري.
- أن هناك حاجة ملحة بين شعوب الأرض لأن تلجأ إلى التنمية، فالفقر نفسه أصبح شكلا من أشكال التدهور البيئي. فليس في مقدورنا الآن الفصل بين حماية البيئة والحاجة الملحة إلى التنمية لتوفير الاحتياجات الأساسية لأكثر البلاد فقرا في العالم.

يقتضي حل المشكلات البيئية:

أولا : تحليلها تحليلا دقيقا.

ثانيا: تصنيف أنواع التلف والأخطار التي تتعرض لها البيئة، مع الوضع في الاعتبار، الأضرار التي تقع على الإنسان والإنسانية في المقام الأول. (جامعة الدول العربية، الوثيقة رقم ٨، ١٩٧٨)[٣٦].

أما في العقد الأخير من القرن الماضي، فقد أخذ الاهتمام الدولي بدراسة الأخطار البيئية طابعا مغايرا للمراحل السابقة، حيث إن محاولة النظر إلى مختلف القضايا الحضارية والمتصلة بالسلامة البيئية، تناولت بواقع أكثر شمولية

الأبعاد ذات التأثير المتبادل. (سلوى محمد عبد الفتاح - ١٩٨٨- ٢٣)(٣٧).

ومن هذا المنطلق كان لقضية مصادر المياه الداخلية حظ من الاهتمام الدولي؛ وذلك لما لاقته المياه البحرية الإقليمية من أضرار بالغة؛ نتيجة لتلوثها ببقع الزيت. وقد تبلور هذا الاهتمام بإبرام الاتفاقيات التي قسمت بدورها إلى ثلاثة أنواع رئيسية، هي:

١- اتفاقيات خاصة بمشاكل التلوث ببقع الزيت.
٢- اتفاقيات تمنع نظام دفن المخلفات في البحر.
٣- اتفاقيات تمنع وتنظم أساليب حماية البيئة البحرية.

أما بالنسبة إلى النوع الأول من الاتفاقيات - الخاصة بمنع تلوث البيئة البحرية بالزيت - فقد وقعت اتفاقية في عام ١٩٥٤ باسم الاتفاقية الدولية لمنع تلوث البحر بالزيت، ثم عدلت بعض فقراتها في أعوام ١٩٦٢ - ١٩٦٩- ١٩٧١ على التوالي. وقد جاء في مضمونها التركيز على المعايير الواجب توافرها في السفن ناقلات البترول.

ثم وضعت مواصفات دقيقة لعملية صرف المخلفات المحتوية على الزيت منها، ثم تلا ذلك توقيع اتفاقية بروكسل سنة ١٩٦٩ باسم: الاتفاقية الدولية لأعالي البحار؛ لمنع حدوث تلوث المياه الإقليمية عند حدوث كارثة.

ثم أعقبتها اتفاقية أخرى بشأن التعويضات عن أضرار الإصابة بتلوث الزيت في بروكسل عام ١٩٦٩، وأخرى عقدت في لندن عام ١٩٧٢ باسم: منع تلوث البيئة البحرية بواسطة دفن المخلفات في البحر.

ونخلص من مجموعة الاتفاقيات السابقة الخاصة بموارد المياه البحرية إلى أن هناك نوعين من المخالفات:

النوع الأول: مخلفات يحظر إلقاؤها في البحر تماماً: تتضمن المخلفات التي تحتوي على مركبات الزئبق - الكادميوم - جميع أنواع الزيوت والشحوم والمواد المشعة - المواد المستخدمة لإنتاج الأسلحة الكيميائية والبيولوجية.

النوع الثاني: مخلفات يحتاج إلقاؤها إلى تصريح، وهي: المخلفات التي تحتوي على مركبات الزرنيخ - الرصاص - النحاس - السيانيد - مركبات السليكون والمركبات العضوية.

ولم يقتصر التشريع عند هذ الحد. واكبه وضع قانون في عام ١٩٧٤ بخصوص كيفية استغلال الثروات من أعماق البحار ومن الأرصفة القارية، وفي نفس الوقت المحافظة على البيئة البحرية. كما ساهم برنامج البيئة التابع للأمم المتحدة (U.N.E.P) بوضع عدد من البرامج لدراسة تلوث البحار. وكان من ضمن هذا الجهد إجراء دراسات لكل من البيئة البحرية للبحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي (جامعة الدول العربية - ١٩٧٨، ٦٣-٦٥)(٣٨).

ففي أمريكا صدر قانون سياسة البيئة الأمريكية عام ١٩٦٩ National Environment Policy Act الذي يقضي على الآثار الناجمة عن أي مشروع صناعي قبل منح الترخيص بإقامته. كما أوضح القانون أن للمحاكم سلطة إيقاف العمل بالمشروعات التي تضر بالبيئة. وصدر في اليابان عام ١٩٧٠ قانون لمنع تلوث مصادر المياه، وحصر القانون ٧٤ نوعاً من المخلفات الصناعية. وصدر في بلجيكا عام ١٩٦٩ عدد سبعة وستين قانوناً بالمواصفات الخاصة بالمخلفات الناتجة من مصانع الألبان والأغذية المحفوظة.

والخلاصة:

يسود العالم اتجاه لم يقف عند حد سن التشريعات، بل تجاوزه إلى الجوانب الأخلاقية والجمالية للبيئة؛ حيث أصبح الحفاظ على البيئة وصيانتها يمثل واجباً أخلاقياً وجمالياً. ويمثل هذا الاتجاه امتداداً لما أشار إليه "ألدو ليوبولد" Aldo Leopold في دراساته عن أخلاق الأرض ١٩٤٩ The land Ethic ورولستون Rolston١٩٨٦. ويقصد ليوبولد بالأخلاق تعريفاً إيكولوجياً وفلسفياً. أما التعريف الأول (الإيكولوجي) فيعنى بعض الضوابط التي تحكم حرية الإنسان فى كفاحه من أجل البقاء. وأما التعريف الثاني (الفلسفي) فيعنى التمييز بين المسلك الاجتماعي والمسلك المضاد للمجتمع. وفحوى الاتجاهين وجوب مراعاة الأخلاق والجمال في البيئة. أما إهدار الأخلاق وتشويه الجمال فمعناهما أن تصبح الحياة غير مرغوب فيها. وبعبارة أكثر تفصيلاً ، إن مفهوم أخلاقيات البيئة يعني التأكيد على علاقة التبادل بين الإنسان والبيئة، بمعنى أن يأخذ الإنسان ويعطي، بحيث ننهج أسلوب الصداقة مع بيئتنا، وليس الاستغلال والاستنزاف. (سعيد الحفار، ٧١)(٣٩).

١- الاستراتيجية المستقبلية للحفاظ على البيئة

حرص المجتمع الدولي ومنظماته المختلفة على وضع خطة متكاملة؛ بغية تحقيق التوازن البيئي Ecology Balance، على النحو التالى:

- الحفاظ على العمليات البيئية الحيوية الأساسية التي تتوقف عليها عمليات التنمية، مثل: نظافة الهواء والماء - الحفاظ على العائلات النباتية والحيوانية ذات الطبيعة الخاصة، مثل: (الشعاب المرجانية - الحشائش البحرية - الطيور - الأسماك)، وبناء خصوبة التربة الزراعية - الغطاء الأخضر في الأراضي الصحراوية.
- المحافظة على التراكيب الوراثية المتنوعة التي تقوم عليها العمليات الحيوية - تحسين خصائص الثروة الحيوانية والنباتية للأحياء الدقيقة - الرعاية الصحية وتقديم خدمة بيطرية عالية - تأسيس الصناعات التي تعتمد على موارد إحيائية، وذلك بتوفير بنوك للمورثات للأصناف النباتية والسلالات الحيوانية.
- إقامة شبكة من المراكز الطبيعية لحماية الحياة البرية، خاصة تلك المهددة بالانقراض.
- حماية بيئات الحياة البرية من التدهور نتيجة للملوثات أو الاستغلال الجائر.
- المحافظة على استمرار الاستفادة من النظم البيئية Eco Systems المنتجة، وما تحويه من الأنواع، عن طريق الحفاظ على هذه الأنواع من الانقراض.
- إيقاف التعديات على الأراضي الزراعية، وتنمية ثروة البحيرات من طيور وأسماك.
- المحافظة على المراعي، وتنميتها، وإيقاف الرعي الجائر واقتلاع شجيراتها للوقود.
- تنظيم الاتجار في الحياة البحرية وإيقاف الصيد الجائر. (إبراهيم حلمي عبد الرحمن - ١٩٩٠، ١٣٦ - ١٣٨)[٤٠].
- إصدار قوانين لحماية عناصر البيئة في الدول الصناعية.

٢- مشاكل التدهور البيئي وكيفية التصدي لها في مصر

أصبحت قضية حماية البيئة من التلوث من أبــرز التحديــات الحضاريــة والصحية والاجتماعية لأي مجتمع إنســاني. ويتفــق العلمــاء - باختــلاف تخصصاتهم الأكاديمية - على أنه لا مستقبلٍ لمجتمع من المجتمعــات بــدون بيئــة نظيفة. وعلى المستوى الأكثر شمولاً لا سبيل لتحقيق النمو الاقتصــادى والتنمية المستدامة إلا بواسطة الطاقات البشرية المنتجة، الأمر الــذي يتطلــب توفير بيئة نظيفة خالية من التلــوث. (الجمعيــة المصريــة للجــودة، ١٩٩٩، ٣٠)[٤١].

وترجع جذورِ هذه المشكلة منذ دخلت مصر عصر الصناعة بثقــل كبــير خلال الثلاثين عاماً الماضية من القرن الماضي. حيــث انتشــرت الصناعــات المعدنية والكيماوية والبترولية وغيرها في عديد من مدن ج. م. ع، وتركــزت معظم الصناعات في مناطق حلوان وشبرا الخيمــة وكفــر الزيــات وأســوان والإسكندرية والسويس ونجع حمادي... وغيرها. هذا إلى جانب أعداد السيارات التي تزايدت أربعة أضعاف خلال العشرة أعوام الأخــيرة بالقــاهرة والمــدن الأخرى، فنتج عن ذلك الزيادة الكبيرة في التلوث والصناعات الملوثة، وارتفــاع معدلات حرق القمامة.

ونتج من الحركة الناتجة عن تضخم عدد السكان إلى أربعــة أضعــاف خلال الثلاثين سنة الماضية بالقاهرة أن ازدادت كميات التلوث الجــوي علــى سبيل المثال. فقد وجد أن تركيزِ الأتربة المتساقطة بوسط مدينة القاهرة خــلال فصل الصيف زاد من ٣٥ طناً/ ميل شهرياً إلى حوالي ١٨٠ طناً/ ميل.

وبالرغم من ذلك، تعد مصر من أولى دول العالم الثالث التي تنبهت لأهمية الحفاظ على البيئة، فتضافرت كافة الجهود على جميع المستويات والمنظمــات والهيئات والقطاعات الإنتاجية المختلفة، التي تعتبر قضية التدهــور والتلــوث البيئي هدفاً استراتيجياً يجب أن تكرس له كل الإمكانيات للقضــاء علــى هــذه الظاهرة. فمنذ الستينيات من القرن الماضي فطنت مصر إلى أخذ احتياطياتــها اللازمة للتصدي للتأثيرات المختلفة للنشاط الصناعي، مثل بقيــة دول العــالم، فتمثل ذلك في مستويين: الأول تشريعي ، والثاني تنفيذي. ونفصل ذلك فيما يلى:

المستوى التشريعي

تضمنت القوانين والتشريعات نصوصاً صريحة؛ للحفاظ على البيئة وحماية مختلف أوجه الحياة من آثار الصناعة، والتأكيد على معاقبة كل مخالف لهذه القوانين والتشريعات. ومن هذه القوانين نذكر:

- قانون صرف المخلفات السائلة في شبكات الصرف الصحي والمسطحات المائية رقم ٩٣ لسنة ١٩٦٢، ولائحته التنفيذية بقرار وزير الإسكان رقم ٦٤٩ لسنة ١٩٦٢.
- القرار الجمهوري رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٦١ بإنشاء اللجنة العليا للمياه.
- القانون رقم ٢١ لسنة ١٩٥٢، والقرار الوزاري رقم ٨٦٤ لسنة ١٩٦٩، بإنشاء اللجنة العليا لحماية البيئة من التلوث، والقرار الوزاري رقم ٤٧٠ لسنة ١٩٧١ بالحدود القصوى للكيماويات في أماكن العمل.
- القانون رقم ١٥٢ لسنة ١٩٥٩ الخاص بحماية أماكن العمل، والمعدل في عام ١٩٧٦.
- القانون رقم ٣٨ لسنة ١٩٦٧، والقرار الوزاري رقم ١٣٤ لسنة ١٩٦٨، الخاص بالمخلفات الصلبة. وفي ١٩٨٣ صدر قانون لحماية نهر النيل والمجاري المائية.
- القانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٦٧ بإنشاء اللجنة العليا للمبيدات.
- القانون رقم ٥٩ لسنة ١٩٦١ الخاص بالوقاية من الإشعاعات النووية، ولائحته التنفيذية الصادرة بالقرار الوراري رقم ٧٠ لسنة ١٩٦١.

ولم تقتصر الاستراتيجية المصرية لمواجهة التدهور والتلوث البيئي على الحدود المحلية، بل واكبت المجهودات التى تبذل علىٰ المستوى العالمي. فمنذ انعقاد مؤتمر استوكهولم سنة ١٩٧٨، والمؤتمرات التالية له: مؤتمر ريو دي جانيرو ١٩٩٠، مؤتمر كيوتو باليابان سنة ١٩٩٨، ومؤتمر حماية طبقة الأوزون سنة ١٩٩٨ بالبرازيل؛ وأجراس الخطر تدق معلنة أن تزايد معدلات التلوث واستمرار الاستنزاف للموارد الطبيعية بات يهدد الحياة على كوكب الأرض؛ مما دعا دول العالم ومن بينها مصر لأن تسارع بتناول

القضية بالدراسة والتحليل؛ للوصول للتشخيص الصائب للمشكلة، مع رسم السياسات ووضع الخطط؛ للاستفادة القصوى من الموارد الطبيعية المتاحة، دون الإضرار بالبيئة.

واهتمت الدراسات التي صدرت في هذا المجال بتحديد المفاهيم والطرق الخاصة بأساليب وتقنيات الحد من التلوث، واستخدام أساليب التكنولوجيا النظيفة، التي تولي الأولوية لمنع التلوث من المصدر، يليها أساليب التدوير، ثم التخلص السليم من النفايات، وكذا أساليب ترشيد استخدام الطاقة وخفض معدلات استهلاك المياه والوقود والمواد الخام؛ للحفاظ على الموارد الطبيعية؛ وذلك مسايرة للركب العالمي.

وفى هذا الإطار قامت حكومة مصر باتخاذ عديد من الخطوات والإجراءات التي من أهمها إصدار التشريعات والقوانين المنظمة لقواعد حماية البيئة. وكان من أهم هذه القوانين الصادرة القانون رقم ٤ لسنة ١٩٩٤، المسمى بقانون البيئة المصري، الذى يعد أول قانون صدر شاملاً متكاملاً، يتناول جميع الضوابط لمصادر الهدر وتلوث البيئة. ولما كان تطبيق القانون رقم ٤ لسنة١٩٩٤ له فوائد من حيث حماية البيئة، والحد من التلوث بكافة صوره وأشكاله، والحفاظ على الموارد الطبيعية من الهدر؛ مما يوفر بيئة نظيفة آمنة. (الجمعية المصرية للجودة – ١٩٩٩، ٥٠)[٤٢]، لذلك نعرض لأهم ملامحه فيما يلي:

أهم ملامح قانون حماية البيئة المصري رقم ٤ لسنة ١٩٩٤

صدر هذا القانون في ٢٧ يناير سنة ١٩٩٤، ونص في المادة الأولى منه على:

- على المنشآت القائمة وقت صدور هذا القانون توفيق أوضاعها وفقاً لأحكامه خلال ثلاث سنوات، اعتباراً من تاريخ نشر اللائحة التنفيذية. وأجاز القانون لمجلس الوزراء مد هذه المهلة لمدة لا تتجاوز عامين إذا دعت الضرورة لذلك، وبناء على طلب الوزير المختص لشئون البيئة.
- يتكون القانون رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ من خمسة أبواب، بالإضافة إلى اللائحة التنفيذية التي صدرت في ١٨ يناير سنة ١٩٩٥ والأبواب الخمسة للقانون

تتكون من:

أ- باب تمهيدي يتضمن أربعة فصول: يتضمن الأول أحكاماً عامة، الفصل الثاني عن جهاز شئون البيئة، الفصل الثالث عن صندوق حماية البيئة، الفصل الرابع يتناول الحوافز.

ب- الباب الأول: حماية البيئة الأرضية من التلوث، ويتكون من فصلين: الأول عن التنمية والبيئة، والثاني عن المواد والنفايات الخطرة.

ج- الباب الثاني: وهو عن حماية البيئة الهوائية من التلوث.

د- الباب الثالث: عن حماية البيئة المائية من التلوث، ويتكون من أربعة فصول: الأول يتناول التلوث من السفن، والثاني: يتناول التلوث من المصادر البرية، والثالث: يتناول الشهادات الدولية، والفصل الرابع: عن الإجراءات الإدارية والقضائية.

هـ - الباب الرابع: يتناول العقوبات، بالإضافة إلى الأحكام الختامية (الجمعية المصرية للجودة - ١٩٩٩، ص٨١)[٤٣].

أما على المستوى التطبيقي، فتشير غالبية نتائج الدراسات إلى أن تطبيق هذه القوانين لاقى صعوبات في المجتمع المصري؛ بسبب الاعتقاد الخاطئ بأن أهداف هذه القوانين قد تتعارض مع السرعة المطلوبة لتنفيذ برامج التنمية الاقتصادية؛ مما أدى إلى تفاقم مشاكل الهدر والتلوث بأنواعها في البيئة المصرية.

الثاني: المستوى التنفيذي

تم تشكيل جهاز مركزي لحماية البيئة في مصر عام ١٩٨٠، على أن يقوم هذا الجهاز بالتنسيق مع بقية الجهود التي تبذلها الدولة لحماية البيئة. ثم تلا ذلك صدور قرار في أكتوبر سنة ١٩٨٠ بشأن تشكيل لجنة وزارية برئاسة رئيس مجلس الوزراء وعضوية ٩ وزراء، تقوم برسم سياسة قومية لحماية البيئة وتحسينها والمحافظة عليها، ومراجعة التشريعات المعمول بها بشأن حماية البيئة، إلى جانب التنسيق بين جهود الهيئات المحلية والمركزية، ومتابعة الخبرة والتطورات الدولية، والمحافظة على الطابع الحضاري لمصر.

وبناء على ما تقدم، فقد عنيت بعض الوزارات ذات التعامل المباشر مـــع البيئة ومكوناتها، عناية كبيرة بحماية العاملين من أمراض المـــهن والأمـــراض الصناعية. وكان ذلك على النحو التالي:

- اهتمام وزارة الصحة العمومية بحماية العاملين من الأمـــراض الصناعيـــة، ودراسة تلوث الهواء في مواضع مختلفة، كما تم إنشاء لجنة خاصة لأبحاث المياه وأخرى للوقاية من الإشعاعات النووية.
- إنشاء مركز إمبابة لرصد تلوث الهواء.
- كما قامت وزارة العمل بالاهتمام بجميع شئون الأمن الصنـــاعي وأوضـــاع البيئة داخل مجال العمل، وتنظيم حماية العمال من الآثار الضارة بصحتـــهم داخل بيئة المصنع.
- كما قامت وزارة التربية والتعليم بإدخال بعـــض التعديـــلات فـــي ســـبعة مقـــررات دراسية، بحيث تتناول العناصر البيئية. أما على مستوى التعليـــم الجامعي: فجاءت موافقة المجلس الأعلى للجامعات سنة ١٩٨٠ على إنشـــاء معهد الدراسات البيئية.
- كما ركزت وزارة الري، والوزارات الأخرى، كل جهودها على الاهتمـــــام بتلوث مياه النيل، ومراجعة لوائح المخلفات السائلة في المجـــاري المائيـــة، خاصة وأن نتائج بعض الدراسات المتخصصـــة تشـــير إلـــى أن شـــبكات الصـــرف الصحي لا تتوفر إلا في ١٧ مدينة من بين ١٣٠ مدينـــة علـــى مستوى ج.م.ع. وبناء على ذلك تقوم الوزارة بإعداد خطة طويلـــة الأمـــد؛ بغيـــة حماية نهر النيل والمجاري المائية من التلوث، بحيث يمتـــد تنفيذهـــا قرابة العشر سنوات (إبراهيم حلمى - ١٩٨٣ , ٦١) (٤٤).
- ومع بداية عام ١٩٨٢ أعيد تشكيل اللجنة المركزية للبيئة، بأن ضمت إلـــى عضويتها ١٦ من وكلاء الوزارات المعنية، برئاسة وزير شـــئون مجلـــس الوزراء؛ وذلك لمتابعة واتخاذ ما يلزم تنفيذه، ثم أعقبها تشكيل أمانة فنية من خبراء ملحقين بمكتب رئيس الوزراء؛ من أجل الإعداد لدراســـات اللجنـــة، والعمل على تنفيذ توصياتها بالتعاون مع الهيئات المعنية بالبيئة في جميـــع الوزارات والمصالح، خاصة في أكاديمية البحـــث العلمـــي والتكنولوجيـــا،

والجامعات والمعاهد. وقد ترتب على التنظيمات المركزية زيادة الحـــرص من جانب الهيئات العلمية والصحيـــة والإعلاميـــة علـــى إقامـــة النـــدوات والمؤتمرات الخاصة بالبيئة فـــي مختلـــف نواحيـــها. (إبراهيـــم حلمـــى، ١٩٨٣،٧٠) [٤٥].

أما على المستوى البحث الإمبيريقي، فقد كشفت لنا بعض نتائج الدراســات المتخصصة أن تطبيق القوانين الخاصة بحماية البيئة، وآثار النشاط الصنــاعي، وما يترتب على ذلك من حدوث التلوث بأنواعه (هواء - ماء - تربـــة) مـــازال حبيس الأوراق، ولم يتم الأخذ به لدى معظم المنشآت الصناعية فـــي مصـــر. فنذكر على سبيل المثـــــال لا الحصر أن معظم المصانع بمنطقة حلوان تقـــع على نهر النيل وعلى ترعتي الخشاب والحاجر (عزة أحمـد- ١٩٨٥- ٣) [٤٦]، وجميع المصانع في هذه المنطقة غالباً ما تنتج كميات كبـــيرة مـــن المخلفـــات السائلة، التي تقدر بحوالي ١١٥٠٠٠ متر مكعب / يوم، وبجملة ٣,٣٩ طناً/ يوم من المواد الصلبة تلقي بها في ترعتي الخشاب والحاجر؛ مما يؤدي إلى تلـــوث مياه الري على طول هذه الترعة التي تستخدم مياهها في الري.

وقد كشفت نتائج تحليل ١٧ عينة من المياه السطحية تحليلاً كيميائياً، إلـــى جانب نتائج دراسة أخرى قام بها "عبدالعال وآخرون" لتحديد نسبة التلـــوث، أن المياه بمنطقة حلوان تحتوي على:

١-مواد صلبة عالقة. Solid Suspended Matter.

٢- أملاح ذائبة. Soluble Salts.

[Abdel-Aal,et,1988,424] [٤٧].

وبسؤال المسئولين عن بعض الأنشطة الصناعية في منطقة حلوان، وعـــن أسباب عدم تطبيق القوانين الخاصة بحماية البيئة من مخلفات النشاط الصنـاعي، جاءت معظم إجاباتهم تشير إلى:

- عدم توافر الاستثمارات المطلوبة من بعض المصانع لمعالجة مخلفاتها قبـــل التخلص منها.
- ارتفاع تكلفة، بل وصعوبة توفير المبالغ المطلوبة لإجراء معالجة المخلفات.

وبناء على ما تقدم، واتساقاً مع ما أصدرته الدولة من تشريعات وقوانين لحماية البيئة، ولمزيد من التحكم والسيطرة على أشكال الهدر والتلوث البيئي؛ بغية تحقيق المعادلة المتوازنة (مزيد من التخطيط، واستخدام أفضل للتكنولوجيا من أجل تحقيق التنمية، مع أقل تلوث)، فقد صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٦٣١ لسنة ١٩٨٥ بإنشاء جهاز لشئون البيئة برئاسة مجلس الوزراء، بحيث يصبح لأول مرة في ج.م.ع وزير خاص ومسئول عن البيئة ومشروعات وقضايا الخطة القومية للبيئة، مع تعاون بعض المؤسسات المتخصصة في الدولة. ومنذ ذلك التاريخ أصبح وزير شئون مجلس الوزراء ووزير الدولة للتنمية الإدارية هو الوزير المختص بحماية البيئة ورعاية شئونها والحفاظ عليها.

اختصاصات جهاز شئون البيئة في مصر

قصد من إنشاء جهاز شئون البيئة برئاسة مجلس الوزراء أن يكون حلقة الوصل بين رئاسة مجلس الوزراء ومختلف الوزارات والهيئات والأجهزة العامة في مجال البيئة. ويقوم بالمهام التالية:

- دراسة وإعداد الموضوعات المتعلقة بحماية البيئة، ومتابعة تنفيذ المشروعات البيئية.

- إعداد التشريعات اللازمة لحماية البيئة؛ لتحقيق بيئة صالحة وخالية من التلوث؛ بغية الحفاظ على ثروات مصر ومواردها الطبيعية (مجلس الوزراء، جهاز شئون البيئة، ١٩٨٦)(٤٨).

- **جهاز شئون البيئة والخطة القومية للبيئة في مصر:**

يتولى جهاز شئون البيئة إعداد الخطة الخمسية والسياسات البيئية في ج.م.ع، بالاشتراك مع ١٥٠ من علماء مصر والمتخصصين في قضايا البيئة من أساتذة الجامعات والمركز القومي للبحوث، والوزارات المختلفة، بإشراف أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا.

قام جهاز شئون البيئة بإعداد برنامج تنفيذي لخطة ١٩٨٦/٨٥ للسياسات البيئية، والتي شملت الوضع البيئي الراهن في مصر، إلى جانب الجهود المبذولة في هذا الصدد، مختتما بالبحوث والدراسات المقترحة لعلاج المشكلات البيئية

المنشورة في ملحق (٦) من الخطة القومية، وهي تتضمن ما يلي:

حماية نهر النيل من التلوث، حماية الشواطئ المصرية من التلوث، حماية البيئة المائية والثروة السمكية من أخطار التلوث، تلوث الهواء، تلوث الضوضاء، المحافظة على التربة الزراعية وحمايتها من التبوير والتجريف، حماية الأماكن العامة من التلوث بالقمامة والأتربة، المحافظة على المحميات الطبيعية، حماية الشواطئ من النحر، تأمين المواطنين من الأنشطة النووية والمواد المشعة، تجميل المدن بإقامة الحدائق والمتنزهات والتشجير، نشر التعليم البيئي بالجامعات والمعاهد العليا والمدارس، النظرة المستقبلية لدور البحث العلمي في حماية البيئة، بالنظر إلى تعمير الصحراء، إنشاء مجتمعات تعدينية متكاملة ومجتمعات زراعية.

- **خطة مجلس بحوث البيئة (أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا)**

يهتم مجلس بحوث البيئة - بأكاديمية البحث العلمي - بوضع المحددات اللازمة لإرساء قواعد التنظيم الوطني للبيئة، التى تتمثل في: التركيز على المجالات الرئيسية والتنمية وعلاقات العمليات الإنتاجية بنوعية البيئة، وخاصة ما يتصل بصحة الإنسان. (مركز النيل للإعلام ١٩٨٨، ٧٦ - ٨٣)[٤٩].

وتقوم المعالم الرئيسية لخطة مجلس بحوث البيئة على: معالجة المخلفات والنفايات، وإعادة تدوير المواد؛ لتحقيق حماية البيئة، ثم إضافة عائد اقتصادي إلى جملة مخرجات العمليات الإنتاجية. وتتضمن هذه المعالجات ثلاثة قطاعات رئيسية: إعادة تدوير النفايات الزراعية (نباتية - حيوانية)، إعادة تدوير النفايات الصناعية الغذائية، إعادة تدوير النفايات الصناعية الكيميائية.

كما تتضمن تلك الخطة: الاهتمام بقضايا البيئة المتصلة بالتجمعات العمرانية (دراسة التلوث البيئي في الحضر - تلوث الهواء في المدن الكبرى)، والاهتمام ببيئة العمل المتصل مباشرة بحياة الإنسان العامل في مجالات الإنتاج وصحته، ثم التركيز على العاملين في صناعات: البترول - التعدين - الكيميائيات، إدخال التعليم البيئي في مراحل التعليم ما قبل الجامعي والعالي، ونشر وترشيد الوعي البيئي، ثم تأهيل وتدريب القوى البشرية في مجالات العلوم البيئية، صون الحياة البرية، والعناية بدراسة المناطق ذات الأهمية العلمية والبيئية والثقافية، والاهتمام ببنوك المواد الوراثية، الاهتمام بالقضايا الخاصة

بأخطار البيئة والطبيعة (السيول - تحرك الكثبان الرملية وزحفها)، استكمال دراسات التشريعات البيئية، والاهتمام بتدريس التشريعات في كليتي الحقوق والشرطة، الاهتمام باستكمال دراسات تطوير محطات تنقية مياه الشرب في مصر.

مجلس بحوث البيئة والأنشطة العلمية المتخصصة لتناول المشاكل البيئية

أعد مجلس بحوث البيئة برامج للأنشطة العلمية لتناول المشاكل البيئية وأنواع التلوث. وكان ذلك من خلال عقد المؤتمرات والندوات العلمية. ومن هذه المؤتمرات:

١- المؤتمر السادس لمجلس بحوث البيئة في مارس ١٩٨٨، بالاشتراك مع جهاز شئون البيئة برئاسة مجلس الوزراء وكافة الوزارات المعنية بالمحافظة على حماية البيئة في مصر.

٢- المؤتمر القومي الأول للمياه والصرف الصحي بالقاهرة في الفترة من ١١-١٢ يوليو سنة ١٩٨٨، الذي تنظمه أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا.

٣- مؤتمر المحافظة على البيئة في منطقة القاهرة الكبرى، القاهرة ٢٦- ٢٩ أكتوبر ١٩٨٦ تحت إشراف جهاز شئون البيئة(٥٠).

٤- ندوة استرجاع وتدوير المخلفات الصناعية, القاهرة ١١ - ١٤ إبريل ١٩٨٧(٥١):

٥- ندوة معالجة تلوث الهواء في الأجواء المصرية التى نظمت بواسطة جمعية المهندسين المصرية، بالتعاون مع جامعة عين شمس وجهاز شئون البيئة برئاسة مجلس الوزراء.

يتضح من العرض السابق مدى حرص الدولة نحو بذل قصارى جهدها على كافة المستويات التشريعية والتنفيذية والعلمية من أجل حماية البيئة، والحفاظ على توازنها من الهدر. ولكن يجهض هذا الاهتمام عدم وجود الوعي البيئي بين أفراد هذا المجتمع؛ لأن مشكلة الهدر والتلوث البيئي هي في نهاية الأمر مشكلة ترتبط بالإنسان في المحل الأول، وما يصدر عنه من سلوك واتجاهات نحو البيئة وعناصرها. ولذا عندما نفكر في أي محاولة لحل المشكلات البيئية. يجب أن نبدأ بالإنسان، وبالتحديد في مرحلة الطفولة. ويشكل ذلك ما يمكن أن نطلق عليه التثقيف أو الثقافة البيئية.

المحور الثالث: تصور مقترح للتنشئة البيئية للطفل

لم يعد مفهوم البيئة اليوم قاصرا على الجوانب الطبيعية (الحية وغير الحية)، وإنما اتسع ليشمل النواحي الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية، التي ابتكرها الإنسان. وعلى المستوى الآخر، فقد أدى التقدم الكبير الذي أحرزه الإنسان في مجالات العلم والتكنولوجيا، إلى إحداث إخلال، بل تدهور في مكونات البيئة، حتى بات خطر العيش فوق طاقة احتمال البيئة. بل بدأنا نعيش ونسمع عن استنزاف الموارد، ونقص الغذاء والطاقة، والتلوث، وتدهور التربة، والتصحر، وزيادة السكان. وبتعدد المشكلات البيئية تنوعت الإجراءات التي سعت إلى حماية البيئة.

فهناك من يرى أن حماية البيئة يكون عن طريق تكنولوجيا جديدة. وآخر يرى حماية البيئة بإنشاء التنظيمات التشريعية وإصدار القوانين الصارمة. وثالث يؤكد على أهمية تعديل أنظمة الإدارة البيئية. كذلك هناك رابع يؤيد زيادة الاعتمادات المالية اللازمة لإحداث الإصلاحات المناسبة في البيئة، وبناء أنماط بديلة من التنمية، التي تعتبر حماية البيئة بعدا أساسيا من أبعادها.

وفي رأي الباحثة، أنه رغم كثرة المحاولات والجهود المبذولة لحماية البيئة - على كافة المستويات العالمية والمحلية (رشيد الحمد، ومحمد صباريني - ١٩٧٩، ٢١٥)(٥٢) - فقد أثبتت الدراسات والتجارب أن الأزمة الحقيقية التي يعيشها العالم اليوم هي أزمة تربية أو تنشئة بالمعنى الشامل الدقيق لكلمة التربية، التي تهدف في مضمونها إلى إعداد الإنسان ثقافيا وحضاريا ومهنيا لأداء دور إيجابي خلاق في المجتمع، أي تربية تعد أطفال اليوم وتهيؤهم للتعامل والتفاعل الإيجابي مع البيئة.

وفي ضوء ما سبق، جاء تعريفنا للتنشئة البيئية (*) بأنها: عملية تعليم المشاعر الطيبة للطفل تجاه بيئته، وإمداده بالمعلومات التي تساعده على الفهم وتعرف حدودها وعناصرها، إلى جانب غرس قيم وإكساب اتجاهات وأنماط سلوكية إيجابية وتدريبه عليها، وعلى الضوابط ونظم الجزاء؛ حتى يصبح إنسانا ناضجا وواعيا ومحافظا على بيئته. وتعرف جميع هذه العمليات الداخلة في

(*) يطلق البعض على التربية أو التنشئة البيئية، غير الرسمية، الإعلام أو الثقافة البيئية أو التوعية.

هـــدا السياق بالتثقيف أو التنشئة البيئية.

والتنشئة البيئية ليست حديثة العهد، فلها أصولها القديمة. فبـــالرجوع إلـــى التراث الإسلامي، سنجد وصية الصحابي الجليل أبي بكر الصديق لأسامة بـــن زيد حين وجهه إلى بلاد الشـــام بقوله: "ولا تخونوا ولا تغدروا، ولا تقتلوا ولا تمثلوا. ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تقطعوا شجرة مثمـــرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا للأكل. وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم من أجله" (علي خليل مصطفـى ــ ١٩٧٨ ــ ٤٠) (٥٣).

وإذا دققنا النظر في هذه الوصية، فإننا نجدها تحمل كـــل معـــاني الوعـــي البيئي العميق، وهي بمثابة درس في التنشئة البيئية، جاءت في زمن لم تكن فيـــه البيئة تشكو من تدخل الإنسان الجائر في أنظمتها.

ثم عاد مصطلح التربية أو التنشئة للظهور والتداول على الصعيد العـــالمي منذ انعقاد مؤتمر استوكهولم في السويد في يونيه سنة ١٩٧٢، حيث كان مـــن أبرز توصياته التوصية رقم (٩٦)، التي تطالب بأن تتولى الوكالات التابعة للأمم المتحدة – ولا سيما اليونسكو – اتخاذ التدابير اللازمة لوضع برنامج جامع لعدة فروع علمية للتربية البيئية، في المدرسة وخارج المدرسة، على أن يشمل كـــل مراحل التعليم، ويكون موجه ا للجميع؛ بهدف تعريفهم بما يمكنهم النهوض بـــه من جهود بسيطة، وفي حدود الإمكانات المتاحـــة لـــهم؛ لإدارة شـــئون البيئـــة وحمايتها (ALLEN.N. 1978. P.5) (٥٤).

وتدل هذه النتيجة على أن الذين اجتمعوا في استوكهولم على قناعة بـــالمدى الذي وصلت إليه بيئة الإنسان، بالإضافـــة إلـــى اقتناعـــهم بـــأن التكنولوجيـــا والتنظيمات التشريعية والاعتمادات المالية قد فشلت في تحقيق الأثـــر المرجـــو منها في حماية البيئة وتحسينها؛ وذلك لافتقارهـــا إلـــى عمليـــة التنشئـــة أو التربيـــة. وهذا يؤكد أهمية دراستنا الحالية لموضوع التنشئة البيئيـــة؛ من أجـــل إعداد جيل واع وقادر على حمايـــة بيئتـــه. وهذا يتفق مـــع قولـــه سبحانه وتعالى:?إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ? [سورة الرعد: الآية ١١] (٥٥).

ثم اتسعت دائرة الاهتمام بالتربية البيئية، وتمثل ذلك في عقـــد عديـــد مـــن

المؤتمرات والندوات وورش العمل، وإصدار التشريعات والمجـــلات العلميـــة. فعلى سبيل المثال، صدرت في عام ١٩٧٤ النشرة الخاصـــة ببرنـــامج الأمـــم المتحدة للبيئة بالتعاون مع اليونسكو، ثم تلاها صدور وثيقة بلجراد ســـنة ١٩٧٥ (Peter- FF-1978. 446-455)[٥٦].

أما في الفترة من سنة ١٩٧٢ وحتى ١٩٧٧ فقد كرست الجهود الدوليـــــة مساعيها لإعـــداد برنامج الـــتربية البيئيـــة TEEP وتنمية الوعي البيئـــي، ثـــم أعقبها صدور مجلة Connat باللغتين العربية والإنجليزية. تـــلا ذلـــك مؤتمـــر تبليسي بجورجيا بالاتحاد السوفييتي عام ١٩٧٧، ثم ندوة داكار بالسنغال عـــام ١٩٨٧، فحلقة العمل والتدريب عام ١٩٧٩ في ساوباولو بـــالبرازيل، والحلقـــة الإقليمية بأمريكا اللاتينيـــة عـــام ١٩٧٩. ولقـــد لوحـــظ أن جميـــع المناشـــط والاجتماعات الدولية أجمعت على توصيات تدور حـــول ضـــرورة الاهتمـــام بالتربية البيئية الرسمية، بمعنى العمل على جعل مـــادة التربيـــة البيئيـــة ضمن مناهج التعليم الرسمي بجميع المراحـــل التعليميـــة (إبراهيم عصمت – ١٩٨٢ – ٣٠)[٥٧].

وبناء على ما تقدم، نعاود التأكيد على أن ما نعنيه فـــي دراســـتنا الحاليـــة بالتنشئة أو التربية البيئية هو التربية بمعناها الواسع كعملية تعليميـــة، بشـــقيها الرسمي وغير الرسمي، أي التي لا يقتصر أداؤها داخل المؤسســـات والأبنيـــة التعليمية، بل تبدأ منذ ميلاد الطفل وتستمر طوال حياته. وتشارك فى هذه العملية جميع الأجهزة ومؤسسات التنشئة في المجتمع – بدءا من الأسرة، فالحضانـــة – وتتضافر مع المدرسة، التي تقوم بتدريس مادة التربية البيئية ضمن مناهجـــها، وذلك بغية تحقيق التكامل بين مرحلتين أساسيتين من مراحل نمو الطفل: مرحلة ما قبل المدرسة ومرحلة المدرسة، وانتهاء بوسائل الإعلام المسموعة والمرئيـــة والمقروءة، التي تلازم الطفل بقية ساعات اليوم المدرسي، وبقية أيـــام الســـنة، والإجازات.

كما أننا في أمس الحاجة إلى تعاون أجهزة أخرى؛ لتحقيـــق هـــذا الـــهدف الضخم، وهي أجهزة وزارة الثقافة، وبالتحديد الأجهزة المعنية بثقافة الطفل. ذلك لأن مرحلة الطفولة تعد من أهم مراحل النمو، وأكثرها أثرا في حياة الفرد. فهي البداية في إعداد وتنشئة هذا الفرد. وإذا كانت البداية صحيحة وسليمة فســـتكون

تنشئة الطفل صحيحة وسليمة هي الأخرى، ومن ثم تضمن تتابع نموه بصورة صحيحة؛ لأن البداية الطيبة لابد أن تثمر طيبا. وهذا يتفق مع قول الحق سبحانه وتعالى؟ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ? [سورة التوبة: الآية ١٠٩][٥٨]. ووفقا لقانون النمو يتم تناول الطفل من السنة الثالثة حتى الثانية عشرة.

واتساقا مع الهدف من الدراسة، وهو إعداد الإنسان المصري إعدادا بيئيا واعيا، تتعاظم فيه المشاعر الطيبة تجاه بيئته والجزاءات والضوابط التي تحكم حرية الإنسان في كفاحه من أجل البقاء؛ نشئ الإنسان المصري على الأخلاق التي تحكم علاقة الفرد بمجتمعه وبيئته.

ومفاد القول أن يصبح لدينا جيل يعلي من القيم الأخلاقية والجمالية في بيئته، ويتصدى لكل اتجاه أو قيمة تحاول إهدار التوازن البيئي، وبذلك نكون قد نجحنا في غرس ما يعرف بالأخلاق البيئية، والتي من خلالها يمكن الحفاظ على الناموس الكوني، الذي أشار إليه الحق - عز وجل - في كتابه العزيز: ?إنا كل شيء خلقناه بقدر ? [سورة القمر: الآية ٤٩][٥٩] ?وخلق كل شيء فقدره تقديرا [سورة الفرقان: الآية ٢] [٦٠]. وبذلك قد نصبو إلى تنفيذ ما أمرنا الله به في علاقاتنا ببيئتنا?كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين?[سورة البقرة: الآية ٦٠] [٦١].

الاستراتيجية من وراء مقترح التنشئة البيئية للطفل

تتبلور الأهداف الاستراتيجية من وراء مقترح التنشئة البيئية للطفل في ثلاثة، وهي على النحو التالي:

أولا : الأهداف المعرفية

يقصد بها محاولة تزويد الطفل والقائمين على تربيته بالمفاهيم الأساسية، بعد ترجمتها وتبسيطها، وهي كما يلي:

(١) ماهية البيئة **Environment**: المكان (المحيط) الذي يعيش فيه الإنسان والكائنات الأخرى (مثل الحيوانات والنباتات)، ويشتمل على: التربة والماء والهواء، والمكونات الجمادية، مثل الجبال، والمظاهر الكونية (النجوم والشمس والقمر).

أنواع البيانات

أ- البيئة الطبيعية : Natural Emvironmemt هي المكان أو المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، ومجموعة عناصر البيئة الطبيعية، (مثل: المــــاء والـــهواء والتربة والمعادن والنباتات ومصادر الطاقة والحيوانات). ومن هذه المكونات أو المواد التي أتاحها الله للإنسان، يستطيع أن يستمد مقومات حياته مـــن الغــذاء والكساء والمسكن والدواء.

ب- البيئة الاجتماعية: Social Environmemt هـــي النظـــم الاجتماعيـــة والمؤسسات التي أقامها الإنسان: النظام الاقتصادي الذي يتم من خلاله استغلال الأرض للزراعة والرعي والصناعة، والنظام الصحـــي، ويتمثـــل فـــي إقامـــة المستشفيات والمراكز الطبية وطرق وأساليب علاج الناس من الأمراض.. إلخ.

وأخير ا فإن البيئة الاجتماعية هي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان، ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء وسكن، ويمارس فيه علاقاته مع غيره من الجماعات من بني البشر.

ج- البيئة الثقافية:Cultural Environment هى كل ما استحدثه الإنسان من مقررات أضيفت إلى مقررات البيئة الطبيعية والاجتماعية. وتتكون البيئـــة الثقافية من عنصرين:

الأول: كم ثقافي مادي، مثل: بناء المساكن ووسائل المواصلات.

الثاني: كم ثقافي غير مادي، مثل العادات والتقاليد والقيم والأعراف.

(٢) النظام البيئي Ecosystem: يتكون من أربعة عنـــاصر، هـــي: الإنتـــاج - الاستهلاك - التحلل - العناصر الطبيعية غير الحية (ماء - هواء - غـــازات - شمس - حرارة). (Robert,1978,199)[٦٢].

الأول: عنصر الإنتاج: يتكون من النباتات الخضراء، طحـــالب, أشـــجار، محاصيل، زهور. وتقوم هذه النباتات بإنتاج غذائها بنفسها[*]، ولكن لا تـــستطيع

(*) في ضوء معطيات علم النبات التي تشير إلى أن النباتات تقوم بإنتاج غذائها بنفسها مـــن خلال امتصاص غاز ثاني أكسيد الكربون من المحيط الجوي، وتقوم الجذور بامتصاص الماء من التربة، وتصنع من خلالها مع وجود مادة الكلوروفيل وأشعة الشمس ما يمكن أن توفر مـــا تحتاجه من مواد لازمة لبناء أجسامها، مثل المواد الكربوهيدراتية والبروتينات والدهون.

الاستغناء عن العناصر الطبيعية غير الحية.

الثاني: عنصر الاستهلاك: ويتضمن جميع الحيوانات. ونظرا لتباين طبيعتها عن النباتات، فإنها تعتمد على غيرها في توفير ما تحتاجه من غذاء (نباتات - أعشاب - حيوانات). وفي جميع الحالات فإن الحيوانات من الكائنات المستهلكة في البيئة.

الثالث: عنصر التحلل: ونقصد به كل ما يتسبب في تلف وتحلل مكونات البيئة الطبيعية المحيطة بنا، مثل: البكتريا والفطريات والحشرات التي تساهم في تحلل أجسام النباتات والحيوانات الميتة. وتساهم عناصر التحلل في إعادة جزء من المادة إلى التربة لتستفيد منها عناصر الإنتاج، ويعود استخدامها مرة أخرى في تكوين الغذاء. وبتكرار هذه الدورة يتم الحفاظ على التوازن البيئي.

الرابع: العناصر الطبيعية غير الحية: يقصد بها: الماء والهواء والغازات، مثل الأكسجين والنيتروجين وثاني أكسيد الكربون وأشعة الشمس والمواد المعدنية في التربة، بالإضافة إلى ما يتحلل من أجسام النباتات والحيوانات. وجميعها يدخل ضمن عناصر الإنتاج في البيئة، والتي تساهم في المحافظة على التوازن البيئي Ecology Balance .

(٣) ماذا نعني بالتوازن البيئي؟ هو التبادل بين مكونات البيئة وعناصرها، سواء كانت بيولوجية أو فيزيقية. ولنضرب مثلا على ذلك: إذا اشتعلت النار في إحدى الغابات، أو قام الإنسان باستهلاك جزء من أشجار الغابات؛ فإن الأرض سرعان ما تعود بعد فترة من الزمن للحياة والنماء للغابات، فتنمو حشائشها وأعشابها! ثم تكسو أرض الغابة مرة أخرى بالأشجار. هذا ما يطلق عليه التوازن البيئي، أي يعتمد كل عنصر على الآخر، ويسهم في الحفاظ على تكامل العناصر الأخرى في البيئة.

(٤) ماذا يقصد بالملاءمة البيئية Ecological Adaptation؟ أن يعيش الإنسان مع ظروف بيئية طبيعية ويتقبلها ويتكيف معها. وتتجسد صورة ملاءمة الإنسان مع بيئته بوجود ثلاثة أنواع من البيئات، هي: البيئة الصحراوية، والبيئة الريفية، والبيئة الحضرية (Robert.1987.200) (٦٣).

أ- البيئة الصحراوية: هي البيئة التي تتميز بظروف طبيعية صعبة، مثل

ارتفاع درجة الحرارة، وتنـدر فيها الأمطار، وتقل مصـادر الميـاه، وتتسـم بالجفاف معظم أوقات العام. تنمو فيها بعض الحشائش والأعشـاب، وأشـجار النخيل والنباتات الشوكية والأحلاف, التي لديها القدرة على تحـمل الجفـاف. ويعمل معظم من يسكن هذه المناطق في تربية الحيوانات (المـاعز، الخـراف، الإبل)، وتستخدم الإبل في التنقل والتجارة؛ نظرا لعدم وجود طرق ممهدة؛ ممـا يجعل سير المواصلات صعبا.

ولكن الإنسان استطاع، بالرغم من صعوبة الظروف الطبيعية التي تتسم بـها البيئة الصحراوية، أن يتلاءم مع هذه البيئة، من خلال استغلاله لظروفها المتاحة له، فاتخذ لنفسه مسكنا، وهو الخيمة؛ لتحميه مـن الحـرارة صيفـا، والريـاح والعواصف الرملية والصقيع في فصل الشتاء. ويقوم بتصنيع الخيمة من صوف الحيوان الذي يقوم بتربيته، ويعيش، ويتغذى على لبنه ولحمه ودهونـه. كمـا استغل جريد النخيل وجذوعه في تصنيع معظم أثاثه، واستغل الأثل في التدفئـة وتسوية وإنضاج الطعام، والنباتات والأعشاب والأحلاف كدواء للأمراض.

ب- **البيئة الريفية:** هي المكان أو البيئة التـي يعمـل سـاكنوها بالنشـاط الزراعي، حيث تتوفر مصادر الطبيعة من مياه وتربة صالحة. وتتجسد البيئـة الريفية في المجتمع المصري في معظم محافظات الدلتا وعلى ضفاف نهر النيل وحول نهري دجلة والفرات (فى العراق) وحول نهر عطبرة (فـى السـودان)، على سبيل المثال.

وأشهر ما تنتجه هذه البيئة المحاصيل الصيفية والشتوية مـن خضـراوات وفاكهة. إلى جانب ذلك يقوم ساكنوها بتربية الطيور والحيوانات المعاونة للنشاط الزراعي، من البقر والجاموس. وعادة ما يستفاد من هذا النشاط في الصناعـات المنزلية لمنتجـات الألبان (الزبد - القشدة - المسلى - الجبن - الكشـك) التـي تستخدم للاستهلاك المنزلي. أما ما يزيد على حاجة الأسرة فإنه يتم بيعـه فـي السوق، واستثمار عائده في شراء ما يلزم من سلع أخرى.

ج- **البيئة الحضرية:** يغلب عليها التنوع في النشاط والمهن: فهناك النشـاط الصناعي، والنشاط التجاري، والمهن المتنوعة. وتتسم طبيعة العلاقات بسـيادة الروح الفردية والنفعية، وتعتمد في أداء معظم نشاطها على المواد الخـام مـن بيئات أخرى كالبيئة الصحراوية، حيـث آبـار البـترول والمنـاجم (الحديـد،

الفوسفات، المنجنيز)، والمحاجر (الجرانيت، الأحجار الجيرية، الرخام)، وعلى البيئة الزراعية (القطن والكتان والقمح وقصب السكر والجلود)، وتكثر بها المنشآت الحديثة (مدارس، مستشفيات، عيادات خاصة، كهرباء، صرف صحي).

وتتميز البيئة الحضرية بأنها مناطق جذب لساكني المناطق الريفية والصحراوية؛ الأمر الذى يساهم في ارتفاع الكثافة السكانية، ويتسبب في حدوث عديد من المشاكل البيئية، كازدحام المواصلات والشوارع، وزيادة معدل التلوث (الصوتي والضوئي)، وزيادة معدلات الهجرة والنشاط الصناعي، وكثرة المواصلات الحديثة: العامة والخاصة. ويترتب على كل ما سبق ظهور المناطق العشوائية، التي أدت إلى السلوك الانحرافي، وتعدد صور وأنماط الجريمة في هذه البيئة.

ماذا نقصد بالأخلاق البيئية Environmental Ethics؟ هي القواعد السلوكية التي يرتضي المتخصصون في البيئة الالتزام بها والسير على منوالها في أثناء التفاعل في المواقف البيئية المختلفة؛ بهدف تعامل أفضل مع بيئتنا.

وفي ضوء الطرح السابق، نطرح سؤالا جوهريا هو: كيف السبيل لبلوغ الأهداف المعرفية؟ إن بلوغ هذه الأهداف يتطلب منا عملية تعليمية، تقوم على غرس اتجاهات جديدة لدى الطفل. وهذا ما سوف نعرض له من خلال الهدف الثاني من الأهداف الاستراتيجية، وهو الأهداف الوجدانية.

ثانيا: الأهداف الوجدانية: ويتم ذلك من خلال تعليمه كيف يلاحظ عناصر البيئة الطبيعية المحيطة، والتي أوجدها الخالق - سبحانه وتعالى - لنا مثل الهواء والماء والأرض والنبات والحيوان، التي يعجز الإنسان أن يصنع مثلها، بالرغم مما وصل إليه من علم وتكنولوجيا. والاتجاهات من أهم الأهداف التي يجب أن نحرص على تحقيقها في الاستراتيجيات، أو في البرامج التثقيفية والتعليمية الجيدة. فالتثقيف البيئي الذي نسعى إلى تحقيقه هنا ما هو إلا تعليم أو تعديل لاتجاهات الطفل، بحيث يتخذ منحى الاحترام لبيئته، ويتدرب على التفاعل بسلوك سوي وإيجابي، قائم على التعاطف والمحبة وتقديره لما في بيئته من عناصر ومكونات حية وغير حية (Robert Cahn, 1972,199)[٦٤].

تعتقد الباحثة أن الاستعانة بالصور أو الأفلام التسجيلية؛ لتجسيد أشكال

البيئات المختلفة، وصور التلوث، مع مراعاة القائم بعرض الصور أو الأفلام (مذيعة التليفزيون، مدرسة الحضانة) أن يتعمد نقل الإحساس بالأذى والضيق لدى الطفل عند رؤية الدخان المتصاعد من مداخن المصانع أو الناتج عن حرق القمامة في الشوارع، أو عند مشاهدة التراب المتصاعد من مداخن مصانع الأسمنت، ونقل الشعور بالضيق والاشمئزاز عندما يرى مقلب القمامة بجوار مدرسة أو مستشفى أو وسط منطقة آهلة بالسكان.

- **تنمية اتجاه الطفل نحو الجوانب أو القيم الجمالية في البيئة المحيطة به:** وذلك من خلال تقديم صور أو أفلام تجسد هذه القيمة، أو القيام بزيارات ميدانية للحدائق والمتنزهات والحقول؛ لمشاهدة المجاري المائية، حيث خرير المياه الطبيعية، مثل القناطر الخيرية.

ثالثا: الأهداف المهارية

يعلم الطفل بعض المهارات اليدوية، التي تمكنه من التعامل مع الموارد الطبيعية في بيئته بإيجابية وتعاطف وحكمة. من ذلك مثلا :

? يعلم الطفل مهارة، كأن يقوم بزراعة بعض النباتات في منزله، مثل: نبات الفول أو البطاطا أو البصل، ويقوم بنفسه، أو تحت إشراف القائمين بعملية التنشئة (الوالدين، مربية الحضانة)، بتجسيد مراحل الزراعة، كما يقوم بتقليد الخطوات، ثم يلقن كيف يرعاها ويحميها من الجفاف أو العبث بها، حتى تنمو.

- يتعلم الطفل مهارة تربية الطيور المنزلية (الكتاكيت والعصافير) وتربية الأسماك، ويقوم هو بنفسه بشرائها والإشراف على إطعامها وتنظيف مكانها، من خلال معاونة القائمين على التنشئة، ثم يتدرب على الإشراف عليها بمفرده.

- يتدرب الطفل على مهارة كيفية مشاركة الآخرين في بناء حظيرة لتربية الطيور والحيوانات (الدجاج، البط، الأرانب، الخراف)، ويتعاون في توفير الطعام لها ونظافتها. ويلقن أثناء ذلك ماذا يحدث لو أغفل أو نسي تقديم الطعام أو الماء لها، فسوف يتسبب في موتها.

- يتعلم الطفل مهارة المشاركة في تنظيف البيئة المحيطة به، حجرته في المنزل، الشارع، الحضانة، الحي، وذلك من خلال الحملات القومية، يوم النظافة، يوم الشجرة أو الأزهار.

• يتعلم الطفل مهارة التمييز بين البيئات المختلفة، من خلال ما تشتهر به كـــل بيئة من أنشطة.

رابعا: الأجهزة المشاركة في تنفيذ مقترح التنشئة البيئية للطفل

١- الأسرة: تمثل الأسرة واحدة من المؤسسات التـــي تضطلـــع بوظيفـــة تنشئـــة الأطفال. ولكن هنا، وطبقا لاستراتيجيتنا التي نقترحها، لا نترك مهمـــة التنشئة البيئية للوالدين للقيام بها وحدهما، وإن كانا هما العمود الفقري، ولكـــن ننظر إلى الأمر من خلال مبدأ تكافؤ الـــفرص. فـــهناك تفـــاوت فـــي قـــدرات وإمكانيات الأسر داخل المجتمع المصري، وحيث إننا نهدف من عملية التنشـــئة البيئية إلى نشر الثقافة البيئية على المستوى المحلـــي، فإننـــا لابـــد أن نراعـــي الظروف الاقتصادية والتعليمية، ومستوى ودرجة الوعـــي الثقـــافي للوالديـــن، وبصفة خاصة الأم. فقد كشفت بعض نتائج الدراسات الواقعية عن ارتفاع نسـبة أمية المرأة في معظم القطاعات الحضرية والريفية والبدوية فـــي مصـــر. إذن فنحن في حاجة ماسة إلى السيطرة على هذا الموقف أو تغييره. وهذا في رأيـــي يكون عن طريق وضع برامج مبتكرة وغير تقليدية في مجال الإعلام، وبالتحديد من خلال البرامج الخاصة بكل من المرأة، والطفل. ونذكر على ســـبيل المثـــال مـــا ترتكز عليه هذه البرامج من غرس أو تعليم عـــادات واتجاهـــات خاصـــة بالآداب، والسلوك البيئي، والصحة البيئية، وذلك على النحو التالي:

• تدرب الأم كيف تكون قدوة في سلوكها تجاه البيئة المنزليـــــة، علـــى وجـــه الخصوص أمام أطفالها. ويتمثل ذلك في المحافظة على نظافة المـــنزل داخليـــا والبيئة المحيطة من الخارج، بعدم إلقاء القمامة أمام المنزل، أو على الســـلم، أو من النافذة، والحرص على جمع القمامة في أكياس، أو وضعها فـــي صنـــاديق مغلقة إلى حين يتم التخلص منها، بصورة لا تتسبب في إحداث أي أذى للآخرين من الجيران أو ساكني الحي.

• تلقن الأم عدم رفع صوت المذياع أو أي أجهزة أخرى، مثل جهاز التسجيل أو التليفزيون؛ حتى لا يتسبب في حدوث ضوضاء لأعضاء الأسرة أو الجيران.

• يلقن الأب عدم استخدام آلة التنبيه بالسيارة إلا عند الضرورة.

• تتدرب الأم كيف تتحدث، أو تتناقش، أو تتفاهم مع الآخرين بصوت منخفض.

• توعى الأم بضرورة المحافظة وعدم الإسراف في استخدام الموارد الطبيعية، مثل المياه، وذلك بالحرص على عدم فتح صنابير المياه على آخرها، أو أن تترك مفتوحة، والتأكيد دائما على سلامة الصنابير وصناديق الطرد، والإسراع بإصلاحها في حالة حدوث أي تلف بها؛ لأننا في حاجة إلى كل قطرة مياه لتعمير الصحاري.

• تلقن الأم بعض العادات الخاصة بالصحة البيئية المنزلية، مثل: مراعاة التهوية اليومية للمنزل؛ لتجديد الهواء، زراعة بعض النباتات المتسلقة أو نباتات الزينة في المنزل؛ للمحافظة على تنقية هوائية، الإقلاع عن عادة التدخين داخل أو خارج المنزل؛ حرصا على عدم تلوث هواء المنزل، وحرصا على صحة المدخن والمحيطين به من الإصابة بأمراض الجهاز التنفسي، الإقلاع عن عادة إشعال موقد الكيروسين في الحجرة شتاء بغرض التدفئة، حتى لا يتسبب في تلويث هواء الحجرة قبل النوم بها، التقليل من استخدام المبيدات الحشرية داخل المنزل؛ حفاظا على عدم تلوث الهواء والأدوات المنزلية.

• تلقن الأم ضرورة عزل المريض من أعضاء الأسرة عن بقية الأخوة في النوم وأدوات الطعام، بأن تخصص له أدوات خاصة عند الإصابة بالأمراض المعدية، وغلي ملابسه في حالة الإصابة بالأمراض الجلدية.

• تلقن الأم ضرورة مراعاة التدريب على عادات النظافة الشخصية، المتمثلة في مراعاة غسل الأيدي بعد قضاء الحاجة أو عند القيام بالطهي، والمداومة على الاستحمام صيفا وشتاء ، ومراعاة عدم تربية الحيوانات (القطط والكلاب) في المنزل؛ حتى لا تتسبب في إصابة الأطفال بأمراض الحساسية، (وإذا ما رغب في ذلك يراعى أن تربى الحيوانات في مكان خارج المنزل (حديقة المنزل أو سطحه).

• التأكيد على الأمهات بضرورة الإقلاع عن عادة استخدام الأطعمة الجاهزة والمحفوظة، والتشجيع على استخدام الأطعمة الطازجة من خضراوات وفاكهة.

٢- دور الحضانة

إذا كانت الأسرة هي أول المؤسسات التي تقوم بتنشئة الطفل، من حيث

غرس البذرة الأولى؛ لتحويله من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي ثقافي، على دراية نسبية بتقاليد وعادات، وثقافة مجتمعه. فقد أصبحت هناك مؤسسات تشارك الأسرة في دورها ومسئوليتها. ويرجع ذلك إلى خروج المرأة للعمل، فأصبحت دور الحضانة ضرورة ملحة في المجتمع المصري، خصوصا في المدن وعواصم المحافظات، حيث أصبحت الأسرة النووية هي النمط المميز والأكثر شيوعا في القطاع الحضري، ولدى بعض الأسر المتعلمة في الريف.

والخلاصة أنه أصبح انشغال الآباء بالعمل - أيا كان مستواهما الثقافي والاقتصادي - يعتمد في الأغلب الأعم على دور الحضانة، وبذلك أصبح أمر إنشاء دور الحضانة ضرورة في كل من المدينة والقرية على السواء. ولهذا صدر القانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٧٧ الخاص بدور الحضانة. (فوزية دياب ١٩٦٥)[٨٧].

ومن الأهداف الأولى للحضانة التركيز على رعاية الأطفال اجتماعيا وصحيا، وتنمية مواهبهم وقدراتهم، وتهيئتهم بدنيا وثقافيا ونفسيا تهيئة سليمة لمرحلة التعليم الأساسي، بما يتفق مع أهداف المجتمع المصري وقيمه الدينية، بالإضافة إلى نشر التوعية بين أسر الأطفال؛ لتنشئتهم تنشئة سليمة، وتقوية الروابط بين الحضانة وأسر الأطفال. (اللائحة التنفيذية، ١٩٧٨)[٦٦].

وتدل التجربة، وكذلك الدراسات السابقة على أن دور الحضانة قد انحرفت عن الهدف والوظيفة التى من أجلها أسست هذه المؤسسة التأهيلية للطفل. واتساقا مع الهدف اللائحي لدور الحضانة، وهدف دراستنا الحالية، سوف تحاول الباحثة في السطور التالية أن تقدم مقترح التنشئة البيئية، الذي يعتمد فيه على إكساب الطفل قبل سن المدرسة بعض القيم والعادات اللازمة للتفاعل مع بيئته بصورة إيجابية، ويكون ذلك على النحو التالي:

١- تدريب الطفل على الحرية

المقصود بالحرية التي يكتسبها الطفل في هذه المرحلة العمرية أنها الحرية المنضبطة، أي تعليم الطفل كيفية الالتزام دون الضعف والاستكانة لأحد، وأن يكون الفرد حرا، مع مراعاة حرية الآخرين، حرا أن يفعل ما لا يؤذي أو يتسبب في ضرر لما يحيط به. مثلا :

حرية الطفل في أن يجري في فناء الحضانة، حر أن يلعب بالكرة، ولكنه ليس حرا أن يقطف الزهور المزروعة بحوض حديقة الحضانة، ليس حرا أن يكسر زجاج النافذه بالكرة، أو أن يكتب أو يرسم على جدران الفصل. لابد أن يلقن الطفل من خلال المربية بدار الحضانة أن الحرية والنشاط لا يستقيمان إلا ضمن حرية ونشاط الآخرين. (إبراهيم المنوفي، ١٩٩٢، ٢٠ - ٢٢ يناير، ٣٥٥)[٦٧]. ولذا يراعى عند تعليم الطفل كيف تكون الحرية، إتاحة الفرصة له للمناقشة والحوار، مع مراعاة الاهتمام بالميول، وعدم تعريضه للعقاب الجسدي أو المعنوي (Peter , R,s.1975, 135)[٦٨].

وطبعا لن تنجح التنشئة في إكساب قيمة الحرية للطفل في هذه المرحلة العمرية، ما لم تتح لكل طفل فرصة التعبير عن رأيه ومناقشته، في مناخ سليم وديمقراطي، مع مراعاة عدم إصدار أي أحكام مسبقة من جانب المربي؛ حتى لا تكبت آراء الطفل؛ ذلك لأن كبت الآراء يتسبب في اعتلال واهتزاز في شخصية الطفل، بل ويجعل هذا الطفل في مراحل عمره التالية مستبدا مع من يتعامل معهم في بيئته (محمد صديق حمادة، ١٩٩٠، ٢٩٢- ٢٩٣)[٦٩].

ولكي يتحقق الاتساق في طريقة معاملة الطفل داخل دار الحضانة، ومع الوالدين في أسرته، نوصي بضرورة طبع كتيبات في هذا الصدد توزيع على الآباء والعاملين في دور الحضانة، وإعداد برامج تذاع بالتليفزيون تخاطب القائمين بتنشئة الطفل في كافة الثقافات الفرعية، وتتلاءم مع مختلف المستويات التعليمية والثقافية.

٢- تدريب الطفل على التعاون

قيمة التعاون من أهم القيم التي يجب أن يراعى غرسها في الطفل في هذه المرحلة من نموه؛ لأننا بنجاحنا في غرس هذه القيمة نكونُ قد دربناه ألا يكون أنانيا، وكيف يحترم حقوق الغير، وكيف يتلاءم مع أفراد أسرته وزملائه في الحضانة ثم المدرسة، ثم مع بيئته التي يعيش فيها.

إفهام الطفل ضرورة أن القيام بعمل جماعي، مثلا : بناء مسكن، تصنيع سيارة، زراعة حوض الزهور بالحضانة، لا يتم إلا بتعاون الآخرين، مثلا : (عشان نعمل عشة أو حظيرة لتربية حيوانات البيئة، فلابد من أن يتعاون كل من الفلاح الذي يقوم بزراعة الشجرة، ويقوم التاجر بشراء الخشب من الفلاح،

يليه النجار الذي يقوم بعملية صنع الحظيرة). ويعقب هذه الخطوة الذهاب إلى السوق؛ لشراء الحيوانات المراد تربيتها، ثم يتعاون كل أعضاء المنزل لتوفير الطعام والشراب لهذه الحيوانات، حتى تكبر وتنتج لنا إنتاجا يمكن استخدامه في الاستهلاك الأسري أو بيعه في السوق.

ويمكن للمربي أن يجسد هذه القيمة من خلال نشاط اللعب، بأن يقوم بتقسيم أطفال الحضانة إلى مجموعتين، كل مجموعة تمثل فريقا. وسنلاحظ تعاون أعضاء كل مجموعة على حدة؛ من أجل إحراز هدف في مرمى الفريق الآخر.

التدريب على حب البيئة وعناصرها

تتمثل قيمة حب البيئة في المشاعر الطيبة والإيجابية تجاه البيئة ومكوناتها وعناصرها. وتعتبر مؤسسات تنشئة الطفل - بدءا من الأسرة ومرورا بالحضانة، ثم المدرسة - مسئولة عن الهدر والتلوث الذي أصاب البيئة المحلية والعالمية في هذا العصر. فلو أن الآباء والأمهات والمعلمين لقنوا الطفل، وعلموه كيف يحب بيئته، وكيف يتعامل، ويتفاعل معها بإيجابية، لأمدته البيئة بمتطلبات حياته (هواء نقي، ماء نقي، زرع نقي). وهذا يتطلب من الطفل أو الشاب البالغ والمسن أن يكون صديقا للبيئة، وليس مفسدا أو مستفزا لها.

ولكي يتم ذلك لابد أن تتضافر مؤسسات التنشئة؛ لكي تغرس في نفس الطفل حبه للبيئة، وذلك من خلال: مده بالمعلومات عن البيئة وأنواعها، وخصائص كل بيئة، وتعريفه أيضا بأنواع العقوبات التي سوف تقع على من يخالف أو يؤذي البيئة.

وتعتقد الباحثة أن القصة يمكن أن تلعب دورا أساسيا وجوهريا في غرس قيمة الحب للبيئة لدى الأطفال، خاصة في مرحلة ما قبل المدرسة، سواء كان ذلك في الأسرة، أو الحضانة. ويرجع السبب في ذلك إلى أن الأطفال في هذه المرحلة العمرية يكونون أكثر إقبالا على سماع القصة، ويلجأون دائما إلى المربية أو الوالدين والأجداد؛ ليقصوا عليهم القصص. والقصة في هذه الحالة يجب أن تكون خيالية، يلعب فيها الخيال دورا أساسيا، بأن يجعل عناصر البيئة (الطيور والحيوانات والجبال والنهر) تتكلم، وتعبر عن فرحتها عندما يتقدم الطفل لكي يروي حوضا به زهور، وتتألم عندما يحاول آخر قطع زهرة، أو يقوم بإلقاء ما يفسد ماء النيل في النيل، ويسهم في تغيير طعمه أو رائحته. (Egan , Kieran , 1988,P.2)[٧٠].

٣- وسائل الاتصال الجماهيري والتنشئة البيئية

يمكن أن تسهم وسائل الاتصال الجماهيري بدور كبير وجوهري في التثقيف البيئي للطفل وللقائمين على تنشئته، خصوصا بعد ثورة المعلومات التي شهدها العالم. ويرجع ذلك إلى تنوع وسائل الاتصال وسهولة استخدامها، من حيث الكم الهائل والتنوع الشديد فيما تقدمه من معلومات تؤثر - بلا شك - على الطفل من قريب وبعيد. وسوف نقصر حديثنا وتركيزنا في هذه الدراسة على دور التليفزيون؛ باعتباره من وسائل الاتصال الجماهيري، وذلك يرجع إلى عدة اعتبارات، هي:

- تؤكد نتائج بعض الدراسات عن التليفزيون على أنه هو الوسيلة الجماهيرية الوحيدة التي أثبتت قدرة فائقة في جذب الانتباه وإثارة اهتمام البالغين والأطفال.
- يمثل هذا الجهاز أهم ما أنجزه العلم والتكنولوجيا الحديثة خلال القرن الماضي (ماجى الحلواني، ١٩٩٢، ص ٢)(٧١).
- يتبلور دور التليفزيون في استراتيجيتنا المقترحة لتلقين الثقافة البيئية للطفل والقائمين على تنشئته، بالإضافة إلى أن التليفزيون له القدرة على تغطية القصور في دور الأسرة في التنشئة البيئية، في ظل انتشار الأمية بين كثير من الأمهات والآباء في البيئات المختلفة، حضرية، ريفية، بدوية، (ألفت حفنى، عالم الفكر، ١٩٧٩، ٣٣)(٧٢).

وتأكيدا لما سبق، تشير نتائج إحدى الدراسات إلى أن نسبة من يشاهدون التليفزيون بصفة عامة ودائمة بلغت قرابة ٩١% في مقابل ٩٤,٤% يفضلون مشاهدة برامج الأطفال. وذلك تأكيدا على نجاح هذه الوسيلة دون غيرها من وسائل الاتصال الجماهيري في التأثير وجذب الأطفال إليه، ولذلك تعتقد الباحثة أنه يمكن أن تعد برامج مبتكرة وجديدة خصيصا للتثقيف والتنشئة البيئية لكل من الطفل والقائمين على تنشئته، وأفلام تسجيلية خاصة بدور الحضانة تعاون المربين في تجسيد القيم والمفاهيم الأساسية للبيئة (سبق وأن تحدثنا عنها)، وملازمة للتعليم والثقافة البيئية. من ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - أن يقوم التليفزيون بإنتاج أفلام عن عناصر الطبيعة الحية التي تبرز دورة حياة النباتات والحيوانات، والتركيز على تصوير البراري والمناظر الطبيعية والغابات والشواطئ، وما بها من طيور وحيوانات وزولحف، وأشجار وأعشاب،

وإلقاء الضوء على فوائد هذه العناصر داخل النظام البيئي.

ولذا توصي الباحثة بضرورة العمل على توظيف عديد من برامج الأطفال التي تعرض عبر القنوات الثلاث بالتليفزيون، والتي قد تصل إلى قرابة ٩٠% من برامج الرسوم المتحركة في مقدمة القوالب الفنية التي تلائم برامج الأطفال، والتي يمكن أن تقدم من خلالها الأهداف المعرفية والوجدانية من استراتيجيتنا المقترحة للتنشئة البيئية، كما يمثل ٨٠% من نسبة دراما برامج الأطفال في مقدمة أنواع الدراما التي يفضل الطفل مشاهدتها، يمكن أن تقدم من خلالها الأهداف (الوجدانية والمهارية) (صبري هاشم محمود هاشم، ١٩٩٩، ١٧٦ - ١٨٣)(٧٣).

كما ترى الباحثة أنه يمكن استغلال برامج الأطفال لعرض الأناشيد والأغاني المعدة خصيصا لتعريف الطفل بعناصر بيئته، بحيث تجعل من عناصر البيئة الحية وغير الحية لسان حال تتحدث فيه عن سلوك البشر السلبي والإيجابي تجاهها، أو تجسيد كل عنصر من العناصر البيئية ووظيفته وفائدته بالنسبة إلى الإنسان والنظام البيئي.

٤- المتاحف

تمثل المتاحف واحدا من الأجهزة التابعة لوزارة الثقافة، كما تعد من الوسائل التربوية لنشر المعرفة أو الوعي (شارلوت سيمور-سميث، ١٩٩٩، ٦٠٤)(٧٤)؛ وذلك لما تقوم به من دور في نقل الثقافة بين الأجيال بأكملها، ومنها إلى الأجيال التي تليها، بالإضافة إلى تجسيدها لخصائص وسمات الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية لكل حقبة زمنية من تاريخ الشعب. فهي تقوم بدور هام وجوهري في تدعيم عملية الاتصال بالتراث الحضاري بين أجيال الأمس بأجيال اليوم والغد (حمدية أحمد، ١٩٩٣، ٥٤٠)(٧٥).

وتعتقد الباحثة أنه يمكن استغلال خصائص ومقومات ووظيفة المتاحف في نقل وتبسيط الثقافة البيئية موضوع دراستنا الحالية، ففي رأيي سوف تكون المتاحف أكثر الوسائل الثقافية جدوى وملاءمة، من حيث إن الرموز والقيم المجسدة التي يراها الطفل من حوله عند زيارته للمتاحف، التي تعد خصيصا للبيئات المختلفة (ريفية، حضرية، بدوية، ساحلية) بما لها وما عليها، سوف تثبت في مخيلته من خلال ما يشاهده من مجسمات فنية ملونة، تعبر عن

الخصائص والسمات والمقومات الأساسية لكل بيئة في مصر، إلى جانب إبراز علاقة الإنسان أثناء تفاعله داخل بيئته بشكل فني؛ لأن الفن ما هو إلا لسان حال للحياة، وهو الدليل الناطق لها، وهو جزء لا ينفصل عن الفكر الإنساني، مؤثرا في العمل والتفاعل المستمر الذي مارسه الإنسان منذ وجوده على الأرض. فكل ما أنتجه الإنسان منذ أقدم العصور إلى الآن هو ما تتطلبه الحاجة إليه (ألفت حقي، ١٩٧٩، ٢٣٠)[٧٦].

• ولذا نناشد العاملين في وزارة الثقافة – خصوصا العاملين في المتاحف – أن يكثروا من تجهيز المتاحف المعبرة عن بيئاتنا المختلفة، إلى جانب الاهتمام بإعداد مجسمات فنية عن عناصر البيئة الطبيعية (أنواع الجبال، الهضاب، الغابات، مصادر المياه الطبيعية والصناعية، النباتات بأنواعها وألوانها وأحجامها المختلفة، الحيوانات المختلفة طبقا لبيئاتها الطبيعية: حيوانات بحرية وبرية وصحراوية).

• كما نناشد الوزارة بعمل المتاحف المفتوحة التي تعرض فيها نماذج للبيئات المختلفة (الريف والحضر والبدو)، وتجسد من خلالها الموارد والمعالم والسمات الطبيعية المميزة لكل بيئة منها.

• التأكيد على إعادة تنشيط فكرة المتاحف الإثنوجرافية والفولكلورية[*]؛ ليعرض فيها التراث الخاص لكل بيئة من بيئاتنا كنوع من التثقيف البيئي لأطفالنا، وتعرف تراث آبائهم وأجدادهم؛ ولتوثيق علاقاتهم بهم.

• التوصية بضرورة إعداد مجسمات فنية لتجسيد مشاكل الهدر البيئي التي أصابت كلاً من البيئة الريفية والصحراوية والحضرية (تصحر، تملح الأرض الزراعية، ازدحام، تلوث، زيادة السكان).

• إعداد مجسمات تجسد مشكلة التلوث بصورها المختلفة: غازات وعوادم المصانع الضارة التي تتسبب في تلوث الهواء، والمواد الكيماوية التي لم تكن تعرفها البيئة، ثم ألقت بها المصانع في البحيرات والأنهار، فتسببت في تلوث المياه، إسراف الناس في استخدام المبيدات الحشرية والمخصبات الزراعية، التي

(*) عرفت مصر المتاحف الإثنوجرافية والفولكلورية منذ نهاية القرن الماضي، وبالتحديد عام ١٩٥٢، إلا أن معظم هذه المتاحف قد صادفها كثير من المشاكل والصعوبات تسببت في إعاقة تطورها؛ وذلك بسبب ضآلة التمويل ونقص الخبرة وتدريب العاملين بها.

أسهمت في تلوث التربة واستهلاكها، فأصبحت بعض الأراضي الزراعية غير قادرة على الإنتاج، فيتسبب ذلك، مع العوامل الأخرى في ظاهرة التصحر.

• يمكن توفير تسجيلات صوتية لعناصر النظام البيئي بمكوناته الحية وغير الحية، بحيث يتحدث كل عنصر؛ ليعرف نفسه ودوره في النظام البيئي، وفوائده للإنسان، ويحاور الطفل بطرح مجموعة من الأسئلة. من ذلك:

س: ماذا يحدث لو أن المطر لم ينزل؟

س: ماذا يحدث لو أن الزرع لم ينبت؟

س: ماذا يحدث لو ح جب الهواء عن الناس؟

ويحاول العاملون في المتاحف حث الأطفال على الإجابة عن هذه الأسئلة، وإعطائهم الفرصة؛ حتى يصلوا إلى الإجابة بأنفسهم، بعد أن يفهم كل منهم دور وطبيعة كل عنصر.

• كما تجهز المتاحف صورا وأفلاما تسجيلية تجسد أنواع التلوث البيئي: البصري، السمعي، الضوضاء.

١- **التلوث البصري**: هو كل المحيطات المرئية حول الطفل التي تفتقد للذوق والجمال المتلائم مع البيئة، ومن ثم أفسدت الرؤية البصرية، بما يؤثر على الوجدان وسلوك الطفل، حتى لا يستطيع التفريق بين ما هو جميل وما هو قبيح.

• **من نماذج التلوث البصري**: ما نراه على سبيل المثال لا الحصر في الميادين الرئيسية بعواصم المدن، وبالتحديد مدينة القاهرة. التناقض البصري للأشكال المعمارية من حيث الحجم واللون. بمعنى أن هناك عمارات ذات ارتفاع شاهق تجاورها بيوت صغيرة؛ مما يترتب عليه تباين بصري بين كبير الحجم والصغير وغير مناسب الحجم. وهناك عمارات لم تستكمل، بناؤها متروك للمستقبل، بالإضافة إلى تعدد الطرز المعمارية وتباينها، والتي لا ترتبط بأي نظام، بل تعتمد على العشوائية في الذوق.

كذلك نجد أن الألوان المستخدمة لطلاء المساكن والأبنية بصفة عامة تخلو من التناسق والتناغم، أي أنها بعيدة عن التذوق الجمالي، معظم الألوان مستخدمة بأسلوب عشوائي يؤذي البصر، فنجد - على سبيل المثال - أن عمارة كان لها

لون معين عند بنائها، ولكن أراد السكان تجديد الألوان، فيقوم كل ساكن باختيار لون يخرج عن النظام اللوني الخارجي للعمارة، والذي يمثل في الوقت نفسه وحدة اللون المعماري الخارجي، الذي يفترض أنه واحد. بل إنه من المسلمات للنظم المعمارية الصحيحة مراعاة ألوان العمارات المجاورة وانتقاء اللون المناسب لها؛ لأنها في مجموعها تمثل واجهة معمارية كبيرة، والنتيجة أن تضيع الوحدة البصرية، بل وتسود فوضى بصرية، مما يؤدي إلى التلوث البصري (محمد حسن ١٩٩٣، ١٠- ١٣)[٧٧].

أما النموذج الثاني للتلوث في الشارع المصري ما تعكسه فوضى الإعلانات من حيث التصميم، فهناك واجهات محلات تعتمد على الإعلانات المكتوبة أو الكهربية (اللافتات والإعلانات)، فتارة تكون بلغة أجنبية وتارة أخرى باللغة العربية، وثالثة بالعامية. ومفاد الكلام من هذه النماذج هو أن الإخلال بالإدراك البصري والتشويش على الرؤية المحيطة بالطفل يمثل أقصى صور التلوث البصري.

ومن أمثلة على التلوث البيئي: عدم الالتزام في التخطيط البيئي بالقواعد والأسس لإقامة التجمعات السكنية (قرية أو مدينة)، ولذا كثيرا ما نجد إقامة مستشفى أو مركز علاجي بجوار ورش، أو إقامة مصانع داخل حارات وشوارع المدن.

ب- التلوث السمعي (الضوضاء)[*]

يقصد به كل المحيطات السمعية حول الطفل التي تسبب إيذاء جهازه السمعي، ومن آثاره كلما ارتفعت الأصوات، وتزايدت الضوضاء في البيئة، كلما فسدت القدرة السمعية. ويعتبر التلوث السمعي عنصرا مستحدثا من عناصر التلوث البيئي، ذا علاقة بمناطق التجمعات السكنية، التي تزدحم بها المباني، وتكتظ بالسكان والمناطق الصناعية ومن عوامله:

- تعاني المدن الكبرى من الأصوات الصادرة من عشرات وآلاف السيارات ووسائل النقل الأخرى، التي تنطلق في شوارع المدن.

(*) من آثار الضوضاء على صحة الطفل، تشير بعض الدراسات إلى أن الضوضاء الشديدة تسبب نوعين من الضرر: الأول الصمم المؤقت، والثاني ضعف حاسة السمع أو فقدانها.

- ضوضاء آلات الحفر المستخدمة في أعمال التشييد والبناء.
- الضوضاء الصادرة عن مختلف المحال التجارية والمحال الصناعية الصغيرة، مثل الورش والمسابك.
- أجهزة المذياع والتليفزيون وأجهزة التسجيل المنتشرة في المحال التجارية والمنازل والمقاهي وفي كل مكان.
- اعتياد الناس استخدام مكبرات الصوت وأجهزة التسجيل والمذياع للتعبير عن مشاعرهم الحزينة والمفرحة. فمن العادات السيئة في أفراحنا تتجمع السيارات والدراجات البخارية، وتسير في زفة العروس مستخدمة آلات التنبيه بصوت عال ؛ للإعلان عن مرور زفة العروس بالشارع. كذلك الأمر عند فوز أحد الأندية الكبرى بالقاهرة (الأهلي أو الزمالك). يخرج المشجعون إلى الشوارع؛ للإعلان عن فرحة الفوز باستخدام آلات التنبيه بالسيارات ومكبرات الصوت. وكذلك الأمر بالنسبة إلى المآتم، بالإضافة إلى اعتياد فئة من الشباب رفع صوت جهاز الاستريو بالسيارة.

وبعد عرض نماذج من التلوث البيئي، سواء من خلال الصورة أو الفيلم أو المجسمات، يقوم العاملون بالمتحف باستثارة إحساس الأطفال الزائرين للمتحف؛ للتعبير عن مشاعرهم وانطباعاتهم لصور التلوث، إلى جانب إعطائهم الوقت الكافي للمشاهدة؛ للتعليق والسؤال والمناقشة، ومحاولة الرد على استفساراتهم، حتى يمكن أن يصل الطفل بنفسه إلى وضع حلول للتصدي لهذا التلوث، وبذلك نغرس في نفوس الأبناء اتجاهات المسئولية نحو البيئة وكيفية الحفاظ عليها والمشاركة في حل مشاكلها.

ولذا نناشد القائمين على تنشئة الطفل في كل من الأسرة ودور الحضانة ضرورة عمل زيارات ميدانية للمتاحف (متحف الشمع - المتحف الزراعي) وما يستحدث من متاحف أخرى. كما نناشد وزارة الثقافة أن تقوم بإعداد متاحف مفتوحة تجسد فيها جميع العناصر البيئية الحية وغير الحية والبيئات المختلفة في مصر.

التوعية البيئية

تتعدد صور التوعية البيئية، وتتكامل جميع أجهزة التنشئة في إنجازها لما يلي:

• دعوة جميع الجهات الحكومية لتخصيص جوائز للمؤسسات الخيرية الخاصة لمن يسهم في نشاط، ويقوم بخدمات بارزة، تساعد في المحافظة علـــى البيئـــة وترشيد استخدام مواردها.

• تنظيم الاحتفال بعيد الشجرة، ودعوة جميع رؤســـاء الأحيـــاء فـــي المـــدن لتخصيص يوم من كل عام، يتم فيه زرع الأشجار في الأحياء السكنية أو الطرق العامة أو على حدود المدينة. كما يتم في هذا اليوم إلقاء محاضرات على مستوى رئاسة الحي، تتناول الحديث عن الشجرة وأهميتها كمنتج للغـــذاء والأخشـــاب والألياف ومصدات للرياح وتنقية الهواء وحماية التربة.

٥- الإنتاج السينمائي للأفلام التسجيلية

يسهم الإنتاج السينمائي للأفلام التسجيلية بدور هام - باعتباره واحد ا مـــن التقنيات السمعية والبصرية التابعة لوزارة الثقافة - في توعية المواطنين بقضايا البيئة وحثهم على المحافظة عليها وحمايتها. وقد لجـــأت بعـــض الـــدول إلـــى استغلال هذا المجال في التوعية والتثقيف البيئي. من ذلك على ســـبيل المثـــال: دعوة تشيكوسلوفاكيا كل عام إلى مهرجان دولـــي للأفـــلام الخاصـــة بالبيئـــة والمعروفة بالإيكو فيلم Eco Film. ولم لا نستفيد نحن في مصر بهذه التجربـــة؛ لتحقيق التوعية والتثقيف البيئي الذي تبغيه دراستنا الحالية ؟

لذا نناشد المسئولين بوزارة الثقافة أن يوضع ضمن خطة الـــوزارة إقامـــة مهرجان سنوي خاص بأفلام البيئة في مصـــــر، تدعـــو إليـــه جميـــع الـــدول للمشاركـــة؛ لتبادل الخبرات بين تلك الدول المهتمة بقضايـــا البيئـــة وحمايتـــها وتحسينها. وفي اعتقادي أن مثل هذا المهرجان سيسهم في إنشاء بنك للمعلومات عن البيئة؛ لأنه يدعم مزيدا من إنتاج الأفلام التســـجيلية فـــي مجـــال التوعيـــة والتثقيف والتربية البيئية.

٦- مسرح العرائس

مسرح العرائس فن مسرحي كامل تلتقي فيه فنون التعبير المختلفة من كلمـــة وموسيقى ورسم ونحت وتصوير وأزياء وتصميم وديكور، كما أنه الفن الـــذي يجمع بين الأساس العلمي والحرفية المتعلمة، وبين البساطة من حيث إنه الفـــن الوحيد الذي يستطيع كل إنسان أن يمارسه بأبسط الطرق وعلى أضيق نطـــاق.

أي أنه في متناول كل شخص وأداة للتعبير لكل إنسان؛ لأن القائم به يعتمد في نقل رسالته التثقيفية والتربوية على العروسة أو الدمية، التي هي في حد ذاتها فن تشكيلي تطبيقي، بالإضافة إلى كونها عنصرا زخرفيا بما بها من عناصر وألوان وأشكال، إلى جانب أنها تصوير لملامح وتعبيرات الشخصية التي تقوم بتمثيلها أو أداء دورها، كما هي قوالب (فرم) وتشكيل من حيث الملابس والإكسسوارات والأزياء والديكور.

والعروسة (الأراجوز) ومسرح العرائس التعليمي الذي نحن بصدده يمكن أن توظف لتحقيق هدف دراستنا الحالية، وهو التثقيف البيئي للطفل في جميع القطاعات والبيئات المختلفة، وباختلاف الشرائح الطبقية، وعلى المستويين الميكرو والماكرو، وذلك من خلال ربط مضمون وعناصر التنشئة الثقافية المراد بثها في عقول ونفوس أطفالنا بالشكل الشعبي الأسطوري أو القصص المعبرة عنه (راجي عنايت، ١٩٦٢، ٣٥)[٧٨].

وهنا يطرح سؤال هام: لماذا يحب الأطفال هذا الفن القائم على الدمية أو العروسة؟ والجواب يتمثل في أن إدراك الأطفال للظواهر لا يضع حدودا فاصلة بين الخيال والواقع، وبين الحلم والحقيقة. ففي مخيلة الطفل تعيش الدمية، وهو يعاملها على أساس أنه يمزج من خلالها بين المستحيل والممكن. كما يميل الطفل بصورة عامة إلى أن يفسر العالم الذي حوله، ابتداء من ذاته هو والمقاومة معها ضد المخاطر البيئية. ويحب الطفل أن يعطي صفات للأشياء التي تحيط به، وهو بذلك إنما يؤكد ذاته، والحياة هي أبرز ما يمنحه الطفل للأشياء المحيطة به، ففي نظر الطفل تعيش الدمية، وهو يعاملها على هذا الأساس، وتراه يقول: "الدمية جائعة" أو "حزينة" أو "زعلانة "، وتبعا للحال تكون إما شرسة أو عطوفة أو عاقلة. ويداعب الطفل الدمية، ثم يعاقبها، وهي في نظره حية إلى حد أنه لا يقبل بأي حجة منطقية يمكن أن تزعزعه في هذا اللعب.

ومفاد القول أن السر في الدمية هو هذا النوع من الإدراك عند الأطفال، وهنا نصل إلى إجابة السؤال المطروح سلفا: أن الدمية التي نراها جامدة في عالم الكبار، يجعلها الطفل حية حياة كاملة في عالمه هو.

وفي ضوء ما تقدم، سنجد أن فن العرائس لون فني ليس للترفيه والتسلية

فقط، ولكنه في نفس الوقت وسيلة تربوية وتثقيفية لنقـــل المعلومـــات وإســـداء النصـــح والإرشاد نحو عادات وسلوكيات مرغوبة أو غير مرغوبة في حياتنـــا، وذلك من خلال تقديم المعلومة المرغوب فيها، وغرس أصعب الأفكار والقيـــم بأسلوب لطيف. وفي هذا الصدد يقول العالم جون كولديه:

"ليس للدمية حياة إلا تلك التي تستمدها من الحركة، وتأتي القصـــة فتبعـــث فيها الروح، فكأنها خيال يستفيق إذا حدثته عن كل ما فعله، ولا يلبث بـــالذكرى أن يعيش القصة في الحاضر. إنها أكثر من ممثل يتكلم. إنها كلمـــة تتحـــرك". (جوزيت هوللر ١٩٨٠، ٦٥)[٧٩].

وتأسيسا على الطرح السابق، يمكننا أن نســـتثمر خصـــائص ومقومـــات مســـرح العرائس في تحقيق الهدف من دراستنا الحالية، وهي عمليـــة التنشـــئة البيئية، وذلك من خلال إعداد أو تأليف نصوص مسرحية أو ســـيناريو لقصـــة خيالية عن الطبيعة، التي تحكي عن حالها قديما، وماذا أصابها حديث ا بســـبب تعدي الإنسان وهتك أمنها وسلامتها، واستنزاف مواردها، حتى صارت تصـــوخ وتتألم مما أصابها من تدهور وفساد.

النتائـــج

في ضوء ما أسفرت عنه الدراسة في إطارها النظري، عن أسباب التدهور والتلوث البيئي، على المستويين العالمي والمحلي، يمكن أن نســـتخلص النتـــائج التالية:

١- يمثل التقدم الصناعي والتكنولوجي الحديث - الذي ترتب عليـــه اســـتخدام عديد من وسائل الإنتاج الحديث في المدن المتقدمـــة - آثـــارا بيئيـــة بالـــغة الخطورة تتمثل في التلوث البيئي، الذي جهزه إنسان المدنية الحديثـــة لنفســـه، ولغيره من الذين يعيشون بعيدا عن المدن.

٢- أن المزج بين الاشتراكية والرأسمالية يعد بمثابة الأسباب البنائية الرئيســـية في إبراز أسوأ التأثيرات البيئية على الصناعة، وعلـــى التوســـع الديموجرافـــي الإحصائي في السكان.

٣- تمثل الصناعية السبب البنائي وليس المباشر المسئول عن التدهور البيئي.

٤- أما عن أسباب التدهور من وجهة نظر "جيدنز" فترجع إلى وجود نوعين من البيئة الاصطناعية:

الأول: البيئة الإنشائية العمرانية.

الثاني: البيئة الاصطناعية اللاعمرانية.

ومفاد القول الذي وصلنا إليه من خلال دراستنا، أن نؤكد على أن التربية والتنشئة هي الأداة التي يمكن أن تنقذ البشرية جميعها مما تعانيه الآن من سلبيات تجاه المعاملة مع مقومات البيئة. فهل آن الأوان لكي نبدأ بتربية أطفالنا اليوم لكي يعيشوا ويتكيفوا مع بيئتهم؟

* * *

المراجع

١- حامد عمار: من قضايا الأزمة التربوية، وجهة نظر، القاهرة، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، ١٩٩٢.

٢- فان دالين: مناهج البحث في التربية، ترجمة دكتور محمد نبيل نوفل وآخرين، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧.

٣- مرجريت ميد: النمو والتربية في المجتمعات البدائية، ترجمة نعمت محمد عيد، دار النهضة العربية، القاهرة، (بدون سنة نشر).

Growing up in New Guinea

4- **Hamed Ammar**, Growing up in Egyptian Village, Silwa, Province of Aswan, Rout ledge and Kegan Paul, London, 1954.

5- **Walter L. Slocum**, socialization an social control in an agricultural environment, in agricultural sociology, A study of sociological aspects of American farm life, New York, 1962, P.P. 211-218.

٦- أحمد أبو زيد: أبحاث الإنسان المصري، مقومات الطابع القومي المصري. التنشئة الاجتماعية واحتياجات الطفولة، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم الأنثروبولوجيا، ١٩٧٩.

٧- علياء شكري وآخرون: المرأة في الريف والحضر، دراسة لأنماط العمل والتغيرات السكانية، تقرير أولي، مركز البحوث والتنمية والتخطيط التكنولوجي، جامعة القاهرة، ١٩٨٥.

٨- نجوى عبد الحميد: دراسة أنثروبولوجية مقارنة لأنماط التنشئة الاجتماعية في مجتمع محلي بدوي ومجتمع محلي ريفي في مصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨٦.

٩- سهير حسين إبراهيم: المرأة والتنشئة الاجتماعية في المجتمعات البدوية، دراسة أنثروبولوجية في منطقة الحمام بالصحراء الغربية المصرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، إشراف فاروق أحمد مصطفى، ١٩٩٠.

١٠- نذكر من هذه الرسائل:

- سنية محمد عبد الرحمن الشافعي: برنامج مقترح في التربية البيئية لطلاب كلية التربية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٩٠.
- سهير أنيس درباس: الوعي البيئي لدى طلاب كلية التربية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس، ١٩٩٠.

- وفاء محمد أحمد سلامة: برنامج مقترح لتنمية بعض مفاهيم التربية البيئية بالمرحلة الإعدادية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٨١.
- وهيب مرقص: دراسة تجريبية لوحدة دراسية في التربية البيئية لتلاميذ الصف الثاني الثانوي بمدارس مدينة طنطا، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة طنطا، ١٩٨٠.
- سعيد محمد محمد السعيد: بناء وحدة مرجعية في التربية البيئية لطلاب المدارس الثانوية الزراعية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة عين شمس، ١٩٨١.

١١- الأمم المتحدة: تقرير الأمم المتحدة للتنمية والبيئة في ريودى جانيرو من ٣:١٦ يونيه ١٩٩٢، الهيئة العامة للاستعلامات، وزارة الإعلام، ج.م.ع.

١٢- ك.م ستيك وآخرون: المعيشة في البيئة، ترجمة مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية بعمان، ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ١٩٩٠

13- **Eckersley. R.** Environmentalism and Political Theory Forwards an Ecocentric Approach, London, 1992.

14- Adam Kuper and Jessica Kuper, 1996, P.P. 250-251.

15-**Oriordam,** ed, Environmental science for Environmental Management, Har low, 1994.

١٦- عبد المحسن صالح: المدينة الحديثة ومشكلات التلوث، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الثالث، ١٩٨٥.

17- **John Barry,** Environment and Social Theory, London and New York, 1999.

18- **Antony Giddens,** Capitalism, Industrialism and The Trans Formation of Nature in Social Theory And Environment, David Goldblatt,1999, USA.

19- **Eckersley, R,** Environmental and Political Theory Towards an Ecocentric Approach, London, 1992.

20- **Eckersley, R,** 1992.

21- **Marray Boockchin,** 1998.

22- **David Gold blatt,** 1999.

23- **Pearce, D. W. and Turner,** R.K. Economical of Environment and Natural Resources, Hemel Hempstead, 1990.

24- **John Barry,** Environment and Social Theory, London and New York, 1999.
25- **Dobson, A.** Green Political Thought, London, 1990.
26- **Antony Giddens,** Capitalism, Industrialism and Transformation of Nature in Social Theory and Environment, 1999, USA.
27- **Antony Giddens,** 1999.
28- **Atkinson, A.** The Principles Of Political Ecology, London, 1991.
29- **David Goldblatt,** Op. Cit. 1999.
30- **David Goldblatt,**1999.
31- **Antony Giddens,** 1999.

٣٢- عبدالمحسن صالح: مرجع سابق.
٣٣- جهاز شئون البيئة، ١٩٨٧.
٣٤- اللجنة العالمية للبيئة والتنمية: ١٩٨٧.
٣٥- أحمد الرشيد وهناء الحسن سند علم البيئة، مدخل عام، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١.
٣٦- الوثيقة رقم ٨، المشكلات الرئيسية، المجتمع المعاصر، ١٩٧٨.
٣٧ - سلوى محمد عبد الفتاح: النمو الحضري، القاهرة، ١٩٨٨.
٣٨- جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الإنسان والبيئة، مرجع العلوم البيئية والتعليم العالي، ١٩٧٨.
٣٩- سعيد محمد الحفار: بيئة من أجل البقاء، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدوحة، ١٩٩٩.
٤٠- إبراهيم حلمي عبد الرحمن: اقتصاديات البيئة والتنمية، بعض القضايا المثارة بشأن مصر، معهد التخطيط القومي، ١٩٩٠.
٤١- الجمعية المصرية للجودة، الجودة الشاملة والقدرة التنافسية، المؤتمر السنوي الأول نحو سياسة قومية للجودة من ٨-١٠ نوفمبر ١٩٩٩.
٤٢- الجمعية المصرية للجودة، نفس المرجع.
٤٣- الجمعية المصرية للجودة، نفس المرجع.
٤٤- إبراهيم حلمي: المرجع السابق.
٤٥- إبراهيم حلمي،:نفس المرجع.
٤٦- عزة أحمد: تلوث المياه في حلوان، ١٩٨٥.

47- **Abdel-Aal et,** 1988.

٤٨- مجلس الوزراء وجهاز شئون البيئة، الخطة القومية للبيئة- الإطار العام، سبتمبر ١٩٨٦.

٤٩- مركز النيل الإعلام والتدريب والتعليم، المعلوماتيـــة وتحديات العصر، حمايـــة البيئـــة ملف العدد، الهيئـــة العامة للاستعلامات العدد ٣٤، يوليو ١٩٨٨، الســـنة التاســـعة، ص ٧٧- ٨٣.
٥٠- مؤتمر المحافظة على البيئة، ١٩٨٦.
٥١- ك.م. سننك وآخرون: المعيشة في البيئة، ترجمة مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية فـــي الدول العربية بعمان، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ١٩٩٠.
٥٢- رشيد الحمد، ومحمد سعيـــد صباريني: البيئـــة ومشكلاتها، عالم المعرفـــة، ١٩٧٩.
٥٣- علي خليل مصطفى: فلسفة التربية الإسلامية كما يحددها القرآن الكريم. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية جامعة طنطا، ١٩٧٨.

54- **Allen, N, Kuese.** Polution prices and Public Policy Washington. Booking institution, 1978.

٥٥- القرآن الكريم: سورة الرعد: آية ١١.

56-**Peter, F,Fensham:** Stackhalm Totbilsi The Evolution of Environment education prospects Review No III No.4, 1978.

٥٧- إبراهيم عصمت مطاوع: التربية البيئية دراسة نظرية وتطبيقية، دار المعرفة الجامعيـــة، ١٩٨٢.
٥٨- القرآن الكريم: سورة التوبة: الآية رقم ١٠٩.
٥٩- القرآن الكريم: سورة القمر: الآية رقم ٤٩.
٦٠- القرآن الكريم: سورة الفرقان: الآية رقم ٢.
٦١- القرآن الكريم: سورة البقرة الآية رقم ٦٠.

62- **Robert Cahn,** Foot Primts on the planet, A Search for Environmental Ellic, universe, Book, New, 1978.

63- Robert , 1987, Op. Cit.

64- Robert, 1972, Op. Cit.

٦٥- فوزية دياب: دور الحضانة إنشاؤها وتجهيزها، دار النهضة المصرية ١٩٨٧.
٦٦- جمهورية مصر العربيـــة، قرار وزير الشئون الاجتماعيـــة رقم ٢٠٧، ٧٨٨ بتـــاريخ ١٩٧٨/٤/٢٦ بإصدار اللائحة النموذجية لدور الحضانة.
٦٧- إبراهيم المنوفي: التربية وتنمية الشخصية القومية في ضوء النظام العـــالمي الجديـــد، مؤتمر التربية والنظام العالمي الجديد، ٢٠-٢٢ يناير سنة ١٩٩٢، الجزء الثـــاني، كليـــة التربية جامعة عين شمس.

68- **Peters, R, S,** Freedom and The Development of man in Educational

Judgment, Ediled by James, F. Doyle, London. Routledge and kegan Paul, ited, 1975.

٦٩- **محمد صديق حماد سليمان:** دور الأسرة في غرس قيم التنشئة السياسة للطفل. المؤتمر السنوي الثالث للطفل المصرى، ١٠-١٣ مارس سنة ١٩٩٠، المجلد الأول، مركز دراسات الطفولة، جامعة عين شمس.

70- **Egan, Kieran:** Teaching As Story Telling, An Alternative Approach to teaching and The curriculum, London Rout ledge, 1988.

٧١- ماجى الحلوانى، ١٩٩٢.

٧٢- **ألفت حقنى:** ثقافة الطفل, عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الثالث، ١٩٧٩.

٧٣- **صبري هاشم محمود هاشم:** فاعلية برامج الأطفال التلفزيونية على تنمية التفكير الإبتكاري لدى عينة من الأطفال، رسالة دكتوراه، ١٩٩٩.

٧٤- **شارلوت سيمور-سميث:** موسوعة علم الإنسان ترجمة محمود الجوهري وآخرين، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩.

٧٥- **حمدية أحمد محمود سالمان:** دور المتاحف في تنمية الثقافة للطفل المصرى، منشور في مجلد المؤتمر السنوي السادس للطفل المصري، تنشئة في ظل نظام عالمي جديد، ١٩٩٣.

٧٦- **ألفت حقي:** ثقافة الطفل, عالم الفكر, المجلد العاشر، العدد الثالث، ١٩٧٩.

٧٧- **محمد حسن محمد حسن:** تحليل متطلبات واتساق عناصر الهوية الثقافية العصرية للطفل المصري، منشور في مجلد المؤتمر السنوي للطفل المصري، تنشئة في ظل نظام عالمي جديد، في الفترة من ١٠ - ١٣ إبريل ١٩٩٣.

٧٨- **راجي عنايت:** مسرح القاهرة للعرائس فى خمس سنوات، دار المعرفة، ١٩٦٢.

٧٩- **جوزيف هوللر:** مسرح العرائس, مركز التربية الأساسية في العالم العربي، دار الثقافة، ١٩٨٠.

الفصل الثانى

التكنولوجيا والتلوث فى منطقة حلوان

تلوث الهواء وأمراض الطفولة

بحث أنثروبولوجى

أولاً: مقدمة منهجية

تعتبر مرحلة الطفولة من المراحل التى نالت اهتمام العديد من المتخصصين فى مجالات متنوعة، كالأطباء وأخصائى التنمية الاجتماعية والاقتصادية، والتغذية، إلى جانب اهتمام كل من علماء التربية وعلم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا.

وقد تضامن هذا الاهتمام على المستويين: العالمى مع تحديد هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٧٩ بعام الطفل[١]، والمحلى: بتسمية الفترة من ١٩٨٩-١٩٩١ بعقد الطفل، بغية تسليط الأضواء بشكل أكبر على حقوق الطفل، وما يشوب هذه الحقوق من انتهاكات، خصوصاً فى الفترة من أواخر الستينيات والسبعينيات من هذا القرن، وبالتحديد فى المجتمعات الآخذة فى الاستنزاف النهم لمواردها البيئية بهدف التوسع فى النشاط الصناعى والتكنولوجى. ذلك التوسع الذى يتم فى غيبة من التخطيط العلمى والنظرة المستقبلية وما يستتبع ذلك من نتائج وآثار.

فقد أخذت هذه المجتمعات تبحث عن أنماط استهلاكية جديدة لمواردها البيئية، وازدادت اتجاهاً نحو استخراج هذه الموارد وتصنيعها، ضاربة بعرض الحائط ما يترتب على ذلك من أثار بالغة الخطورة، متمثلة فى الإخلال بالتوازن البيئى، بسبب زيادة النفايات التى تصب فى الهواء والماء والأرض، حتى حل التلوث بالعناصر الأساسية التى تعتمد عليها حياة الكائنات الحية والإنسان عامة والأطفال خاصة[٢]. فظهرت أعراض لأمراض جديدة لم تعرفها المجتمعات الإنسانية فى الماضى. ومن هذا المنطلق تشكل الدافع نحو إجراء هذه الدراسة وإن كانت هناك دوافع أسبق من ذلك لإجرائها[*].

(*) نمت بذور اهتمام الباحثة بدراسة الطفولة أثناء إجرائها الدراسة لبحث المرأة الذى نشر =

وهذا البحث هو الأول من سلسلة بحوث تتناول الطفل فى مجتمعات محلية في منطقة حلوان، وسيتم التركيز بصفة خاصة على أشكال التلوث البيئى وأثرها على صحة الطفل فى هذه المجتمعات المحلية. ويتركز البحث الحالى على إحدى هذه المجتمعات: هى منطقة المعصرة وذلك للكشف أولاً عن مصادر التلوث، وثانياً إجراء مسح لأنواع الأمراض التى تصيب الأطفال.

وبناء على ذلك يهدف البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- إلى أى مدى أسهمت بعض الأنشطة الصناعية فى التلوث البيئى؟

٢- هل هناك علاقة بين نوع التلوث وبعض الأمراض التى تصيب الأطفال؟

٣- هل تساهم الأبعاد الاقتصادية والثقافية فى زيادة معدلات إصابة الأطفال؟

أما الإطار التصورى للبحث فيتبنى كلاً من الاتجاهين: الأول اتجاه الإيكولوجيا الطبية Medical Ecology وهو أحد الاتجاهات الجديدة فى الأنثروبولوجيا الطبية – الذى يستعان به فى دراسة المشاكل الصحية فى ضوء علاقة التأثير المتبادل بين كل من الثقافة والبيئة والصحة، ومن ثم تتفاعل أضلاع المثلث المتمثلة فى العوامل الاجتماعية والثقافية والبيولوجية والبيئية معاً لتؤثر فى الصحة والمرض(٣).

أما الاتجاه الثانى فهو الاتجاه الإيكولوجى، الذى يسير فى تحليله لظاهرة التلوث فى ضوء قانونين إيكولوجيين أساسيين هما:

١- أن البيئة الطبيعية على مستوى الكرة الأرضية تعتبر نسقاً مترابط الأجزاء.

٢- أن مقومات النسق الإيكولوجى لا تفنى ولا تستحدث.

وقد حاول كل من ويلسون وزوجته تفسير هذين القانونين "بأن مجموع

= عنه تقرير بعنوان: (المرأة في الريف والحضر – دراسة لحياتها فى العمل والأسرة) حيث كانت تنشئة الطفل أحد محاور تلك الدراسة. كما ازداد الاهتمام بالطفل أثناء إجراء الباحثة الدراسة الميدانية لبحثها لنيل درجة الدكتوراه، حيث كان من بين قضايا دراسة تنشئة الطفل في الريف والبدو – حصر لأنماط عمالته في القطاعين الريفى والبدوى. ثم استمر هذا الاهتمام لدى الباحثة في بحوثها الأخرى بعد ذلك، فجاءت على النحو التالى: دراسة لأنماط رعاية الطفل في الأسرة الريفية كما تعكسها جداول استخدام الوقت – المدخل الأنثروبولوجى للتوعية الصحية للطفل البدوى – المخاطر البيئية وأثرها على صحة الطفل.

الناتج القومى العام يعادل مجموع التلوث القومى العام، أى أن كل رطل من الموارد المتخلفة يضاف إلى الناتج القومى العام يعادله رطل آخر من الفضلات فى شكل آخر إما فى صورة مادة معدنية أو ملوثات كيميائية، وهى التى توجد فى الماء والهواء أو فى شكل فضلات إنسانية. ومن هذا يصبح التلوث عبارة عن نفايات ناجمة عن النشاط الإنسانى.

ونظراً لتداخل الأنساق الإيكولوجية الفرعية (على المستوى الذى يجعل من البيئة الطبيعية ككل نسقاً إيكولوجياً أكبر) فإن الملوثات التى توجد فى النسق الفرعى (الهواء) تؤثر على نحو مباشر أو غير مباشر فى الأنساق الفرعية الأخرى، ومن ثم فإن الهواء الناتج عن عادم المصانع والسيارات يؤثر على الهواء كنسق إيكولوجى فرعى، فيؤثر بدوره فى الأنساق الأخرى (كالبحيرات والأنهار) من خلال مياه الأمطار المتساقطة، ثم من خلال سريان هذا الماء الملوث داخل التربة، وهكذا تتفاعل المنظومة الكونية بعناصرها الثلاثة[٤].

وقد اعتمد البحث على المنهج الأنثروبولوجى الذى يحتم ضرورة المعايشة فى المجتمع حتى تتوفر للباحث ملاحظة مباشرة متعمقة مع الاعتماد على عدد من الإخباريين الذين لديهم معرفة دقيقة عن مجتمع البحث. حيث يوفر ذلك للباحث - بطريقة غير مباشرة - المعلومات الضرورية التى لا يستطيع أن يحصل عليها بطريقة مباشرة. ويحتم هذا المنهج أيضاً ضرورة الاطلاع على الأدبيات التى تتعلق بموضوع البحث، وذلك لتساعده فى التحقيق والدراسة والبحث. ومن ثم اعتمد البحث على الاطلاع على أبحاث محلية وعالمية عن التلوث البيئى - تلوث الهواء - والدراسات التى أجريت على منطقة حلوان[٥]، وذلك بالإضافة إلى مقابلة المسئولين المحليين من أطباء ومهن مساعدة وعمال خدمات داخل المؤسسات العلاجية والمجلس المحلى. وقد تطلب هذا المنهج إعداد دليل العمل الميدانى ليكون مرشداً وموجهاً للدراسة الميدانية[٦]. وقد استغرقت الدراسة الميدانية ستة أشهر، وبدأت بمجموعة من الزيارات الاستطلاعية بمنطقة حلوان من أول شهر يونيه ١٩٩٥ حتى نهاية الشهر، تم خلالها اختيار مجتمع البحث (المعصرة المحطة) التابعة لمجلس محلى حلوان.

وبدأنا زياراتها الميدانية المكثفة التى أخذت طابعاً شبه يومى حتى آخر نوفمبر ١٩٩٥. وقد تم اختيار خمس عشرة أسرة من منطقة المعصرة المحطة

كان توزيعها كالتالى: خمس أسر من عزبة الصفيح، وخمس أخرى من المعصرة المحطة، وخمس أسر أخرى من عزبة الهجانة. وقد روعى فى الاختيار تنوع الخصائص، كما روعى أيضاً أن يكون لدى الأسرة أكثر من طفل، مع مراعاة تنوع المراحل العمرية، بدأ من مرحلة المهد أو الرضاعة (الطفولة المبكرة) حتى سن الخامسة عشرة (الطفولة المتأخرة)، (انظر الجدول رقم (١) الذى يوضح خصائص العينة).

ثانياً: التلوث Pollution

من المفاهيم الحيوية التى ارتبط ذيوعها بالتقدم التكنولوجى الذى أحدثه الإنسان منذ الثورة الصناعية، وما تبع ذلك من تغيرات عديدة، ويعنى التلوث: "التغير الكيميائى أو الطبيعى أو الحرارى أو الحيوى أو الإشعاعى فى أى مكان بالبيئة الذى يؤدى بطريقة أو بأخرى إلى الإضرار بصحة وأمان ورفاهية الكائنات الحية[٧].

ونستخلص من هذا التعريف، بأنه كل تغير كمى أو كيفى أو وجود مادة غريبة على مكونات الوسط البيئى الأساسى، وهذه المواد التى تعرف بالملوثات قد تكون مصادر طبيعية أو مصادر اصطناعية (من تدخل الإنسان)، يترتب عليها الإخلال بنظام التوازن البيئى ودرجة فاعلية عناصره الأساسية من (ماء - هواء - تربة) فى أداء وظائفها مما يهدد بالإضرار بالكائنات الحية أو فنائها أو يؤدى إلى تعرضها إلى أخطار مزمنة.

والملوثات إما أن تكون طبيعية، وهى التى تنتج من الطبيعة دون تدخل الإنسان مثل الأتربة والغازات المنبعثة من البراكين وحبوب لقاح النباتات، أو ملوثات صناعية ناتجة عن نشاط الإنسان بسبب ما استحدثته من أنشطة ووسائل تكنولوجية وهى نوعان:

١- **ملوثات كيميائية:** مثل المبيدات والأبخرة والغازات والجسيمات الناتجة عن الصناعات المختلفة ووسائل المواصلات.

٢- **ملوثات فيزيائية:** مثل الضوضاء والتلوث الحرارى، والإشعاعات النووية الناتجة عن التفاعلات النووية[٨].

وينتج عن هذه الملوثات: تلوث التربة - تلوث الماء - تلـــوث الغـــذاء - تلوث الهواء. وسوف تقتصر دراستنا الحالية على شكل واحد من هذه الأشـــكال هو تلوث الهواء.

تلوث الهواء

الهواء النقى هو ذلك الوسط الذى يحتوى على نسب معينة مـــن الغـــازات التى تدخل فى تكوينه الكيميائى، وهى على النحو التالى:

٧٨% غاز النيتروجين، ٢١% من الأكسجين، ٣٩% غاز الأرجون الخـــامل، ٠,٠٣% ثانى أكسيد الكربون، وغازات أخرى تتواجد بنسب نادرة مثل: البينون والهيليوم والزينون والكريبتون والميثان والأيدروجين(٩).

كما أكدت نتائج معظم الدراسات العلمية المتخصصة أن تركيـــب الـــهواء الكيميائى لم يبق على نقاوته لأن طبيعة هذا الوسط (الهواء) له خاصية الامـتزاج بالمواد الأخرى الغريبة فى البيئة من جسيمات عالقة (غبار وكائنـــات دقيقـــة) وغازات وأبخرة من (البراكين - وحريق الوقود). ومع ذلك كانت هذه المواد فى حدود تحمل الإنسان.

ومع تزايد عدد السكان فى المناطق المعمورة على وجه الأرض، ثم زيـــادة النشاط الصناعى مع بدء الثورة الصناعية، وما ترتب على ذلك من تطور هـائل فى وسائل النقل التى عرضت الهواء لأنواع عديدة من الملوثـــات وانتشـــارها وتعدد أنواعها مثل (أكاسيد الكربون - أكاسيد الكبريت - أكاسيد النيـــتروجين، الجسيمات الصلبة والمعادن المختلفة والروائح وغبار وسناج وأدخنة الضبـــاب والدخان)، سعت الحكومات جاهدة من أجل تحقيق نظافة البيئة. ففى عام ١٩٦٧ قرر المجلس الأوروبى أن التلوث الجوى يحدث "عندما توجد مـــادة غريبـــة أو عندما يحدث تغير هام فى النسب المكونة للهواء قد يؤدى إلى نتائج ضارة، وكل ما يسبب مضايقات أو إزعاج"(١٠). فتلوث الهواء إذن هو وجود مواد غازيـــة أو طيارة فى الهواء ليست من مكوناته الطبيعية، أو حدوث زيادة فى المكونات غير الأساسية للهواء مثل: غاز ثانى أكسيد الكبريت - أو أول أكسيد الكربـــون - أو ثانى أكسيد النيتروجين أو الأتربة(١١).

وهناك مصادر طبيعية وأخرى من صنع الإنسان - الأولى هى الـــبراكين

وما تقذفه من غازات وملوثات، والحرائق وما ينتج من نواتج الاحتراق، والعواصف الترابية ومن أمثلتها رياح الخماسين التى تهب على مصر. ولقد جاءت نتائج دراسة لقياس شدة التلوث بالأتربة فى مدينة القاهرة ١٩٦٠-١٩٦١ لتشير إلى تعرض مدينة القاهرة للأتربة التى تحملها رياح الخماسين من تلال المقطم التى تحد المدينة من الطرف الجنوبى الشرقى[١٢].

ومن بين المصادر الأخرى المصادر التالية الناجمة عن: نشاط محطات توليد الطاقة - صناعة تكرير البترول - الصناعات المعدنية - الصناعات الحديدية - الصناعات الكيميائية غير العضوية - صناعة لب الورق، الصناعات الغذائية - صناعات الغزل والنسيج - الأقطان والأصواف والألياف الصناعية، واستخدام وسائل النقل - التلوث الإشعاعى[١٣]. ونحن نعلم أن الهواء أحد المسلمات الأساسية لاستمرار حياة الكائنات الحية (إنسان - حيوان - نبات) فهو عنصر حتمى لاستمرار الحياة، حيث وتشير نتائج بعض الدراسات المتخصصة إلى ما يلى:

أ- إمكانية استغناء الإنسان البالغ القوى الصحيح عن الشرب لمدة من ٢: ٣ أيام، وعن الطعام من ٤: ٥ أيام، ولكنه لا يمكن أن يبقى حيا لدقائق تعد على أصابع اليد دون أن يستنشق الهواء ويزفره. وفى ضوء هذه الحقيقة الحتمية لا يستطيع الإنسان أن يرفض استنشاق الهواء حتى ولو كان ملوثا أو كان يحتوى على غازات سامة، ذلك لحساسية خلايا المخ لغياب الأكسجين.

ب- أن رئة الإنسان تستقبل يوميا حوالى ١٥كجم من الهواء الجوى، بينما لا يمتص الجسم سوى ٢,٥كجم من الماء وأقل من ١,٥كجم من الطعام.

ج- يقدر استهلاك الإنسان العادى فى اليوم الواحد ١,٢٥ كجم من الطعام، ويشرب أكثر من ٢كجم من السوائل والماء، إلا أنه يستنشق حوالى ٩كجم من الهواء[١٤]. وفى ضوء قانون حتمية الهواء لاستمرار الحياة على وجه الأرض لم يجعل الله سبحانه وتعالى الهواء ملكا لأحد، فليس لأحد سلطان عليه وإلا توقفت الحياة على وجه الأرض[١٥].

وتشير أدبيات العلوم البيئية والصحة العامة إلى أنواع المخاطر الناجمة عن تلوث الهواء فى شتى بلدان العالم، ففى الفترة من ٥-٨ ديسمبر سنة ١٩٥٢ حدث أن بلغت نسبة تلوث الهواء بالكبريت فى مناطق التجمع السكانى أرقاما

مرتفعة بلغت عشرة أمثال النسبة المألوفة، مما أدى إلى وفاة ٤ آلاف نسمة(١٦).

وحدث فى مدينة "دو نورا" فى ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية فى يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٤٨ أن تعرضت هذه المدينة لتلوث هوائى بسبب انحباس المصانع فى المنطقة. ونتج عن ذلك أن امتلأ جو المدينة بالأدخنة والأكاسيد السامة، وأصيب حوالى ٩ آلاف شخص من سكان المدينة بأعراض مرضية، بينما توفى عشرون آخرون(١٧).

ثالثا: التكنولوجيا والتلوث البيئى فى منطقة حلوان

تقع حلوان(*) على بعد ٢٥ كيلو مترا جنوب القاهرة. ويبلغ عدد سكانها ٢٨٢,٦٤٧ نسمة طبقا لتعداد عام ١٩٨٦. كما كان لهذه المنطقة شهرتها كمكان صحى للاستشفاء. ونظرا لموقعها المتميز بحكم وجودها فى ملتقى طرق نيلية وصحراوية ومساحتها الكبيرة التى تشغلها، فقد ضمت جنباتها مناطق خضراء وحدائق، انعكس هذا على مناخها فاتسم بالجفاف والدفء شتاء، إلى جانب العيون الكبريتية الطبيعية التى عرفت منذ عهد الخديوى إسماعيل سنة ١٨٥٨ باسم (الحمامات الكبريتية)، ثم تطورت فى ذلك الوقت وعرفت بمركز علاج الطب الطبيعى والروماتيزم. وفى ضوء توفر كل هذه المقومات صارت حلوان مشتى لمعظم أسر الطبقة العليا وبعض أسر الطبقة المتوسطة، وهدفا للكثير من الباحثين عن الهدوء والصحة والنقاهة(١٨).

ومع ذلك فقد شهدت المنطقة ما أدى إلى فقدانها هذه الخاصية (الميزة الصحية) مع أوائل القرن التاسع عشر، وبالتحديد الفترة من سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩٥٦، حيث تم إنشاء خمس منشآت صناعية، كان نصيب الأسمنت منها أربع منشآت هى على التوالى طبقا لتاريخ الإنشاء: مصنع أسمنت بالمعصرة سنة ١٩١١، ثم شركة أسمنت طره المصرية فى سنة ١٩٢٧(**)

(*) تعددت الأقوال حول أصل تسمية حلوان بهذا الاسم إلا أن أكثرها شيوعا هو أن عبدالعزيز بن مروان حينما كان واليا على مصر اختار هذه المنطقة لإقامته وسماها حلوان نسبة إلى مدينة حلوان بالعراق، حيث إنها تشبهها فى المناخ ولوقوعها بجانب نهر ومجاورة للصحراء. للمزيد انظر خطط المقريزى.

(**) تم إنشاء مصنع الإسكندرية فى نفس السنة إلا أن إنتاجه توقف سنة ١٩٣٥ بسبب اعتماده على مواد خام مستوردة. وفى عام ١٩٤٨ تم إنشاء شركة الإسكندرية للأسمنت بهدف تغطية احتياجات شمال الدلتا من الأسمنت.

والتى تم دمجها مع مصنع المعصرة، ثم مصنع ٤٥ الحربى، فشـركة حلـوان للأسمنت سنة ١٩٢٩ بكفر العلو، وآخرها الشركة القومية للأسمنت سنة ١٩٥٦.

ومع قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حدثت طفرة صناعية كبيرة تمثلـت فـى إنشاء صناعات جديدة إلى جانب صناعة الأسمنت، وهى صناعة الاسبسـتوس والحديد والصلب والألومنيوم والكوك والسماد والغزل والنسـيج والصناعـات المعدنية والصناعات الحربية. ويعزى هذا التمركز الواضح فى منطقة حلـوان بالذات للاعتبارات الآتية:

أ- أنها ضاحية قريبة من مدينة القاهرة.
ب- خلوها نسبيا من الكتل السكنية ذات الكثافة العالية فى ذلك الحين.
ج- توافر المواد الخام اللازمة لبعض الصناعات بها مثل صناعة الأسمنت (الحجر الجيرى - الطفل الرملى).
د- سهولة نقل الخامات إليها.

وفى ضوء ما تقدم أصبح نصيب حلوان من التلوث ضخما، فقد أسـهمت هذه الصناعات مجتمعة فى تلوث هذه المنطقة عامة وتلـوث هوائـها بصفـة خاصة. وقد أشارت نتائج الدراسات التى أجراها المركز القومى للبحوث إلـى أنـه ابتداء من عام ١٩٦٦ أخذت مشكلة تلوث الهواء تتفاقم بمنطقـة حلـوان، وذلك بسبب تجمع مجموعة من العوامل نذكر منها ما يلى:

١- التوسع فى النشاط الصناعى الثقيل على نحو واسع، وما تبـع ذلـك مـن تلـوث عناصر أساسية للبيئة (الهواء - المياه - التربة).

٢- زيادة حركة النقل ووسائل المواصلات فى القاهرة الكـبرى، حيـث يقـدر عـدد السيارات بمليون ونصف مليون سيارة باختلاف أنواعها. ويقدر نصيـب منطقة حلوان بحوالى الربع، أى ٣٧٥ ألف سيارة باختلاف أنواعها، ذلك لخدمة أغراض النشاط الصناعى والمناطق السكنية التى أنشئت حولها.

٣- تمثل صناعة فحم الكوك والأسمنت والحديد والصلب بصفة خاصة المصدر الرئيسى لسقوط كميات هائلة من الأتربة والملوثات على منطقة حلوان. انظـر الجدول رقم (٢) الذى يبين بعض الأنشطة الصناعية والملوثات الناتجة عنها فى منطقة حلوان.

جدول رقم(٢)[١٩]

النشاط الصناعي	الملوثات
- إنتاج الحديد والصلب	جسيمات صلبة – غاز أول أكسيد الكربون، الفلوريدات، دخان
- الصناعات غير الحديدية	جسيمات، ثانى وثالث أكسيد الكبريت، مركبات كبريتية
- مصانع الأسمنت البورتلاندى	جسيمات، ثانى وثالث أكسيد الكبريت، مركبات الكبريت والسليكا
- مسابك الصلب الزهر ومصانع السباك الحديدية	جسيمات، دخان، روائح
- مصانع الورق	جسيمات، روائح ثانى وثالث أكسيد الكبريت
- صناعة كربيد الكالسيوم	جسيمات
- قمائن حريق الجبر	جسيمات
- الصودا الكلوية والكلور	غازات الكلور

٤- ساهم موقع المنطقة فى زيادة التلوث لتأثرها باتجاهين من الرياح، هما الشمالى الغربى والشمالى الشرقى[٢٠].

وفى نفس الوقت أشارت نتائج القياسات إلى زيادة تركيزات الأتربة العالقة بالهواء يوميا وشهريا والتى اعتمدت اعتمادا كبيرا على العوامل الجوية السائدة بالمنطقة. الأمر الذى جعل منطقة حلوان ابتداء من شركة طره الأسمنت شمالا حتى مدينة حلوان جنوبا مستهدفة لملوثات الجو الناتجة عن المصانع[٢١] المنتشرة فى هذه المنطقة والتى تضاعفت عاما بعد عام.

(انظر الجدول رقم(٣) الذى يوضح نسبة الأتربة المتساقطة على منطقة حلوان).

جدول رقم(٣)

السنة	الكمية	المعدل
١٩٦٧	١٠٦ طن / ميل مربع	شهريا
١٩٧١	٢٥٦ طن / ميل مربع	شهريا
١٩٧٤	٣٧١ طن / ميل مربع	شهريا

وتجمع نتائج القياسات لكل من دراسة الغندور وزملائه ودراسة مركز الأبحاث الفلكية، وكلية العلوم بجامعة حلوان على أن منطقة المعصرة من المناطق التى تزيد بها نسبة تساقط الأتربة. فقد وصلت عام ١٩٧٥ إلى ٢٧٨ طن / كم٢ يوميا، وعام ١٩٧٦-١٩٧٨-٣٥٣,٣٤ طن / كم٢ [٢٢]، ووصلت عام ١٩٩٤ إلى ٢٠٠ طن يوميا وبالتحديد من شركة طره الأسمنت[٢٣] وهذا هو ما دفعنا إلى اختيار المعصرة بحلوان لتكون مجتمعا لهذه الدراسة.

منطقة المعصرة: تتكون من إقليمين: الأول هو **المعصرة البلد**، وتبدأ من ترعة الخشاب شرقا وتنتهى بكورنيش النيل غربا. الإقليم الثانى **المعصرة المحطة**، وتبدأ من طريق الأوتوستراد شرقا، ثم يقطعها خط مترو حلوان فى الوسط وتنتهى بترعة الخشاب.

وعموما فإن البحث الحالى سوف يقتصر على منطقة المعصرة المحطة، وهى تتكون من ثلاثة تكتلات سكنية هى: المعصرة المحطة، عزبة الهجانة، عزبة الصفيح. ويقدر عدد سكانها - طبقا للتقديرات المحلية - عام ١٩٩٤ بـ ٧٠٥٤٧ نسمة[٢٤]. ويعمل معظم سكانها عمالا بالمصانع الواقعة بمنطقة حلوان، وبالوظائف الحكومية وأعمال الخدمات بالقاهرة الكبرى، إلى جانب المهن والحرف المتنوعة (نقاش - نجار - ميكانيكى - خياط - تجارة متنوعة - عمال أرزقية أى باليومية - عاطلين).

تتميز الخصائص الإيكولوجية العامة للمعصرة بالعشوائية وغيبة النظر إلى المستقبل القريب أو البعيد، بإغفال المخططين لبعدين هامين هما:

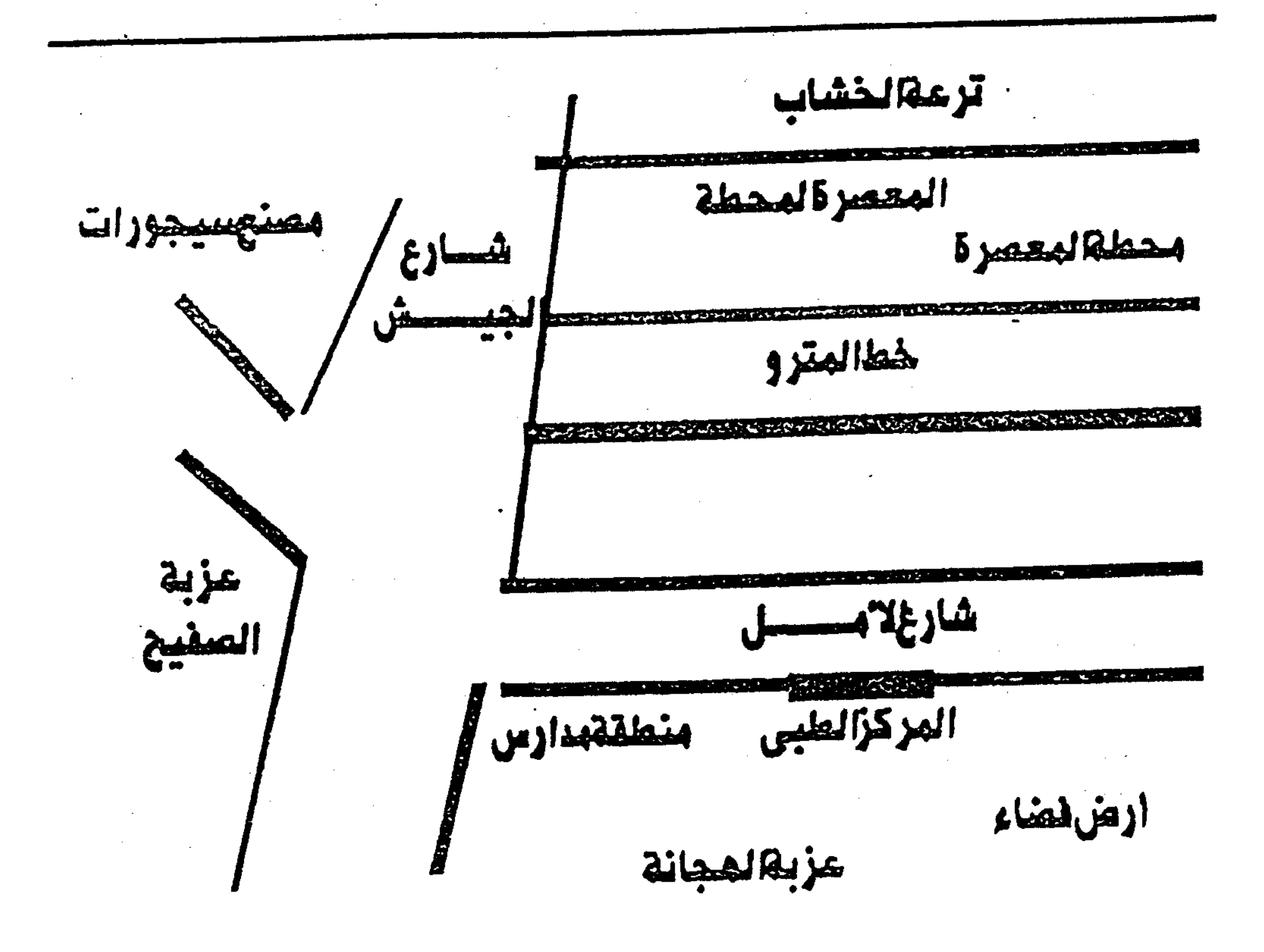
أ- **الامتداد الحضرى:** الذى تتعرض له المدن أو القطاعات الحضرية عامة بسبب زيادة معدلات الكثافة السكانية.

ب- **عدم التخطيط** عند إقامة المناطق الصناعية بمنطقة حلوان عامة، ومنطقة المعصرة خاصة، وإغفال اعتبارات طاقة المنطقة الاستيعابية من حيث العمل والمساكن والخدمات العامة، وما يترتب على موجات المهاجرين الوافدين من بعض المحافظات الطاردة بكل من الصعيد والدلتا بحثا عن فرص عمل جديدة، فلم تخضع هذه الموجات لأى قواعد تنظيمية أو تخطيطية مسبقة. ولذا استمر التمدد العشوائى بمنطقة المعصرة فى كل اتجاه ليكون العمال بالقرب من منطقة العمل، دون النظر إلى طبيعة الصناعات الموجودة فى هذه المنطقة

والآثار المدمرة التى يمكن أن تؤثر على صحتهم وصحة أطفالهم فى المستقبل. وبالتدريج تفاقمت مشكلة الإسكان والسكان، فانتشرت ظاهرة المنطقة الحضرية الفقيرة التى يعيش أصحابها فى مساكن رديئة (العشش - مساكن (أى مشتركة) شرك خالية من الخدمات الأساسية وغير صحية).

ومن الملاحظ أن ظاهرة الفقر الحضرى لا ترتبط فقط بالعوز المادى، رغم أنه هو أهم ملامحها وأبرزها، وإنما هى ظاهرة مركبة تتشكل لأسباب اقتصادية وعوامل اجتماعية ودوافع سياسية. وتتكامل هذه الجوانب جميعها لتتمركز فى نطاق مكانى محدد تطلق عليه تسميات متباينة، ولكنها تجمع فى النهاية على وصف شامل عام هو المناطق المتخلفة بالمدينة[٢٥]. ويعكس هذا كله المكونات الإيكولوجية للمعصرة (ويتضح ذلك فى مخطط التقسيم الإدارى للمعصرة المحطة) وهى على النحو التالى:

خريطة (٥) التقسيم الإداري للمعصرة



١- المنطقة الصناعية: وقد تحدثنا عنها فى صفحات سابقة.

٢- الكتلة السكنية: تتكون من ثلاث مناطق:

أ- المعصرة المحطة(*): تقع شرق خط مترو الأنفاق، يحدها من الغرب ترعة الخشاب ومن الشمال شارع الجيش ومن الجنوب حتى وادى حوف: تمثل هذه المنطقة سكنى أسر الشريحة الوسطى الدنيا، من موظفى الحكومة وعمال الشركات الصناعية بمنطقة حلوان والحرف المتنوعة.

ب- عزبة الصفيح(**): يحدها من الشمال مصنع شركة سيجورات ومن الجنوب شارع الجيش ومنطقة المدارس وعزبة الهجانة، ويحدها من الشرق طريق الأوتوستراد: تمثل هذه المنطقة سكن أسر الشريحة المعدمة (أو الدنيا الدنيا – الدنيا الوسطى).

ج- عزبة الهجانة(***): يحدها من الغرب مترو الأنفاق وشارع الأمل ويحدها من الشمال شارع الجيش ومنطقة المدارس، ومن الشرق طريق الأوتوستراد: تمثل هذه المنطقة سكنى الأسر من الشريحة المعدمة (الدنيا الدنيا – والدنيا الوسطى). وكانت المنطقة إلى عهد قريب أرضاً زراعية توفر للسكان المحاصيل والخضروات، فضلاً عن الألبان ومنتجاتها حيث ترتبط بتربية الأبقار وبالزراعة.

وبعد افتتاح مصنع الأسمنت تغير الحال ولجأ الفلاحون إلى قلع الزراعات أو ترك الأرض بوراً، وذلك لتعرض المنطقة للرياح الشمالية الشرقية والشمالية الغربية طوال العام[٢٦] مما تسبب نقل كميات هائلة من أتربة المصانع – الأسمنت خاصة – التى أدت تكلس المحاصيل الزراعية وموت كثير من الحيوانات. ولذا اتجه بعض الأهالى لترك النشاط الزراعى والبحث عن

(*) ترجع تسمية هذه المنطقة باسم المعصرة إلى أنه كان يوجد بها معاصر لعصر زيت الخس والقصب ولكن توقفت مع بداية النشاط الصناعي بالمنطقة.

(**) ترجع تسمية المنطقة باسم عزبة الصفيح إلى أن المساكن القديمة كانت كلها مبنية من الصفيح، وكان يعيش فيها جماعات البدو (العرب) الذين كانوا يعملون بنشاط الرعى وتجارة الحيوانات.

(***) ترجع تسمية المنطقة باسم عزبة الهجانة إلى أنه كانت تقام بها معسكرات الهجانة التابعة لقوات حرس الحدود (أحواش الجمال) ومازالت موجودة على أطراف العزبة حتى وقت إجراء البحث.

أعمال أخرى، كالعمل فى المصانع بمنطقة حلوان. أما البعض الآخر فقد فضل بيع الأراضى الزراعية والاتجاه نحو بناء مساكن وتأجيرها للعمال الذين يعملون بالمنطقة، والوافدين من الصعيد والدلتا بحثا عن فرص عمل جديدة. وساهمت أزمة المساكن بالقاهرة الكبرى وارتفاع الإيجارات وانتشار نظام التمليك فى زيادة اتجاه الزحف السكانى إلى هذه المنطقة بحثا عن مساكن تناسب دخولهم، أو شراء أراض رخيصة للبناء عليها. ومنذ ذلك الحين ازداد الاتجاه نحو بيع الأراضى الزراعية وتحويلها إلى أراض لبناء المساكن ثم تأجيرها كمشاريع اقتصادية مضمونة العائد، وقد لاقت هذه الفكرة نجاحا منقطع النظير بين الفلاحين الذين تلفت محاصيلهم.

ومن ناحية أخرى، قامت جماعات العرب بالمنطقة باستغلال هذا الموقف وحاجة السوق إلى بناء مساكن لعمال المصانع، فاتجهت هى الأخرى نحو وضع اليد على أراضى الدولة. وساعد على ذلك إغفال أجهزة الإدارة المحلية تحصيل العوائد عنها، مما دعم الإحساس لدى جماعات البدو بأن هذه الأراضى ملك لهم، يحق لهم بناء مساكن عليها. فكانت الفرصة المناسبة أن تحولت هذه المنطقة من مساكن مبنية بالصفيح إلى مساكن بنيت بطرق عشوائية بهدف تأجيرها للعمال والوافدين. وقد أخذت طابع المسكن التقليدى الذى يتكون من طابق أو اثنين أو ثلاثة طوابق، بنظام السكنى المستقلة أو السكن المشترك.

٣- الشوارع: تنقسم الشوارع بالمعصرة إلى نوعين: النوع الأول الطرق الرئيسية وهى:

أ- طريق الأوتوستراد: هو طريق مرصوف، يمتد بطول منطقة المعصرة من الجهة الشرقية، ويربطها ومنطقة حلوان بالضواحى المحيطة ومدينة القاهرة الكبرى. وهو طريق حيوى تمر به جميع وسائل النقل المختلفة (العام - الخاص) والشاحنات التى تحمل المواد الخام والمنتجات المصنعة من المصانع إلى منافذ التوزيع أو منافذ التصدير.

ب- طريق الجيش: طريق رئيسى بالنسبة لمجتمع الدراسة،يتقاطع مع خط المترو ثم يستكمل امتداده حتى طرق حلوان، ويتوازى مع مصنع سيجورات من جهة الشمال. وهو طريق مرصوف تسير عليه الشاحنات من المصانع إلى منافذ التوزيع أو البيع.

ج- طريق الأمل: طريق رئيسى بالنسبة للمجتمع يتوسط الكتلة السكنية ويتوازى مع خط المترو وطريق الأوتوستراد من جهة الشرق، ويتقاطع مع شارع الجيش عند عزبة الصفيح وهو طريق ممهد، وذلك بفعل عوامل البيئة والعادات غير الصحية السائدة فى مجتمع المعصرة، المتمثلة فى كثرة المستنقعات بسبب طفح مياه الصرف الصحى، وتراكم أكوام القمامة المتجمعة من مخلفات المحال التجارية وأسواق الخضار ومخلفات البناء ومخلفات المركز الصحى والعيادات بالمجتمع على جانبى الطريق.

النوع الثانى الأزقة والحوارى: هى تفرعات عشوائية تتفرع من الشارعين الرئيسيين بالمنطقة، (شارع الجيش وشارع الأمل) يمر بها الأهالى للوصول إلى الكتل السكنية ذات الأبنية المتلاصقة والمكتظة بالسكان. وغالباً ما تتسم هذه الأزقة (التفريعات) بأنها غير ممهدة وترابية وضيقة، معظمها مسدود فى آخره، يصعب السير فيها من كثرة ما يوجد على جوانبها من أقفاص الطيور (دواجن - بط) والحيوانات الطليقة (خراف - ماعز)، وأخرى لمبيت الدواب، وشد حبال لنشر الغسيل، أو لتراكم بعض الأدوات المنزلية المحطمة التى ليس لها مكان داخل المساكن. فمن المفاهيم الثقافية الشائعة أن يتعامل معظم ساكنى المناطق العشوائية مع هذه الأزقة والحوارى على أنها امتداد للمسكن (المكون عادة من حجرة أو حجرتين فقط) - الذى يضيق أصلاً بأعضائه، مما يضطرهم إلى وضع ما تبقى من مخلفات أو أدوات خارج المنزل فى الحارة. كما يشيع جلوس النساء والفتيات معظم ساعات النهار - وبخاصة فى فصل الشتاء - أمام مساكنهن صباحاً يلتمسن الدفء نظراً لرطوبة المساكن وظلامها. أما صيفاً فإنهن يلتمسن نسمة هواء وليقمن بأداء معظم المهام المنزلية. حيث أن بعضهن يقمن بغسل الأوانى، والأخريات يغسلن الغسيل وينظفن الخضار، ويقمن بتنقية الأرز، وإطعام الطيور ورعايتها. ويستطيع المار بهذه الأزقة والحوارى أن يخترق ببصره حرمة المساكن أو الحجرات التى لها فتحات على الحارة، ويكشف كل تفاصيلها الداخلية، كما بلغت أسقف المساكن حداً من الانخفاض أن الإنسان يستطيع أن يلمس سقف المنزل بدون مجهود، نظراً لانخفاض المسكن عن سطح الأرض. وهناك بعض المساكن أصبحت فى مستوى منخفض عن سطح الحارة. ولكى يصل إليها الإنسان عليه أن يهبط درجتين من السلالم بسبب أكوام القمامة ومخلفات البناء وروث الحيوانات فى هذه المساحات الضيقة،

والتى عادة ما تتناثر على مساحة واسعة من الأرض بسبب لعب الأطفال عليها (وكذلك الطيور والحيوانات). ومن جهة أخرى تتفاعل كل هذه المكونات مع مياه المجارى دائمة الطفح فى هذه الحوارى، كما يساعد على سرعة تناثرها وانتشارها كثرة عدد السكان المارين عليها، فتفترش الأرض حتى تتساوى مع سطح الأرض، وبالتدريج يرتفع سطح أرضية الحارة عن مستوى الشارع العمومى، وتتحول الحارة إلى مناطق غير مستوية يصعب السير عليها.

٤- المساكن: يوجد نمطان من المساكن فى مجتمع البحث:

النمط الأول: (مستقل فى السكن) يأخذ شكل طابق حتى أربعة طوابق، مبنى بالطوب الأحمر والأسمنت، مسقوف بالحديد المسلح والأسمنت، تقسم إلى مجموعة من الشقق يتوفر بها الخدمات الأساسية (صرف صحى ترنشات) - مياه نقية، كهرباء، منافذ للتهوية (شبابيك وبلكونات). تتكون من حجرة وصالة ودورة مياه مستقلة، أو من حجرتين وصالة ودورة مياه مستقلة، مطلية بالجير الأبيض أو الملون. لكن بعض هذه الشقق بدون طبقة المحارة من الخارج أى (على الطوب الأحمر)، والأرضية مبلطة بالبلاط. ويكثر هذا النمط فى منطقة المعصرة المحطة، حيث تسكن الشرائح الوسطى الدنيا من الموظفين الذين يعملون فى القاهرة الكبرى ومنطقة حلوان والمعصرة. كما يوجد من هذا النمط فى عزبتى الهجانة والصفيح.

النمط الثانى: (مساكن الشرك) تتكون من طابق أو طابقين على الأكثر، مبنية بالحجر الجبلى والطين، مسقوفة بعروق خشب وألواح من الصاج، يطلق عليها فى منطقة البحث (الأمنتو). ويغطى غالباً بالطين لتثبيته ولسد ما تبقى من الفتحات للحماية من مياه الأمطار شتاء وحرارة الشمس صيفاً. وغالباً يكون بدون طلاء، والأرضية غير مبلطة (ترابية) والبعض مبلط بطبقة من الأسمنت ولكن معالمه تغيرت، ضيقة، لا تتوفر بها التربة الجيدة وهى رطبة، ولها رائحة خاصة ذلك لأن معظمها خال من فتحات التهوية، وإذا وجدت فتحة تكون ضيقة وفى مستوى عال قريب من السقف ولا تتلاءم مع الكثافة داخل الحجرة. ولا يوجد بها مطبخ، وعادة ما يخصص أحد أركان الحجرة لوضع أوانى الطهى. ولكن معظم النساء يخرجن فى الممر المشترك بين الحجرات المؤجرة وتتخذ كل منهن ركنا للطهى فيه، وبعضهن يقمن بالطهى خارج

المسكن أمام الباب فى الحارة أو الزقاق. كما يخلو المسكن من دورات المياه. وتقول إحدى الإخباريات: (أصحاب البيت خايفين من كتر الميه لتبوش الحيطان). والبعض به دورة مياه مشتركة، ولا يوجد شبكة للصرف الصحى وإنما "ترنش" يتم نزحه عندما يمتلئ. وفى معظم الأحوال يتباطأ السكان عن نزحه مما يتسبب فى طفحه ودخول المياه داخل حجرات المسكن ويخرج باقى الطفح إلى الحارة أو الزقاق، مكوناً مستنقعات دائمة طوال العام، وتصبح مصدراً للروائح الكريهة، ومرتعاً للحشرات الزاحفة والطائرة والتى تعود على هيئة أسراب لتزاحم السكان وتشاركهم فى حجراتهم.

ولقد كشفت الدراسة الميدانية عن حدوث كثير من المشاجرات بين أفراد الأسر داخل المسكن الشرك بسبب دورة المياه المشتركة، نظراً لارتفاع معدل الكثافة التى تصل فى المتوسط من ٢٠ إلى ٢٥ فرد، باختلاف جنسهم ومراحلهم العمرية، مما يجعل معظم الأطفال يهربون من هذا الصراع شبه اليومى ليقضوا حاجتهم خارج المنزل على أكوام القمامة أو على أحد جانبى الحارة. يكثر هذا النمط من المساكن فى عزبتى الصفيح والهجانة، حيث يرتفع معدل الزحام بصفة عامة فى هاتين المنطقتين، وترتفع درجة التزاحم داخل المسكن المشترك بصفة خاصة، مما يؤدى إلى انتفاء الخصوصية وانتشار الفوضى والضوضاء، وارتفاع الاستجابة الجماعية للصراع والغوغائية. وعلى المستوى الأكثر عمقاً فقد كشفت الدراسة الميدانية عن وجود علاقة بين ارتفاع معدل الزحام والتزاحم والكثافة السكانية داخل الحجرة (كمسكن)، وبين حدوث انحرافات خلقية متمثلة فى الاعتداءات الجنسية بين درجات المحارم (لا يتسع المقام للحديث عن هذا الموضوع وسوف تؤجله الباحثة لبحث متعمق آخر). كما لاحظت الباحثة أثناء الدراسة الميدانية حدوث حملات من رجال الشرطة للقبض على تجار المخدرات والمدمنين بالمنطقة.

وخلاصة القول: لقد أدت هذه الوضعية غير المتوازنة فى مجتمع البحث إلى هيمنة وغلبة المناطق غير المنضبطة (العشوائية) المتخلفة على المنطقة الصناعية حتى حولتها إلى وكر للانحراف والجريمة.

٥- **الترع:** يوجد بمنطقة المعصرة ترعة واحدة تعرف بترعة الخشاب، وهى تمثل الحد الفاصل بين المعصرة المحطة والمعصرة البلد. وقد تبين أن هذه

الترعة هى المصرف الوحيد الذى يلقى فيه نزح ترنشات مجارى المنازل التــى تنقل بالعربات، إلى جانب كونها المقلب الرئيســى للقمامــة لمعظــم المســاكن القريبــة منها. كما تبين أن هناك اتجاهاً لدى بعض الأهــالى فــى المعصــرة المحطة نحو مد شبكة المجارى إلى منازلهم. وهذه الشبكة مازالت تصــب فــى ترعة الخشاب. ولقد حدث فى فترة الدراسة الميدانية أن غرق أحد الأطفال فــى هذه الترعة، نظراً لتراكم كميات القمامة على سطحها فيخيــل للمــارة عامــة وللأطفال خاصة أنها امتداد للشارع. ولم يدرك الطفل صغير السن أن تحت هذه القمامة مياهاً راكدة فسقط فيها ومات.

رابعاً: تلوث الهواء والإصابة بالمرض

تجمع نتائج معظم الدراسات التى أجريت فــى مجــال صحــة الطفــل - وبالتحديد التى تمت فى كل من ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا - على أن صحة الأطفال فى المناطق الصناعية ذات التلوث العالى أكثر تدهوراً بالمقارنة بأقرانــهم فــى المناطق الأقل تلوثاً. وقد وجد أن المجموعة الأولى أكثر تعرضــاً للأمــراض وخصوصاً الضعف العام (الأنيميا) والكساح. إلى جانب أن هناك فروقاً واضحة فى هيموجلوبين الدم ومستوى الكالسيوم والفوسفور فــى الــدم لــدى أطفــال المناطــق ذات التلوث العالى.

أما دراسة هودجسن Hodgson التى أجراها عام ١٩٧٠ واستمرت قرابــة عامين ونصف بمدينة نيويورك فكشفت عن النتيجة التالية:

- أن أى زيادة فى تركيز الملوثات فى الجو - حتى لو لم تكــن هــذه الزيــادة ملحوظة - تتسبب فى زيادة حالات الوفاة والإصابة بأمراض القلب وأمــراض الجهاز التنفسى بأعداد تصل إلى مئات الأشخاص شهرياً[٢٨].

كما كشفت نتائج دراسات متخصصة عن:

- وجود علاقة بين النشاط الصناعى بمنطقة حلوان وارتفــاع معــدل إصابــة الأطفال حيث تقدر بـــ٣٠% بينما يقدر معدل الإصابة بين الأطفــال بــأمراض الطفولة بالمناطق الريفية فـــ ج. م. ع بـــ٩%[٢٩].
- من نتائج بعض الدراسات المتخصصة والتى قامت بالتحليل الكيميائى لعــادم الأسمنت بالمنطقة، أنه مخلوط بنواتج الاحتراق ومركبات كيميائية ذات تــأثير

بالغ الخطورة على صحة الإنسان عامة والأطفال خاصة.

انظر الجدول رقم (٦) يوضح لنا المركبات الكيميائية الداخلة فى تركيب عادم مصانع الأسمنت.

المركبات ونسبتها	الأمراض
- ثانى أكسيد السليكون (السليكا الحر) (١٤,٧%).	يؤدى استنشاقه إلى الإصابة بمرض التحجر الرئوى (السليكوزى).
- الجسيمات الصلبة الدقيقة يتراوح قطرها ١-٥ ميكرون.	تتسبب فى الإصابة بأمراض الجهاز التنفسى، تزداد خطورة هذه الجسيمات إذا كانت بها عناصر سامة كالزئبق والمعادن الثقيلة تتسبب فى الإصابة بالأمراض الصدرية (الربو الشعبى).
- أكسيد الحديد ٢,١٨% أكسيد الألومنيوم ٣,٣٥%، أكسيد الماغنسيوم ٢,١%، أكسيد الكالسيوم ٤٧,٢%، ثانى أكسيد الكبريت - مركبات الكبريت ٤,٩٥%.	تسبب الإصابة بأمراض القلب بسبب ترسب الكولسترول فى الشريان الأورطى.
- ارتفاع معدل التساقط من الأتربة يتسبب فى حجب ٥,٥% من أشعة الشمس. ٢٠٠ طن يومياً على منطقة المعصرة.	الإصابة بلين العظام والكساح.

خامساً: السمات العامة لحالات العينة

التعليم: ترتفع نسبة الأمية بين الأزواج والزوجات فى كل من عزبتى الهجانة والصفيح، وتقل نسبياً في منطقة المعصرة. كما لا يوجد من العينة من الزوجات من تعلمن تعليماً جامعياً إلا واحدة فقط فى المعصرة المحطة. أما من أنهين مرحلة التعليم المتوسط فقد زاد عددهن بين أفراد عينة المعصرة، حيث بلغن ٤ زوجات. أما الأزواج فهناك ٣ أزواج أنهوا مرحلة التعليم المتوسط، واثنان اجتازا مرحلة فوق المتوسط ومرحلة التعليم الجامعى (بالمعصرة). ومن المتوقع أن تشكل هذه الأمية أو تؤثر فى كثير من مفاهيم الأزواج والزوجات فى تعاملهم مع مكونات البيئة الملوثة، دون مراعاة أدنى مستوى للحرص أو

النظافة، وذلك إلى جانب سلوكهم عند اكتشاف أعراض مرض لـــدى أطفالـــهم وسرعة أو بطء استجابتهم للعلاج الرسمي وبهذا المفهوم سوف نلاحظ انخفاض الوعي الصحى بين غالبية الزوجات والأزواج فى عزبتى الهجانة والصفيـــح، إذ أن ذلك وثيق الصلة بالأمية وانتشارها.

المهن: يكاد يكون معظم الأزواج فى عزبتى الهجانة والصفيح فى حالة بطالـــة دائمة أو موسمية. ويرجع ذلك إلى إصابة البعض منهم بأمراض مزمنة أقعدتـــهم عن العمل، أو بسبب عدم وجود فرص العمل الدائم. ذلك لأن معظـــم مســـاكن العزبتين متاحة أمام الوافدين والمهاجرين من بعض محافظات الصعيد والدلتـــا بحثا عن فرص عمل جديد، أو ممن يعملون بالحرف (نقاش - حمال)، عـــامل أرزقى. وهناك ٧ أزواج واحد منهم مدرس ويعمل ثلاثة منهم بمصنع الأسمنت، وواحد فى أعمال الخدمات (بالمدرسة) واثنان فى وظـــائف كتابيـــة وإشـــرافية (المعصرة - القاهرة).

أما الزوجات: فمنهن ٢ ربات بيوت، أما الثلاثة عشرة الأخريـــات فـــهن كالآتى: ٣ يعملن موظفات (٢ بالمركز الطبـــى بـــالمعصرة، ١ مدرســـة)، ٣ عاملات (بالمركز الطبى)، ٧ بائعات بالسوق (خضار - عيش). ويعنـــى ذلـــك خروج المرأة للعمل لساعات طويلة، نظرا لاعتماد أسرتها على دخلها، وبالتـــالى تعتمد على الأبناء الكبار لرعاية الأخوة الصغار، أو بعض الدرجـــات القرابيـــة المقيمين معهم.

الدخل: فى ضوء المهن التى تمارسها أسر العينة، يتضح لنا أن هناك ٩ أســـر ليس لديها دخل ثابت، أو تعتمد على دخل الزوجة. ومعظم الزوجات العـــاملات يتراوح دخلهن ما بين ٨٠ جنيه (عاملات خدمات) اثنتان تقبضان كـــل شـــهر والثالثة كل ٤٥ يوم لأنها معينة على بند مكافأة. يصل الدخل اليومى للبائعـــات السبعة ما بين ٣-٥ جنيهات يومياً أى ٩٠-١٥٠ جنيه شـــهرياً. والموظفـــات يتراوح دخلهن ما بين ١٥٠-١٨٥ جنيهاً وهن ثلاث.

قامت الباحثة بمحاولة تقسيم العينة وفقـــاً لمحكـــات سوســـيولوجية هـــى: (المهنـــة - الدخل - التعليم) إلى ثلاث شرائح طبقية:

- **الشريحة الدنيا العليا:** بها أسرتان تعتمدان على مرتـــب كـــل مـــن الـــزوج والزوجة، يقدر الدخل ما بين ٣٠٠ ٤٠٠ جنيه شهري

- **الشريحة الدنيا الوسطى**: بها ثلاث أسر، تعتمد أسرتان على دخل الزوج فقط الذى يقدر من ٢٠٠-٢٥٠ جنيهاً شهرياً، والأسرة الثالثة تعتمد على دخل كل من الزوج والزوجة، ويقدر دخلهما معاً من ١٦٠-١٨٠ جنيه شهرياً.
- **الشريحة المعدمة**: بها تسع أسر: ثلاثة أسر تعولها الزوجة، مع عدم وجود دخل ثابت. وثلاثة أسر تعتمد على دخل الزوج والزوجة غير الثابت. وثلاثة أسر تعتمد على دخل الزوجة من مهن دائمة ويقدر من ٨٠-١٠٠ جنيه.

ولقد كشفت الدراسة الميدانية عن وجود علاقة قوية بين تدنى الدخل الأسرى أو عدم انتظامه، وبين العديد من الصراعات والمشاكل ذات الطابع الاجتماع والاقتصادى، والصحى بين الزوجين. تقول إحدى الإخباريات: "الستات هنا ماتبطلش خناق مع جوازهم بسبب قعدته فى البيت بدون شغل، وياريت على كده عاجب، إلا هو قاعد بيتأمر وعايز سجاير بالنهار ويشرب ميه بالليل وياكل لحمه. منين أجيب وأنا يدوب يومى بيصفى على ٢ أو ٥ جنيه. طول النهار قاعدة فى السوق متحمله حرها وبردها". وتقول إخبارية أخرى تعمل عاملة بالمركز الصحى بالمعصرة: "إحنا مش عارفين نعيش، أنا ماعنديش غير عيل واحد جبته بعد ٧ سنين جواز، لكن بربى خمسة ولاد أختى اللى ماتت وبعدها جوزها مات وسابهم ليه كوم لحم، ده أنا باصرف على ٨ أفراد، وأنا باخد مرتب كام ٨٠ جنيه، ٦٠ جنيه أجرة الأوضة، ٥ جنيه لمية الشرب مع إن البيت مفهوش ميه، ٥ جنيه لنزح بيت الراحة، قولى يفضل كام؟ اللى بيفضل ما يأكلش عيش حاف علشان كده تلاقينى بعد العمل أطلع أشوف شغل فى عيادة أو أى بيت بس لما يطلبونى عشان كده أولاد أختى خرجتهم من المدارس".

أما بالنسبة للمشاكل الصحية، فقد ساهم انخفاض الدخل لدى بعض الأسر فى ظهور بعض أمراض سوء التغذية والضعف العام، الذى انتهى بإصابة الأطفال بلين العظام والكساح ذلك بسبب عجز الأسرة عن تقديم أطعمة يتوفر فيها الكالسيوم وفيتامين (د) اللازمين لتكوين وتقوية العظام على المستويين: الأم وهى حامل، والطفل بعد ولادته وفى مراحل نموه المختلفة.

حجم الأسرة:

يلاحظ كبر حجم الأسرة فى عزبتى الهجانة والصفيح، إذ يزيد عن ٦ أفراد باستثناء أسرتين بلغ مجموع حجمهما ٤ أفراد (بالمعصرة)، ولوحظ أن حجم

الأسر الباقية بلغ ١٠ أفراد فأكثر. ومازال النمط الأسرى المشترك هو الشكل الأسرى الغالب فى المجتمع، حيث يسمح هذا النمط باقامة والدى الزوج والأخوة غير المتزوجين، واستقبال الأقارب أو المعارف باعتبارهم قد سبقوهم إلى هذه المنطقة وسكنوا فيها.

ويعتبر ذلك من أكبر الدوافع التى تساعد على تركيز المهاجرين بمناطق معينة كما هو قائم بالفعل فى منطقة المعصرة، وبالتحديد عزبة الصفيح وعزبة الهجانة. وغالبا ما تأخذ المناطق التى يتجمع بها النازحون شكل السكن المشترك أو شكل مستوطنات صغيرة (التجمع فى حوارى وأزقة متقاربة)، وذلك من منطلق الأساس القرابى تارة، أو مكان الميلاد الأصلى (البلديات) أو القرب من منطقة الطرد (من نواحينا صعيدى أو فلاح).

مدى الإقامة:

تكاد معظم أسر العينة تتراوح إقامتهم بمجتمع الدراسة ما بين خمس عشرة إلى عشرين سنة، باستثناء خمس أسر، منها أسرتان بلغت مدة الإقامة من ١٢-١٧ سنة، وثلاث أسر بلغت ٨ سنوات.

التاريخ المرضى للأسر:

تجمع نتائج الدراسة الميدانية على أن الغالبية العظمى من أسر العينة لهم تاريخ مرضى طويل سواء على مستوى البالغين أو الأبناء باختلاف مراحلهم العمرية، وتنحصر معظم أمراض البالغين فى الأمراض المزمنة (أمراض الجهاز التنفسى). أما الأبناء، فتتركز فى الإسهال والنزلات الشعبية والنزلات المعوية والضعف العام والأمراض الجلدية، وأمراض العيون، والالتهاب الرئوى. كما لوحظ أن ١٢ أسرة من أسر العينة توفى لديهم طفل أو اثنان فى مرحلة الطفولة المبكرة، نظرا لكثرة الإصابة بالإسهال فالجفاف، والضعف العام (الأنيميا) والالتهاب الرئوى. وسوف تتناول الباحثة ذلك بالتفصيل فى موضع آخر.

ودلتنا معايشة مجتمع البحث على أن تلك الإصابات المرضية ترجع إلى انخفاض الدخل وانعدامه لدى الغالبية العظمى من أسر العينة، مما يجعل أرباب الأسر فى حالة عجز دائم عن مواجهة أمراض الأطفال الناتجة عن

التلوث البيئى، بالتباطؤ فى الذهاب للمركز الطبى، نظرا لارتفاع قيمة الخدمات الطبية بالنسبة لمستوى الدخل، مما يجعل الأسرة تبدأ فى العلاج بالطرق الشعبية. وعندما تسوء حالة الطفل أو تتفاقم، تضطر للذهاب إلى المركز الطبى. كما يساهم كل من تدنى المستوى الاقتصادى وكبر حجم الأسرة فى عجز الأسرة عن توفير المسكن الصحى والغذاء الجيد اللازم لكل مرحلة من مراحل نمو الطفل، مما يترتب عليه إصابة الأطفال بالضعف العام. كما ساهم ارتفاع معدل الكثافة ومعدل التزاحم فى المسكن فى زيادة معدل انتشار الإصابة بين أفراد الأسرة، خصوصا بالنسبة لأمراض الجهاز التنفسى والأمراض الجلدية، التى تتطلب أن يكون للمريض أكثر من غيار وأن يتم غليه ولا يستخدمه أحد من إخوته. ومن البديهى أن ذلك لا يتحقق لعدم قدرة الأسرة على توفير هذه الاحتياجات للأبناء بسبب تدنى المستوى الاقتصادى.

سادسا: عادم الأسمنت وأمراض الطفولة فى المعصرة

سبق أن تناولنا بالحديث الآثار الضارة التى قد يحدثها اختلاط الهواء بعوادم ونفايات المناطق الصناعية على صحة الإنسان عامة، والأطفال خاصة، وذلك من واقع نتائج دراسات متخصصة فى مجال التلوث فى بداية البحث. والقضية المحورية لموضوع هذا البحث هى إلقاء الضوء على أمراض الطفولة فى منطقة المعصرة، وعلاقة هذه الأمراض بالتكنولوجيا المنتشرة فى المنطقة. ولما كانت الإحصاءات قد كشفت عن أن منطقة حلوان لها النصيب الأكبر من منشآت إنتاج الأسمنت، فإننا سوف نركز فى هذا الجزء على علاقة تلوث الهواء بعادم الأسمنت بأمراض الطفولة، وذلك من خلال ما يلى:

التعرف على مفهوم تلوث الهواء لدى الزوجات في مجتمع البحث، ثم نعرض لأنماط الخدمة العلاجية المتوفرة فى مجتمع البحث (حكومى - خاص) لقطاع الطفولة بغية إلقاء الضوء على أمراض الطفولة. ونظرا لتدنى المستويات الاقتصادية فى المعصرة، فإن الخدمة العلاجية بالعيادة الخاصة تكاد تكون شبه متوقفة لأن معظم السكان يتعامل مع المؤسسات العلاجية الحكومية. وذلك يرجع إلى ارتفاع تكلفة الخدمة العلاجية الخاصة (العيادات) بالنسبة لدخل السكان، حيث تتراوح قيمة الكشف بالعيادة من ٥-٧ جنيهات من ناحية، واقتصار تقديم الخدمة العلاجية للعيادات الخاصة على الفترة المسائية من الساعة الخامسة إلى

السابعة شتاء، ومن الساعة السادسة إلى الثامنة مساء صيفا من ناحية أخرى.

١ - مفهوم تلوث الهواء بالمعصرة

لدى معظم سكان المعصرة في المناطق السكنية الثلاثة مفهوم شكلي عن تلوث الهواء، بمعنى أنه ناتج عن شبورة الغبار التي تتم رؤيتها بالعين، وتغير لون الملابس، سواء التي يرتديها أو التي تم غسلها ونشرها، وامتلاء المساكن بالتراب حتى لو كانت نوافذها مغلقة، وتغير لون أرضيات المسكن والأثاث، وهذه كلها يتم تنظيفها يوميا. كما أن لدى نساء المجتمع مفهوما خاصا عن مواجهة تلوث الهواء الذي لا يتسق والواقع المعاش، فنجد أن الزوجات (ربات البيوت - عاملات) أفضن في وصف ما يتم اتخاذه من أساليب لمقاومة دخول الهواء الملوث إلى مساكنهن. يتمثل ذلك في العناية بغلق النوافذ والشرفات، ووضع ورق على شيش الشباك الخشبي لمنع تسرب التراب (المعصرة المحطة)، إلى جانب الكنس وتنظيف الأثاث يوميا، بل ومرتين في اليوم الواحد، إلى جانب حرصها الشديد عند جمع الغسيل المنشور خارج المسكن أن تقوم بإزالة التراب العالق (بنفضه عدة مرات).

أما بالنسبة للعناية بالأطفال، فيقمن بتغيير ملابسهم بشكل يومي، خصوصا التي خرج بها خارج المنزل (ملابس المدرسة أو غيرها) حتى تتأكد من خلوها من التراب، إلى جانب أنهن يذكرن أنهن حريصات على تطبيق المفاهيم المثالية للعادات السلوكية الصحية، فتذكر معظمهن أنهن يقمن بغسل يدي الطفل قبل الأكل، وبعد قضاء الحاجة، وقص الأظافر، والتشطيف اليومي، والاستحمام مرتين في الأسبوع صيفا على الأقل، ومرة أسبوعيا شتاء. إلى جانب تغيير ملابسه وغسل بعض أجزاء جسمه بعد عمليات الإخراج، وتخصيص إناء بغطاء لتجميع قمامة المنزل، والحرص على تغطية المأكولات المطهية وغير المطهية، والاهتمام بغسل أواني الطهي النظيفة قبل استخدامها، إلى جانب حرصهن على غسل الخضر والفاكهة قبل استخدامها مرة أو مرتين. أما في حالة مرض أحد الأبناء فإنهن يحرصن على عزل الطفل المريض عن بقية الإخوة أو نومه عكس إخوته أو تصطحبه للنوم بجوارها. كما يحرصن على الذهاب إلى الطبيب عندما يشتكي الطفل من أي ألم.

إلا أن الملاحظات الميدانية المتكررة لأسر العينة أوضحت غير ذلك تماما،

فالأدوات التى يتم استخدامها للطهى يمكن أن تكون بها فضلات طعـــام باقيـة ومتروكة بالمطبخ تمر عليها الحشرات (الصراصير)، وذلك بسبب انقطـــاع أو ضعف المياه فى الأدوار العليا (المعصرة محطة)، وعدم توفر المياه النقية داخل المسكن (عزبتى الصفيح والهجانة). كما قد يكتفى بوضع قليل من الماء بالإنـــاء ورجه عدة مرات (مصمصته)، ويعتبر ذلك نظافة للإناء قبل استخدامه.

أما بالنسبة لعادات نظافة الأطفال، فلا يستحمون أو حتى يغسلون وجوهـهم على الأقل عند الاستيقاظ صباحا أو بعد الانتهاء من قضـــاء الحاجــة، أو قبـل الأكل، وذلك بسبب كبر حجم الأسرة وانشغال الأم فى أمور عديدة تجعلها فـــى غفلة عن تطبيق النمط المثالى أو التصورى الذى أشارت إليه علـــى مســتوى الحديث، لكنها بعيدة عن المستوى التطبيقى أو الفعلى لأنه يصبح أمرا غاية فــى الصعوبة فى ذلك الوسط الإيكولوجى الذى أشرنا إليه سلفا.

كما تبين شيوع عادة الرضاعة الصناعية فيما بين معظم نســاء المجتمــع بسبب ضعف صحة الأم التى يسببها كثرة عدد مرات الحمل والـــولادة. إلا أن المشكلة تكمن خطورتها فى عدم وعى الأمهات بأســاليب السـلوك والتعـامل الصحى مع الأطفال، مما يتسبب فى إصابتهم فى السنين الأولـــى مــن العمـر بالإسهال والنزلات المعوية طوال فترة الصيـــف، إلـــى جـــانب العديــد مــن الأمــراض الأخرى، التى تترتب على الإهمال وعدم وعى الأمهات بالعـــادات السلوكية الصحية، كالأمراض الجلدية (الجرب) والعيون.

كما لوحظ أن قدرة الأمهات على ملاحظة ما يطرأ على صحـــة أطفالـــهن مـــن تغير (هرش) يعتبر شيئا مستبعدا، وتقل درجة وعيهن بمرض أطفالهن إلا عندما يبكى أو يصرخ أو يشتكى هو بنفسه. وقد تبين أن الأم تترك الطفل يومــا أو اثنين أو أكثر ولا تذهب به إلى الطبيب إلا بعد انعدام قدرتـــه علـــى تحمــل الألـــم. وبالرغم من توعية الطبيب لها بأن الطفل مصاب بالديدان الدبوسية التى تسبب له الهرش فى فتحة الشرج وتسبب هذا الألم المبرح، وينصح بضـــرورة عزل الطفل المريض، إلا أنها بمجرد عودتها إلـــى المـــنزل تضـــرب بكـــلام الطبيـــب عرض الحائط، وتفعل عكس الإرشادات فتترك الطفل المريض ينـــام مع إخوته، وتغسل ملابسه مع ملابسهم بالماء البـــارد ودون صـــابون وتقـــوم بعصرها ونشرها، وأحيانا يرتدى السليم منهم ملابس المصاب.

وخلاصة القول، أن هناك شبه إجماع للأراء الطبية حول العلاقة بين الإصابة بالأمراض المرمنة (الديدان) وبين اتباع عادات غير صحية في بيئة ملوثة. والشيء المدهش تشجيع الأم للذهاب إلى أطراف المجتمع حيث تتراكم أكوام القمامة للبحث عن عبوات البلاستيك وجمعها في جوال لبيعها إلى المصانع التي تعيد تصنيعها. كما لاحظت الباحثة أثناء الزيارات الميدانية أن الأم كثيرا ما تقوم بإعداد الطعام دون غسل يديها بعد وصولها من عملها إذا لم تجد مياها نقية بالمنزل. وعادة ما تبدأ طهي ما أحضرته من خضروات في عجالة (لسه حاروح أجيب ميه ألحق أعمل له لقمة قبل ما يجي الراجل ويعمل معايا خناقة).

وفي أسرة أخرى، تصل الأم من عملها ومعها أكلة جاهزة (كشري) وتفرغ الكيس في الطبق بدون غسله، ثم تنادي على أولادها من الحارة ويجلس الجميع لتناول الطعام بأيديهم دون غسلها ودون استخدام ملعقة، لكن من الأرجح أن صعوبة الحياة ومشقتها وارتفاع نسبة الجهل هي التي يتسبب عنها عدم وعي النساء بمفهوم التلوث وبمضمونه الحقيقي وآثاره الضارة على الصحة. فكيف لها أن تدرك في وسط هذه المعاناة وانخفاض المستوى الاقتصادي الاهتمام ببعض الأشياء التي تبدو بالنسبة لها ثانوية أو مكلفة أو غير مفهومة. ثم كيف تتحقق هذه الجزئية أو تلك في سياق بيئي يحمل الكثير من مقومات التلوث والإصابة بالأمراض.

٢- إيقاع الحياة والعادات السلوكية غير الصحية وعلاقتها بأمراض الطفولة

فرض إيقاع الحياة بمجتمع البحث بعض العادات اليومية التي قد تساهم كبعد من أبعاد تلوث الوسط البيئي، إلى جانب تلوث الهواء، نظرا لأن طبيعة المجتمع منطقة صناعية، يبدأ فيها العمل من الساعة السابعة صباحا مع بداية أول وردية بالمصانع (مصنع الأسمنت - مصنع ٤٥ الحربي)، وينتهي في الرابعة بعد الظهر (مصنع ٤٥ الحربي)، بينما يستمر حتى اليوم التالي الساعة السابعة صباحا (بالنسبة لمصنع الأسمنت) في ثلاث ورديات لكل منها ثماني ساعات عمل.

وفي ضوء هذه الخصوصية لمجتمع البحث، ظهر نشاط جديد يتمثل في توفير الوجبات الغذائية طول اليوم عن طريق الباعة الجائلين.

أ- الباعة الجائلون:

يكثر الباعة الجائلون بصورة ملحوظة فى منطقة البحث، ويبلغ عددهم من ١٠-١٥ فردا يقومون بتقديم الوجبات الغذائية الثلاث إما على عربة مكشوفة، أو عمل نصبة (خيمة تتخذ كمحل لإعداد الأطعمة). ويقدم هؤلاء الباعة أصنافا متعددة: ففى وجبة الإفطار يقدمون الفول والطعمية، وكذلك وجبة العشاء. وفى الغذاء يقدمون الكشرى والجبن القديم. ونجد أفواج العمال وتلاميذ المدارس تتدفق وتلتف حول البائع، يقدم لكل فرد طبقا صغيرا الألومنيوم به كميه من الفول المدمس وآخر به كمية من السلطة (خضروات أو طحينة)، مع قرص أو اثنين طعمية ورغيفين من الخبز.

ومن الملاحظ أن هذه الفئة من الباعة الجائلين غير مرخص لهم بمزاولة هذا النشاط، ومن ثم لم تثبت صلاحيتهم من الناحية الصحية لمزاولة هذا النشاط. وقد اعتادت هذه الفئة من الباعة ممارسة بعض السلوكيات التى تتنافى مع القواعد الصحية، خصوصا عند إعداد الطعام. فمثلا لا يجد بعضهم غضاضة فى عدم غسل الخضروات التى تستخدم لعمل السلطة أو الطعمية. كما لا يبدون اهتماما بغسل الأطباق التى توزع فيها المأكولات على الزبائن بعد كل استخدام. كما لا يهتم بتغطية المأكولات (السلطة والطعمية) لحمايتها من الحشرات أو التراب الملوث. لذا فإن أى فرد يقع بصره على المأكولات المعروضة أمام هؤلاء الباعة إلا ويجد أطباق المأكولات محطا للذباب، إلى جانب استخدام البائع للطبق أكثر من مرة بدون غسيل بحجة قوله: "إن الرزق يحب الخفية، فترة الصبحية مفيش وقت عشان أغسل طبق". وإذا أراد أن يكرم أحد الزبائن يقوم بأداء حركة تمثيلية توحى بأنه يقوم بغسل الطبق إما بوضع كمية من الماء ويحركها فى الطبق أو يدخله ويخرجه فى جردل أو صفيحة به ماء بينما لا تزال بقايا الطعام عالقة به.

ب- تربية الطيور والحيوانات:

تنتشر تربية الطيور (بط - دجاج - أوز) والحيوانات المنزلية (ماعز - خراف) وتقتات الطيور والحيوانات على أكوام القمامة والمستنقعات، ويلعب الأطفال بجوارها. وفى المساء تبيت هذه الحيوانات والطيور مع أعضاء الأسرة فى نفس الحجرة. ولقد ثبت أن ريش بعض الطيور وفروة الحيوانات تحوى بعض أنواع الفيروسات والميكروبات التى قد تسبب بعض الأمراض الجلدية،

وبالتحديد الجرب. وفى ضوء السياق المحيط بـالطفل وملازمتـه للحيوانـات والطيور فى اللعب والمبيت، يصبح فريسة سهلة لمرض الجرب اللعين، الـذى تسببه عدم النظافة العامة والنظافة الشخصية خاصة.

ج- الحفاء:

عادة ما يسير الأطفال باختلاف مراحلهم العمرية بدون ارتـداء الأحذيـة صيفا وشتاء. ويقتصر لبس الحذاء على الذهاب إلى المدرسـة، ولمـا كـانت الأرض طينية (زراعية)، فهى مكان جيـد لتكـاثر الديـدان (الإنكلسـتوما - الاسكارس)، فمجرد أن تلامس الدودة رجل الطفل فإن حرارتها تسـهل مهمـة اختراق القدم، مما يتسبب فى الإصابة بالمرض.

د- الاستحمام فى الترع:

سبق أن أشرنا أنه يوجد ترعة واحدة هى ترعة الخشـاب، التـى تمثـل المصرف الأساسى لمياه المجارى والصرف الصحى، سواء ما يتـم نزحـه أو الذى يعتمد على شبكة الصرف الصحى، إلى جانب أن الترعة تمثـل المكـان الوحيد لمخلفات المصانع المحيطة (مصنع ٤٥ - مصانع الأسمنت)، بالإضافـة إلى كونها تمثل أحد مقالب القمامة للمساكن القريبة المجاورة لها. ورغم حجـم هذه الملوثات ونوعيتها، فإن ترعة الخشاب تمثل مكانا للهو الأطفال، خصوصـا فى فصل الصيف، وذلك للاستحمام بها نظرا لعدم توفر المياه فى معظم منـازل عزبتى الصفيح والهجانة. وهكذا تصبح ترعة الخشاب واحدة من مصادر إصابة الأطفال بالأمراض الجلدية والبهارسيا والديدان الأخرى.

٣- المركز الطبى العام بالمعصرة:

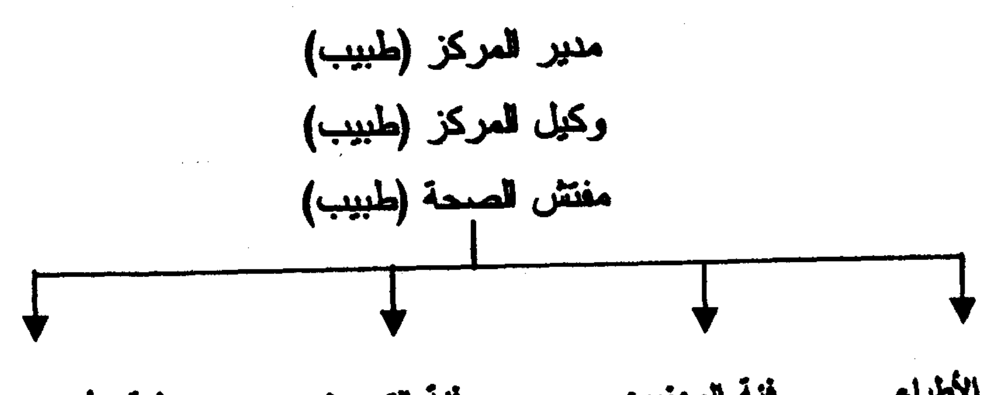
يقع المركز الطبى شرق محطة المترو ويخدم مناطق المعصـرة المحطـة وعزبة الصفيح وعزبة الهجانة، التى يبلغ التعداد التقديـرى لـها عـام ١٩٩٥ حوالى ٧٩٥٦ نسمة. ولعلنا نستطيع الوقوف على دور هذا المركز من خـلال استعراضنا لهيكله التنظيمى ونظم الخدمات العلاجية التى يقدمها. وهـى علـى النحو التالى:

أ- نظام العلاج: يقدم المركز الطبى الخدمة العلاجية من خلال نظامين:

الأول: نظام العلاج الشامل: ويعنى تقديم الخدمة العلاجيـة وصـرف الـدواء مجانـا بعد دفع قيمة التذكرة وقدرها ٩٥ قرشا.

الثانى: نظام العلاج الاقتصادى: ويعنى تقديم الخدمة العلاجية بعد دفـــع قيمـــة التذكرة وقدرها ١٤٠ قرشا، على أن يقوم المريض بشراء الدواء على نفقته مـن خارج المركز(٣٠).

ب- الهيكل التنظيمى بالمركز:



فئة الأطباء	فئة المهنيين	فئة التمريض	فئة الأعمال الكتابية
عدد	عدد	عدد	عدد
٥ طبيب بشرى	١ أخصائى اجتماعى	١ رئيس هيئة التمريض	١ مندوب صرف
٢ طبيب أسنان	١ أخصائى نفسى	١ وكيل هيئة التمريض	١ أمين مخزن
- صيدلى	١ مراقب صحى	٧ ممرضات	٣ كاتب شئون عاملين
		٦ ممرضون	٢ كاتب بمكتب الصحة
		٥ مولدات	٢ كاتب بالصيدلية
		١ عامل	١ فنى معمل
		٥ عاملات	١ مساعد فنى معمل

شكل (٧) الهيكل التنظيمى للمركز الطبى بالمعصرة

نلاحظ من الرسم التوضيحى للهيكل التنظيمى للمركز أن بـــه حوالـــى ٢٠ فردا يتوزعون على أربع فئات هم:

فئة الأطباء وعددهم ٧ ما بين طبيب وطبيبة، هيئة التمريض ٢٦ (ممرض وممرضة) الأعمال الكتابية ١١ فرداء المهن الأخرى ٣ أفراد.

ج- أقسام المركز الطبى:

يضم المركز الطبى أحد عشر قسما هى: الاستقبال - العيـــادة الشـــاملة - الصيدلية - عيادة الأسنان - مكتب الصحة - مكتب الخدمة الاجتماعية والنفسـية

- عيادة تنظيم الأسرة - رعاية الأمومة والطفولة - معمل التحاليل – المطبخ التعليمي – مسكن النوبتجية.

ويتكون المركز من طابقين:

الطابق الأول: ويضم جميع الأقسام السابقة، ويضم الطابق الثاني سكن النوبتجية.

قسم الاستقبال: يعمل طوال ٢٤ ساعة – طبقا لنظام النوبتجية – ويقسم إلى ثلاث فترات تضم كل فترة طبيبا وممرضة وعاملا، يقوم القسم بإسعاف جميع حالات الحوادث وعلاج الجروح والمغص الكلوى، إلى جانب قيامه بعمل بعض العمليات الصغيرة (طهارة ذكور – فتح الخراج). تتكون حجرة الاستقبال من منضدة للكشف، ومكتب الطبيب، ودولاب به بعض الأدوات الطبية، وبعض الأدوية الخاصة بالإسعافات السريعة، وبعض المواد المطهرة، وأدوية مسكنات، وخيط وإبرة جراحية.

العيادة الشاملة: تعمل من الساعة الثامنة والنصف صباحا حتى الواحدة والنصف ظهرا، وبها عدد ٢ طبيب وعامل. يقوم الطبيب بالكشف على جميع المرضى البالغين والأطفال من الجنسين، وذلك فى تخصصات الباطنة والجلدية والأطفال. تتكون الحجرة من منضدة كشف – مكتب الطبيب – دولاب به بعض الأدوات الطبية. وقد لوحظ من خلال الدراسة الميدانية تغيب الطبيب أو تأخره عن مواعيد العمل، حيث تصل مدة الكشف ومتابعة الحالة المرضية إلى نصف ساعة على الأكثر وعدد الحالات مائة حالة يوميا.

مكتب الصحة: يقوم بتسجيل المواليد الجدد واستخراج شهادات الميلاد وتسجيل الوفيات واستخراج شهادات الوفاة، وذلك بعد توقيع الكشف الطبى على الحالة بمعرفة مفتش الصحة الذى يعاونه ٢ كاتب يقومون بتسجيل أسماء المواليد والوفيات بالسجل الخاص بها، ويوجد بالحجرة مكتب الطبيب ودولاب نماذج شهادات الميلاد والوفاة والسجلات الخاصة بقيد المواليد والوفيات.

عيادة الأسنان: تختص بالكشف وعلاج الأسنان وعمليات خلع الأسنان وحشو الضروس، وبها ٢ طبيب يعملان بالتناوب. ويوجد بالحجرة كرسى خاص بالكشف، ودولاب به أدوات، وعدة الكشف والخلع. وقد كشفت الدراسة

الميدانية عن قلة عدد المترددين على هذه العيادة بسبب كثرة غياب الطبيبة التـى تقيم خارج منطقة حلوان وتتراوح أيام حضورها ما بين يـوم أو يوميـن فـى الأسبوع.

قسم رعاية الطفولة والأمومة: يتكون من قسمين:

الأول: خاص برعاية الأم طوال فترة الحمل، والقيام بعمليات التوليد سـواء داخل المركز أو عند الاستدعاء للمنزل.

الثاني: خاص برعاية الطفل: ويختص برعاية الأم والطفل بعد الولادة مـن لحظة الميلاد حتى سن ٥ سنوات وإعطاء التطعيمات اللازمـة لكـل مرحلـة عمرية، وجميع الخدمات تقدم مجانا.

عيادة تنظيم الأسرة: تقوم بالكشف على السيدات اللائى يرغبن فى استخدام وسائل تنظيم الأسرة، لتحديد الوسيلة المناسبة لكل حالة، ثم تقوم العيادة بمتابعـة المترددات على العيادة، لعمل كارت لكل حالة (سـيدة) تسـجل بـه البيانـات الأساسية والفحوص التى أجريت لها. وأثناء الدراسة الميدانية لوحظ وجود عـدد من السيدات الحوامل، ومن خلال المقابلة تبين أن كل واحدة منهن سـبق لـها الإنجاب ثلاث أو أربع مرات، وإحداهن خمس مرات، ومع ذلك مازلن يرغبـن فى الإنجاب مرة أخرى، ومن خلال سؤال الباحثة لبعضهن عن سـبب الحمـل بالرغم من وجود أطفال لديهن، قال إحداهن (عشان باسـتخدام الحبـوب عنـد اللزوم) وقالت الأخرى (دايما أنسى آخد الحباية). ولنا فى هذا الحديـث وقفـة، نهدف منها إلى القول بأن عيادات ومراكز تنظيم الأسرة فى مصر حريصة كـل الحرص على زيادة معدلات بيع وسائل تنظيم الأسرة، ورغم زيـادة معـدلات البيع هذه، إلا أن معدلات الإنجاب لم تتغير، خصوصا فى المنـاطق الشـعبية والمناطق المتخلفة. ويرجع ذلك إلى انتشار الأمية، التى تعكس بدورهـا غيبـة الوعى بأهمية تنظيم الإنجاب خوفا على صحتها وصحة طفلها. لذا، يجـب أن يضاف إلى مهام مراكز تنظيم الأسرة مهمة التوعية المستمرة لهذه المستويات.

معمل التحليل: يقوم بإجراء تحليل الدم والبـول والـبراز، إلـى جـانب التحاليـل الخاصة بأمراض السكر والكولسترول، وعملية التحليل للدم، جميـع أجهزة المعمل معونة من هيئة الأمم المتحدة، كما يقوم بإجراء التحـاليل عـدد ٢ فنى معمل يتناوبون فيما بينهم. وقد كشفت الدراسة الميدانية عـن اقتصـار

المعمل على تحليل البول فقط، وذلك تحت حجة تعطل الأجهزة وقلة الخامات اللازمة لإجراء التحاليل الأخرى.

مكتب الخدمة الاجتماعية: يقوم هذا المكتب بعمل الأبحاث الاجتماعية لحالات الأسرة الفقيرة التى تحتاج إلى معاش أو إعانة شهرية، وعادة ما يتم تحويل الحالات إلى الجهات المختصة بتقديم هذه الخدمة. كما يقوم بعمل بحث حالة للمرضى والأطفال العجزة المحتاجين إلى أطراف صناعية أو نظارة أو حذاء طبى، ثم بعدها يقوم بتحويلها إلى الجهات التى تقوم بتوفير هذه الخدمة (مثل مستوصف د/ مصطفى محمود بالمهندسين).

المطبخ التعليمي: يقوم بمهمة التوعية الصحية والغذائية للسيدات بمجتمع البحث، وذلك من خلال المحاضرات النظرية والعملية عن كيفية إعداد وجبة صحية اقتصادية للأسرة، وكيفية إعداد وجبات صحية للطفل فى كل مرحلة عمرية. يقوم بالإشراف على المطبخ التعليمي مشرفة تقوم بعملية تعليم السيدات كيفية تجهيز الوجبات من خلال ملاحظتهن لها، وأحيانا تقوم كل واحدة بتنفيذ ما تم شرحه بصورة عملية. وعادة ما يتم توزيع الوجبات التى تم إعدادها على المترددات. ولهذا المطبخ ميزانية خاصة من وزارة الصحة، وقد كشفت الدراسة الميدانية عن عدم قيام هذا المطبخ بالمهمة التى أنشئ من أجلها بسبب إغلاقه طوال فترة الدراسة الميدانية.

المسكن الخاص بهيئة النوبتجية: يقع سكن هيئة النوبتجية بالدور العلوى من المركز، ويتكون من جناحين: الأيمن مخصص لمبيت النساء، والأيسر لمبيت الرجال. ويتكون كل جناح من حجرة للنوم ومطبخ وحمام ودورة مياه.

الصيدلية: تبدأ مع بداية يوم العمل وتنتهى بانتهائه. وتقوم موظفة بصرف الأدوية لمرضى نظام العلاج الشامل فقط ويوجد بها أنواع قليلة من الأدوية ينحصر معظمها فى بعض المسكنات (نوفالجين – أسبرين – سلفا). ولا يوجد بها الأدوية الخاصة بأمراض الجهاز التنفسى والجهاز الهضمي والمضادات الحيوية. ولوحظ أثناء الدراسة الميدانية وبالتحديد بجوار طابور الأمهات اللاتى يصرفن تذاكر الدواء، لوحظ أن حديثهن يدور حول معنى واحد هو "دايما ما تسمعش منهم غير الدوا ده ناقص – ده مش موجود – ده خلص – وترسى الروشتة على شوية برشام، وفى آخر الوقفة الطويلة نروح نشترى الروشتة

مــن الأجزخانة". وخلاصة القول أن حجم وطبيعة الخدمة العلاجية الحكوميــة في مجتمع البحث لا تتناسب مع احتياجاته من حيث:

- عدد الأطباء ٧ بالقياس إلى عدد السكان الذى بلــغ طبقــا لتقديــرات ١٩٩٥ ٧٩٥٦ نسمة أى أن لكل ١١٣٦,٨ فرد طبيب واحد.
- خصوصية مجتمع البحث المحاط بملوثات البيئة الصناعية وملوثـــات البيئــة الناتجة عن انعدام الخدمات الأساسية انتشار العادات السلوكية غير الصحية.

٤- أمراض الطفولة من واقع سجلات المركز الطبى العام بالمعصرة:

تم حصر أمراض الطفولة في الفترة من ١٩٩٠-١٩٩٥ من سجلات مكتب الصحة والعيادة الشاملة وتبين ما يلى:

أ- ارتفاع نسبة المصابين من الأطفال المترددين علـــى العيـــادة الشـــاملة بالقياس إلى الفئات العمرية الأخرى (البالغين وكبار السن). فمن بين كــل ١٠٠ تذكرة كشف نجد ٧٥ منها خاصة بالأطفال، أما الــ٢٥ الأخــرى فــهى لبقيــة الفئات العمرية الأخرى.

ب- تتباين نسبة المترددين من الأطفال على المركز الطبى طبقــا لتبــاين فصول السنة. ففى فصل الصيف تسجل سجلات المركز فى المتوسط من ١٠٠- ١٥٠ تذكرة للأطفال باختلاف أعمارهم.

وتفسير ذلك يرجع إلى توقف خدمة التأمين الصحى المطبق بالمدارس فــى فترة الإجازة الصيفية، مما ينتج عنه تحويل جميع حالات الأطفـــال المصابــة للعلاج بالمركز.

ج- هناك علاقة بين بعض الفصول وبين زيادة معدلات الإصابة بــأمراض معينة. ففى فصل الشتاء، وبالتحديد بداية شهر أكتوبر حتى آخر شهر فــبراير تتزايد نسبة المصابين بأمراض الجهاز التنفسى فيما بين الأطفـــال والبـــالغين، بسبب زيادة معدل إنتاج الأسمنت فى هذه الفترة، وبالتالى تزايد نســبة الــتراب المتساقط على منطقة حلوان تقدر بــ٧٦٢,٤٦ طن/كم^{2}. وقد أشـــارت إحــدى نتائـــج القياسات إلى تزايد نسبة التراب المتساقط على منطقة المعصـــرة مــن مصنع طره الأسمنت بالتحديد لتصل إلى ٢٠٠ طن يوميا[٣١].

ولذلك تبين أن هذه الأمراض تتصدر قائمة الأمراض التي تصيب الأطفال في مجتمع البحث، حيث تقدر نسبة الإصابة بحوالي ٣٠% والتي تظهر في أمراض: التهاب الزور - حساسية الصدر - النزلات الشعبية - الربو الشعبي.

د- تتزايد معدلات الإصابة بأمراض الجهاز الهضمي في الصيف التي تتمثل في: (النزلات المعوية - التسمم الغذائي - الإسهال والجفاف - ارتفاع درجة الحرارة - الحمى - القيء - المغص).

كما احتلت أمراض سوء التغذية مكانا في قائمة أمراض الطفولة، وتتمثل في (نقص الوزن - النحافة الشديدة - الأنيميا) وتقدر نسبة الإصابة بـ٣٠%.

هـ- الأمراض الجلدية (الجرب): كشفت سجلات المركز عن وجود مرض الجرب الذي يزيد معدل الإصابة به بين الأطفال باختلاف أعمارهم، وتقدر نسبة الإصابة بـ٣%.

و- الكساح ولين العظام: تشير بيانات السجلات إلى انتشار هذا المرض بين الأطفال من عمر سنة إلى خمس سنوات، وتقدر نسبته بـ٥%، وذلك بسبب عدم تعرض أطفال مجتمع البحث إلى الشمس، وبالتحديد للأشعة فوق البنفسجية التي تساعد على تكوين فيتامين (د) الطبيعي.

ز- الأمراض البيئية: ذات طبيعة وراثية: كشفت بيانات المركز الطبي - إحصائيات وفيات الأطفال - عن حالات وفيات أطفال نتيجة إصابة الوالدين بأمراض مزمنة وأخرى وراثية، منها على سبيل المثال (السقط الرحمي - ضمور المخ - ضمور القلب - هبوط القلب - فشل كلوي - عيب خلقي - وجود ديدان - بلهارسيا) وتقدر بـ٧%. ويرجع تفسير ذلك إلى تداخل عوامل، منها ما يرتبط بظروف التلوث البيئي، وبالتحديد مخاطر تلوث الهواء بتراب الأسمنت، أو بعادم وسائل النقل - اللذان يتسببان في زيادة معدل أكسيد الكربون أحد نواتج صناعة الأسمنت وعادم وسائل النقل، والتي تتسبب في أمراض القلب بسبب الكولسترول في الشريان الأورطي الذي يؤثر بدوره على الجهاز العصبي المركزي[٣٢].

أما من ناحية الإصابة بالديدان بأنواعها: (الإنكلستوما - الإسكارس -

الديدان الدبوسية)، فإنه يساهم فى الإصابة بها تلوث الوسط البيئى الدى يعيش فيه الأطفال وشيوع العادات غير الصحية بخصوص عدم عزل المريض في نومه، وعدم استخدام ملابس داخلية، والسير حافي القدمين. إلى جانب اعتياد التبرز والاستحمام فى الترع، وعدم الوعي بأعراض الإصابة خصوصا البلهارسيا (مثل نزول دم مع البراز أو البول)، والتباطؤ في العلاج بسبب الاعتقاد الخاطئ بأن هذا العرض شئ عادي. تقول إحدى الإخباريات لطفلها: "كل ولاد عمك نسمع أن عندهم دم فى البراز وهم لم يشتكوا وعايشين زى الفل". إلى جانب عدم مراعاة مفهوم النظافة عامة، والنظافة الشخصية خاصة، كل ذلك من دواعى ارتفاع معدلات الإصابة فيما بين الأطفال في الشريحة الدنيا.

٥- **وفيات الأطفال:** بالرجوع إلى سجلات مكتب الصحة بالمركز الطبي بالمعصرة انظر الجدول (٨) يتضح لنا الآتى:

أ- ارتفاع معدل وفيات الأطفال (الرضع حتى سن سنة).

ب- يقل معدل الوفيات نسبيا فيما بين الأطفال من عمر سنة حتى ٥ سنوات.

ج- ارتفاع معدل وفيات الأطفال من عمر ٥ سنوات فأكثر.

جدول (٨) الإحصائيات الحيوية فى الفترة من ١٩٩١-١٩٩٥ المصدر[٣٣]

السنة	تعداد السكان	إجمالى المواليد	بيان الوفيات الرضع حتى سن سنة	الوفيات من ١-٥ سنوات	النسبة المئوية للوفيات من سن ٥ سنوات فأكثر
١٩٩١	٦٧٠٠٠	١٤٦٥	%٠,٠٣	%٠,٠١	%٠,١١
١٩٩٢	٦٨٢٤٨	١٢٦٢	%٠,٠٣	%٠,٠٠٦	%٠.١٤
١٩٩٣	٦٩٤٩٨	١٣٧٧	%٠,٠٢	%٠,٠٠٥	%٠,١٤
١٩٩٥	٧٠٥٤٧	١٣٧٩	%٠.٢٣	%٠.٠٠٧	%٠.١٤

كما ألقت بيانات سجلات مكتب الصحة الضوء على العلاقة بين بعض الأمراض وارتفاع معدلات وفيات الأطفال.

جدول (٩) يوضح الأمراض المسببة لوفيات الأطفال وأعدادهم بمجتمع البحث

السنة	الإسهال والنزلات المعوية	ربو شعبى	التهاب رئوى	ضعف علم
١٩٩٠	٣٦	٢٢	١٩	٨
١٩٩١	٤٩	١٥	٦	٢
١٩٩٢	٤٠	١٤	٩	٦
١٩٩٣	٣٤	٥	٦	٣
١٩٩٤	٣٦	٣	٥	٥
١٩٩٥	٣١	٤	٦	–

ويتضح لنا من الجدول (٩) ما يلى:

١- ارتفاع معدل وفيات الأطفال فيما بين المصابين بأمراض الجهاز التنفسى: الأمراض الصدرية مثل: الربو الشعبى والالتهاب الرئوى.

٢- ارتفاع معدلات وفيات الأطفال المصابين بالنزلات المعوية والإسهال والجفاف.

٣- هناك علاقة بين ارتفاع معدل وفيات الأطفال فى مرحلة الطفولة (المهد والطفولة المبكرة) وبين الإصابة بالضعف العام (الأنيميا).

عرض لأهم نتائج الدراسة الميدانية

أولا: بالنسبة للخصائص الإيكولوجية العامة لمجتمع البحث

١- كشفت نتائج الدراسة الميدانية عن غيبة التنظيم والتخطيط عند إقامة المنطقة الصناعية بمنطقة حلوان عامة ومنطقة المعصرة خاصة، وإغفال المخططين لاعتبار طاقة المنطقة الاستيعابية من حيث العمل والمساكن والخدمات، وما يترتب على موجات المهاجرين الوافدين من بعض المحافظات الطاردة بكل من الصعيد والدلتا بحثا عن فرص للعمل الجديد، التى لا تخضع لأى قواعد تنظيمية أو تخطيطية مستقبلية. ولذلك استمر التمدد العشوائى لمنطقة المعصرة فى كل اتجاه دون النظر إلى طبيعة الصناعة الموجودة والآثار المدمرة التى يمكن أن تؤثر على صحتهم وصحة أطفالهم فى المستقبل. وهكذا

تفاقمت مشكلة الإسكان والسكان، وتدريجيا تكونت ظاهرة المنطقة الحضرية الفقيرة التى يعيش أصحابها فى مساكن رديئة (مساكن شرك خالية من الخدمات الأساسية التى جعلتها مساكن غير صحية).

٢- إن حجم وطبيعة الخدمة العلاجية الحكومية فى مجتمع البحث لا تتناسب مع احتياجاته من حيث:

أ- عدد الأطباء ٧ أطباء بالقياس إلى عدد السكان الذى يبلغ طبقا لتقديرات ١٩٩٥ (٧٩٥٦) نسمة. وهذا يعنى أن لكل ١١٣٦ فرد طبيبا واحدا. مع أن لمجتمع البحث خصوصيته من حيث أنه محاط بالملوثات الصناعية وملوثات بيئية ناتجة عن انعدام الخدمات الأساسية، وتدنى المستويات الاقتصادية وانتشار العديد من العادات السلوكية غير الصحية.

٣- هناك علاقة بين تغير الفصول وبين زيادة معدلات الإصابة بأمراض معينة: ففى فصل الشتاء تتزايد نسبة المصابين بأمراض الجهاز التنفسى فيما بين الأطفال والبالغين - بسبب زيادة معدل تساقط الأتربة على مجتمع البحث.

٤- كشفت نتائج الدراسة الميدانية عن تصدر أمراض الجهاز التنفسى قائمة الأمراض التى تصيب الأطفال، حيث تقدر النسبة بـ٣٠% والتى تظهر فى أعراض (التهاب الزور - حساسية صدرية - نزلات شعبية - الربو الشعبى - الالتهاب الرئوى).

٥- ثم يليها التسمم الغذائى وأمراض الجهاز الهضمى وتتمثل فى: (الإسهال - المغص - الجفاف - النزلات المعوية). كما احتلت أمراض سوء التغذية مكانا فى قائمة الأمراض تتمثل فى: نقص الوزن، النحافة الشديدة، الأنيميا الحادة التى تؤدى إلى سرطان الدم. وتقدر نسبة الإصابة بأمراض الجهاز الهضمى بأنواعها ٣٠%.

٦- أظهرت بيانات السجلات انتشار الكساح ولين العظام فيما بين أطفال المرحلة العمرية من سنة إلى خمس سنوات وتقدر النسبة بحوالى ٥%. وذلك بسبب عدم تعرض أطفال المجتمع للشمس وبالتحديد للأشعة فوق البنفسجية التى تساعد على تكوين فيتامين (د) الطبيعى، وذلك بسبب امتصاص الشعاع الشمسى فى طبقات الجو العليا نظرا لما يحمله هواء المجتمع من غبار وأتربة وغازات.

٧- ثم جاءت الأمراض البيئية ذات الطبيعة الوراثية فى آخر قائمة

الأمراض، حيث تشير إحصائيات الوفيات بالمركز الطبى إلى حـــالات وفيـــات أطفال حديثى الولادة وفى مرحلة الطفولة المبكـــرة نتيجـــة لإصابـــة الوالديـــن بأمراض مزمنة وأخرى وراثية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: السقط الرحمى - ضمور المخ - ضمور القلب - هبوط القلب - فشل كلوى - عيـــب خلقى - الإصابة بالديدان الدبوسية - الإنكلستوما - البلهارسيا. وتقـــدر النســـبة بحوالى ٧%.

خاتمة

بات من المؤكد أن إصابة الأطفال بالأمراض البيئية فى المعصرة حلوان ما هى إلا تجسيد لتفاعل أضلاع المثلث (الذى حدده سلفا اتجاه الإيكولوجيـــا الطبيـــة): العوامل الإيكولوجية، والاجتماعية، والثقافية وتأثيرها على الصحة والمرض.

أما عن الظروف الإيكولوجية بالمعصرة فتتركز فـــى مخاطرهـــا بتلـــوث الهواء بتراب (عادم) الأسمنت، وعادم وسائل النقل اللذان يتسببان فـــى زيـــادة معدل أكسيد الكربون أحد نواتج كل من صناعة الأسمنت وعادم النقل. مما كـــان بدوره سببا لأمراض القلب. كما ساهم كل من الـــتركيب الكيميـــائى للأســـمنت وقدرته على الاختلاط بنواتج الاحتراق ومركبات كيميائية مثل (أكسيد السيلكون - مركبات الكبريت - الجسيمات الصلبة الدقيقـــة) أن يكـــون ســـببا للإصابـــة بأمراض الجهاز التنفسى مثل: التحجر الرئوى، الأمراض الصدريـــة، والربـــو الشعبى.

كما ساهمت كل من عوامل تلوث الوسط البيئى والعوامل الثقافية المتمثلـــة فى انعدام الوعى الصحى، وتدنى المستوى الاقتصادى، وسوء المسكن، وافتقـــار المجتمع للحدود الدنيا للخدمات الأساسية، وارتفاع نسبة الأمية - خصوصا بيـــن الأمهات - فى انتشار الإصابة بالديدان بأنواعها. كما كان لبعض العادات الثقافية دور من حيث أن منطقة البحث تمثل مكانا لتجمع الوافدين من محافظات الصعيد التى مازالت ثقافتهم تعلى من الزواج القرابى الذى يترتب عليه آثار غير صحية على المواليد من حيث الإصابة بأمراض التخلف العقلى[٣٥]، إلى جانب ارتفـــاع نسبة وفيات الأطفال من خلال ما يعرف بالسقط الرحمى، ضمور المخ، هبـــوط القلب ... إلخ.

م	نمط المسكن	عدد الحجرات	عدد أفراد أسرة	الدرجات القرابية المقيمة مع الأسرة	عدد الأبناء وأعمارهم				الحالة التعليمية		المهنة			الدخل			مكان الإقامة في المجتمع	مدة الإقامة في المجتمع	الخدمات الأساسية للمسكن	التاريخ المرضي للأسرة حالات الوفيات
					العدد الكلي	ما قبل المدرسة	سن المرحلة الابتدائية	المرحلة الإعدادية	للزوجة	للزوج	للزوجة	للزوج	للأبناء	الزوجة	الزوج	كلي				
١	مستقل	٣	٤	-	٢	-	٢	-	دبلوم	بكالوريوس	أعمال كتابية	مدرس		١٠٠	٣٠٠	٤٠٠	المعصرة	٨	به صرف صحي ومياه نقيه	-
٢	مستقل	٢	٧	والدى الزوج	٣	٢	١	-	دبلوم	تربية	أعمال كتابية	أمين عهدة		١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	المعصرة	٨	به صرف صحي ومياه نقيه	وفاة بسبب الإسهال
٣	مستقل	٢	٤	-	٢	١	١	-	دبلوم	دبلوم	ربة منزل	ميكانيكي		-	٢٥٠	٢٥٠	المعصرة	١٦	به صرف صحي ومياه نقيه	وفاة بسبب نزلة معوية
٤	مستقل	٢	٧	والدى الزوج	٣	١	١	١	دبلوم	يقرأ ويكتب	ربة منزل	سكرتير		-	٢٠٠	٢٠٠	المعصرة	١٥	به صرف صحي ومياه نقيه	وفاة بسبب نزلة شعبية
٥	مستقل	٢	٦	-	٤	١	٢	١	دبلوم	دبلوم	أعمال كتابية	مشرف فني		١٠٠	٢٢٠	٣٢٠	المعصرة	٨	به صرف صحي ومياه نقيه	
٦	مشترك	١	٨	والد الزوج + ابن عم الزوجة	٤	٢	١	١	أمية	دبلوم	بائعة خضر	نقاش أرزقي		١٠٠	-	١٠٠	عزبة الصفيح	٢٠	لا يوجد صرف صحي ولا مياه نقيه	وفاة بسبب ضمور المخ
٧	مشترك	١	٧	أم الزوجة	٤	١	٢	٣	أمية	أمي	عاملة بالمركز	حمال أرزقي		٨٠	-	٨٠	عزبة الصفيح	١٥		وفاة بسبب التهاب رئوي

م	نمط المسكن	عدد الحجرات	عدد أفراد الأسرة	الدرجات القرابية المقيمة مع الأسرة	عدد الأبناء وأعمارهم: العدد الكلي	ما قبل المدرسة	سن المرحلة الابتدائية	المرحلة الإعدادية	الحالة التعليمية: للزوجة	للزوج	المهنة: للزوجة	للزوج	للأبناء	الدخل: الزوجة	الزوج	كلي	مكان الإقامة في المجتمع	مدة الإقامة في المجتمع	الخدمات الأساسية للمسكن	التاريخ المرضي للأسرة حالات الوفيات
٨	مشترك	٢	٩	والدى الزوجة	٥	٢	٢	١	أمية	أمي	بائعة خبز	عامل أرزقي		٧٥	-	٧٥	عزبة الصفيح	١٦		وفاة بسبب هبوط بالقلب
٩	مشترك	١	١١	أبناء أختها المتوفاة(٨)	٩	٢	٤	٢	أمية	أمي	بائعة خضر	عامل أسمنت	عاطل	١٠٠	١٨٠	٢٨٠	عزبة الصفيح	١٣		وفاة بسبب فشل كلوى
١٠	مشترك	١	٧	أخت الزوج	٤	١	٢	١	أمية	أمي	بائعة أطعمة	عامل أسمنت		١٠٠	١٨٠	٢٨٠	عزبة الصفيح	١٥		
١١	مشترك	٢	١٠	٢ أبناء عمومة	٦	٢	٣	١	أمية	أمي	بائعة	عامل أسمنت		١٠٠	١٩٠	٢٩٠	عزبة المحانة	٢٠		وفاة بسبب هبوط بالقلب
١٢	مشترك	١	٧	أخ الزوج	٤	١	٣	٢	أمية	أمي	عاملة بالمركز	فراش بالمدرسة		٨٠	٨٠	١٦٠	عزبة المحانة	١٩		وفاة بسبب نزلة شعبية
١٣	مشترك	٢	١١	والدة الزوج	٩	٢	٣	٢	أمية	أمي	عاملة بالمدرسة	متوفى	٢عاطل	٨٠	-	٨٠	عزبة المحانة	١٨		وفاة بسبب نزلة معوية
١٤	مشترك	١	٩	والدة الزوج	٦	١	٢	٢	أمية	أمي	بائعة بالسوق	متوفى	عاطل	١٠٠	-	١٠٠	عزبة المحانة	٢١		وفاة بسبب إسهال
١٥	مشترك	١	١٠	والدى الزوج	٨	٢	٣	٢	أمية	أمي		متوفى	عاطل	١٠٠	-	١٠٠	عزبة المحانة	١٧		وفاة بسبب ربو شعبي

المراجع

١-محمد سعيد فرح، الطفولة والثقافة والمجتمع، منشأة المعـــارف بالإســكندرية، ١٩٧٣، ص١٤.

٢-عبدالمحسن صالح، "المدينة الحديثة ومشكلة التلوث"، مجلة عالم الفكر، المجلد الثـــانى، العدد الثالث، ١٩٩٢، ص٧١٢,٧

٣-علية حسن حسين، البيئة والصحة والمرض فى الوادى الجديد، بحـــث غـــير منشـــور، ١٩٩٠.

٤-السيد عبدالعاطى السيد، الإنسان والبيئة، دار المعرفة الجامعيـــة، الإســكندرية، ١٩٩٣، ص٢٩٩.

5- A) M. A. Mosalam Shaltut, A. A. El Hadad, M. A. Fadly, and A. M. Mahrous; Estimation of the Total Atmospheric Pollution in Cairo Using Solar Energy Data, 1994.

B) El-Gandour, M. F., et. al., Al Kali, Earth Al Kali & Heavy Metal constituents of Dust – fall in Helwan area, Environmental pollution, Series B. Applied sciences publishers, Essex, England, 1982.

C) El-Gandour, Studies on Air Pollution from Construction plants in Helwan Industrial Area: I Total Dust Deposition Over the Area, vol. 17, No. 2, 1983.

d) Nancy – J., Industrial Pollution Control, Issues and Techniques, Reinhold, New York, 1981.

هـ-أحمد مصطفى حسن العتيق، الآثار النفسية للتلوث بعادم الأسمنت فى منطقـــة حلـــوان، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عيـــن شـــمس، القاهرة، ١٩٧٢.

و-عايدة بشارة، دراسات فى بعض مشاكل تلوث البيئة، الهيئة المصريـــة العامـــة للكتـــاب، القاهرة، ١٩٧٣.

ز-أمال إسماعيل شاور، تلوث الهواء بمدينة حلوان كرد فعل لتدمير الإنسان للبيئة، المجلـــة الجغرافية العربية، العدد ١٩، السنة ١٨، ١٩٨٧.

حـ-المركز القومى للبحوث، وحدة تلوث الهواء، دراسات تلوث الهواء فى حلوان، تقريـــر غير منشور (ب ث).

٦-محمد الجوهرى، طرق البحث الاجتماعى، دار الكتـــاب للتوزيـــع، جـــ٣، ١٩٨٢، ص ٣٥٥.

7-Michael Allaby, Macmillian Dictionary of Environnment, Macillan, Press, London. (M. P.), p.183.

٨-محمد يونس عمار، ماهية البيئة وأهميتها، ورقة مقدمة إلى الدورة التدريبية للقادة التربويين فى مجال التربية البيئية، أغسطس، ١٩٨٢.

٩-عبدالمحسن صالح، مرجع سابق، ص١٥٧.

١٠-روبرت لافون (تأليف)، نادية القبانى (ترجمة)، تلوث شرق ترادكيم، جنيف، ١٩٧٧. ص٣.

11- Michael Allaby, Op. Cit., p.200.

١٢-المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مرجع فى التعليم البيئى لمراحل التعليم العام، القاهرة، ١٩٧٧، ص٣٧٩.

١٣-خالد فهمى، التوطن الصناعى والبيئة، بحث التوطن الصناعى فى مصر، سلسلة أوراق عمل بحثية (٣٩)، معهد التخطيط القومى، القاهرة، ١٩٨٥، ص٢٠.

١٤-عبدالمحسن صالح، مرجع سابق، ص٤١٥.

١٥-محمد متولى الشعراوى، حديث إذاعى يوم الأحد الموافق ٣ أكتوبر سنة ١٩٩٥.

١٦-عبدالمحسن صالح، مرجع سابق، ص ص٧١١-٧١٥.

١٧-أحمد أبو زيد، أزمة البيئة، عالم الفكر، المجلد السابع، العدد الرابع، يناير / مارس، الكويت ١٩٧٧، ص٧.

١٨-السجلات الرسمية لحى حلوان.

١٩-الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، صناعة الأسمنت فى مصر، مرجع ٧١ – ١٤١٢٤ – ٨٤ القاهرة، ١٩٨٤.

٢٠-آمال إسماعيل شاور، مرجع سابق، ص١١٩.

٢١-خالد فهمى، مرجع سابق، ص٣٠.

٢٢-المركز القومى للبحوث، مرجع سابق، ص٢٥٠.

23- M. A. Mosalam, Op. Cit., p. 30.

٢٤-السجلات الرسمية لحى حلوان، مرجع سابق.

٢٥-محمود الكردى، التحضر، الكتاب الثانى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦، ص١١٤.

٢٦-آمال إسماعيل شاور، مرجع سابق، ص٢٥.

٢٧-محمد الجوهرى، دراسات فى الأنثروبولوجيا الحضرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١، ص١١٣.

28-Nancy, J., Op. Cit., P.210.

٢٩-جامعة القاهرة، المؤتمر الثانى لمشروعات البحوث العلمية، ١٩٩٥، دراسة تأثير التلوث البيئى الناتج عن عوادم الصناعات على الصحة العامة، ص٣٠.

٣٠-السجلات الرسمية للمركز الطبى بالمعصرة.

31- M. A. Mosalam Shaltut, Op. Cit. P.8.

32- Nancy, J., Op. Cit., p. 218.

٣٣-السجلات الرسمية للمركز الطبى بالمعصرة، مرجع سابق.

٣٥-نجوى عبدالحميد سعد الله، نظام القرابة عند بعض الجماعات السكانية المتميزة فى منطقة أسوان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨١.

الفصل الثالث

الطب الشعبي لقبائل البشارية في منطقة أسوان

دراسة في الإيكولوجيا البشرية

أولاً: مقدمة منهجية

تكشف لنا أدبيات كل من علم الفولكلور والأنثروبولوجيا عن المكانة والأهمية التي يحظى بها الطب الشعبي، لدرجة أنه أصبح يشغل اهتمام العديد من المنظمات والهيئات الصحية في العالم عامة، والدول النامية خاصة. أما على المستوى الأكثر تحديداً قد ترجع هذه المكانة إلى حاجة نسق الطب الشعبي واستخدامه في ميدان الأنثروبولوجيا ليجسد العمليات، أي القوى والعوامل التي تؤدي إلى إفراز أنماط متباينة من أنواع التكيف بين الجماعات والأجناس البشرية في بيئاتها الطبيعية المختلفة لمواجهة المشاكل الخاصة بالصحة والمرض[١]، ضمن توازن بيئي تحافظ فيه الجماعات والمجتمعات التقليدية على العلاقات المتوازنة بين احتياجاتها وقدرات وإمكانات البيئة على العطاء، إلى جانب إلقاء الضوء على الأساليب والممارسات الشائعة، والعناصر البيئية المستخدمة، والقائمين بالعلاج الشعبي. [٢]

واتساقاً مع ما سبق، تكشف نتائج دراستنا الاستطلاعية لنسق الطب الشعبي لبدو البشارية، عن مدى العلاقة الوطيدة بين الإنسان البدوي ومكونات بيئته الطبيعية، وأساليب تكيفه معها. فالرجل البشاري يعالج نفسه وذويه بوسائل بسيطة، قوامها النباتات والأعشاب الطبيعية التي تنمو في بيئته الصحراوية، وعلى سفوح الجبال، والتي قام باستخلاص العناصر العلاجية منها. حتى أن ممارساته العلاجية جاءت معتمدة في المقام الأول على الاستعانة بعناصر البيئة الصحراوية من رمل، وأعشاب، وزيوت نباتية، ودهون حيوانية، ووبر الأغنام.

ولقد ظلت هذه الممارسات العلاجية تمارس، وتتناقلها الأجيال تلو الأجيال حتى وقت إجراء دراستنا الحالية، حتى أصبحت جزءاً من نسيج التراث الثقافي البدوي، والذي ساهم في تميزهم عن غيرهم من المجتمعات الريفية والحضرية.

ومن هذا المنطلق تشكل الدافع الحقيقي نحو إجراء هذه الدراسة، وإن كان هناك دوافع مسبقة لإجرائها(*).(٣)

وبناءً على ذلك تسعى الدراسة الحالية للرد على مجموعة من التساؤلات:

١- إلى أي حد يؤدي التفاعل بين عناصر البيئة الطبيعية البدوية وبين نشاط البدو الاقتصادي إلى الإصابة ببعض الأمراض؟

٢- إلى أي حد أدى التفاعل بين كل من الخبرات الإنسانية للرجل البدوي مع عناصر البيئة الصحراوية للوصول إلى وصفات وممارسات علاجية ووقائية؟

٣- إلقاء الضوء على المكنون الثقافى وعلاقة التفاعل بين الممارسات العلاجية والوقائية، وبين خصائص البيئة الطبيعية لبدو البشارية، وما يتوفر بها من عناصر طبيعية مثل: الرمال، والأعشاب، والنباتات، والعيون، والآبار.

وذلك راجع إلى ما تؤكده لنا إحدى المسلمات الثقافية بأن مرجع معظم أنواع الطب الشعبي وممارساته العلاجية في الثقافات المتباينة قد صبغت أو تشكلت بناء على خصوصية العناصر البيئية. فاجتهد الإنسان فيها باستغلال هذه العناصر الطبيعية في بيئته، واستخلص منها عناصر علاجية ووقائية متعددة، لتلبية حاجة من حاجاته وهي كيفية الوقاية من المرض والتداوي للتصدي للألم أو التغلب عليه.

٤- إلقاء الضوء على ملامح التغير في هذا الجانب من ثقافة المجتمع البدوي، وما هي العوامل المتسببة في ذلك.

- **أما الإطار النظري:**

اتخذت الدراسة من بعض قضايا الاتجاه الوظيفي إطاراً نظرياً لها على

(*) نمت بذور دراسة الطب الشعبي البدوي أثناء قيام كاتبة هذه السطور بجمع المادة الميدانية لنيل درجة الماجستير عام ١٩٨١، بعنوان "نظام القرابة" حيث كان بدو البشارية ضمن مجتمعات الدراسة، وكانت تهدف الباحثة حينذاك من دراستها إلى الوقوف على طبيعة القرابة ووظيفتها لدى بدو البشارية المقيمين شرق مدينة أسوان بالصحراء الشرقية. أما الدراسة الثانية فكانت عن الأولياء بعنوان "أبو الحسن الشاذلي ــ سلف قبائل العبابدة المصريين". وها هي الدراسة الثالثة في إطار منظومة توليها الباحثة اهتمامها وهو محاولة لدراسة الثقافة البدوية لقبائل العبابدة والبشارية بالصحراء الشرقية، حيث ندرة الدراسات الأنثروبولوجية والفولكلورية باستثناء الدراسات الجغرافية (محمد عوض، كوثر عبد الرسول، رحلات بوركهارت).

النحو التالي:

- الدور الوظيفي لنسق الطب الشعبي بالنسبة للنسق الثقافي العام.

- نسق الطب الشعبي في ضوء علاقته بالسياق الاجتماعي والثقافي، ونمط النشاط الاقتصادي البدوي، وعلاقته بالبيئة الطبيعية.

• **وأما الإطار المنهجي:**

تعتمد الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي الذي حتم ضرورة الانتقال إلى فروع القبيلة البشارية، وأسرهم المقيمين بالمناطق الصحراوية والريفية والحضرية. كما تمكنت الباحثة من مقابلة بعض الإخباريين من المعالجين الشعبيين ممن لديهم خبرة في التطبيب والعلاج الشعبي، فضلا عن استخدام الطريقة الجينولوجية للكشف عن الزواج القرابي، وما ترتب عليه من ظهور بعض الأمراض الوراثية في أجيال الابناء والأحفاد. بالإضافة إلى ذلك قامت الباحثة بتصميم دليل العمل الميداني، إلى جانب الاستعانة بدليل الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، وعلى وجه الخصوص الجزء الخاص بالطب الشعبي. وقد تم ذلك بعد إدخال بعض الأسئلة والتعديلات بما يتلاءم والخصوصية الثقافية لبدو البشارية.

• **أما عن مفهوم الطب الشعبي: Traditional Medicine**

تعددت المسميات التي تداولت مفهوم الطب الشعبي في المصادر والقواميس المتخصصة. فتارة أطلق عليه بالطب اللاإحيائي non-biomedical - أو الطب البديل Alternative medicine - الطب السلالي Ethnomedicine - الطب الشعبي الطبيعي Natural folk medicine - الطب الشعبي النباتي Herbal folk medicine - الطب البدائي Primitive medicine [٤]

• **أما على المستوى الأوسع:**

تباينت التعريفات فقد جاء تعريف دون يودر Don yoder للطب الشعبي: "جميع الأفكار ووجهات النظر التقليدية حول المرض والعلاج وما يتصل بذلك من سلوك وممارسات تتعلق بالوقاية من المرض ومعالجته، بصرف النظر عن النسق الرسمي الطبي العلمي"[٥]. أما تعريف دبر توفام Debr L.Topham فيقول: "هو التطبيب من الأمراض والأعراض عن طريق الأعشاب أو

الممارسات التقليدية والتي أمكن التعرف عليها منذ زمن بواسطة مطببين محليين أو شيوخ دين"[٦].

في حين جاء تعريف شارلوت سيمور-سميث في موسوعة علم الإنسان بأنه "طائفة واسعة من الممارسات الرسمية المتخصصة للطب الغربي التقليدي. وترجع أصول هذه الممارسات والوصفات العلاجية، أو تراث الطب التقليدي سواء كان محلياً أو مستورداً والتي تتخذ ممارسته قدراً من الرسمية تبعاً لتأهيل وكفاءة ممارسيه"[٧].

وتأسيساً على ما سبق من تعريفات جاء مفهومنا للطب الشعبي، ونقصد به "كل المساعي أو الأساليب التي يقوم بها الإنسان لمواجهة الأعراض المرضية سواء عن طريق الأعشاب، أو النباتات (مواد غذائية)، والمعادن، والأجزاء الطبيعية من جسم الحيوان، أو استخدامه للرقي والتعاويذ والكلمات المقدسة (القرآن - التسبيح)، وما يترتب على ذلك من وصفات أو ممارسات وقائية أو علاجية سواء كان القائمون على إعدادها وتجهيزها واستخدامها أعضاء الأسرة بأنفسهم أو بواسطة مطببين محترفين أو شيوخ دين".

وبذلك يتضح، أننا نقصد من تعريفنا الإجرائي للطب الشعبي في هذه الدراسة، أنه يعنى الجمع بين أساليب التطبيب الوقائية والعلاجية التقليدية التي قاوم بها الانسان البدوي المرض بغية الشفاء، سواء كان هذا العلاج بالمنزل، أي من خلال ممارسات علاجية تجرى بمعرفة أفراد العائلة العاديين. وهذه الممارسات قائمة على الخبرة المكتسبة من التجارب الموروثة، وساهمت التنشئة الاجتماعية في المحافظة على هذا التراث جيلاً بعد جيل، أو يتم ممارسته بواسطة معالجين محترفين، سواء شيوخ دين من خلال الاستعانة بالكلمات المقدسة (آيات القرآن الكريم - التسبيح)، أو بعض المتخصصين المحترفين بتجهيز وإعداد وصفات وممارسات علاجية قوامها وعناصرها البيئية الطبيعية للبيئة البدوية الصحراوية، مثل الرمال، والأعشاب، والزيوت النباتية، ودهون الحيوان، والفحم، والسكر، والبيض، واللبن. وبالتالي عمل عمليات وقائية علاجية مثل: الفصد والكي بالنار وتجبير العظام المكسورة. أو استخدام العلاج بالرقى والتعاويذ، خصوصاً في الحالات التي يكون للأرواح والشياطين دخل فيها.

وعلي المستوى الأكثر رحابة، يجد الطب الشعبى شأنه في ذلك شأن غيره من موضوعات علم الفولكلور, يجد في الثقافة التقليدية والثقافات الفرعية بيئة صالحة لنموه وإزدهاره.

كما يؤكد بوتنر Bottner بأن المترددين على الممارسين الشعبيين المحترفين، عادة ما ينتمون إلى جيل الأجداد والآباء من الفلاحين والبدو، مصطحبين معهم ذويهم من صغار السن بغية علاجهم وذلك بعد فشل الممارسات العلاجية بالمنزل. ثم يأتي العلاج بالرقى والتعاويذ في المحل الثالث(٨).

وفي دراسة أنثروبولوجية عن فلاحى الصعيد تشير بلاكمان Blackman إلى تعدد أساليب الطب الشعبى خاصة للأطفال، نظراً لكثرة تعرضهم للأمراض، ومن ثم كثيراً ما تلجأ الأمهات إلي السحرة المتخصصين لعلاج أطفالهن بعمل الأحجبة، وحمل التمائم لحمايتهم من العين الشريرة والحسد، أو أذى القرين(٩).

وفي دراسة عن الاستخدامات الطبية لكثير من الأعشاب والنباتات, يشير "باندولف"Pandolph إلي أن هناك كثيراً من الأعشاب والنباتات التي تغلى وتشرب، وأخرى تطحن وترش، بالإضافة إلي استخدام أوراق التبغ كعلاج للجروح وآلام البطن. وتقوم نساء متخصصات بالعلاج عن طريق أوراق التبغ(١٠). وقد اتفقت كل من نتائج دراسة فوزى عبد الرحمن عن الممارسات الطبية الشعبية، ودراسة حسن الخولى عن الفروق الريفية والحضرية بين علم الاجتماع وعلم الفولكلور، حيث اتفقت الدراستان فى بيان الاستخدامات الطبية للأعشاب والنباتات، فكانت أوراق التبغ لها مكانة في الوصفات العلاجية، حيث لاحظ كل منهما أن استخدام الدخان (السجائر) كعلاج للحروق في ريف محافظة الدقهلية. أما ريف وبدو محافظة الفيوم فيستخدمون الدخان (المعسل) لنفس الغرض. ولكن توقفت هذه الممارسة في الدقهلية واقتصرت على استخدام (الرماد) أو العادم المتخلف من حريق السجائر، أما في الفيوم فمازال يستخدم الدخان المعسل.(١١)

أما دراسة بول كومساروف Paul, A. Komsaroff عن الممارسات العلاجية في تايوان والصين، فتكشف عن مواد علاجية شعبية ذات طبيعة معدنية, وأخرى حيوانية كالطين وأعضاء الحيوان، في علاج بعض الأمراض المعدية

كالجرب والجذام[١٢].

وتشير بعض الدراسات الفولكلورية المعاصرة إلى استخدام عناصر سحرية كالرقى والتعاويذ كوصفات علاجية. فتسخير الأرواح يعد في الصومال وسيلة سحرية تستعين بها المرأة لممارسة الضغط علي الزوج وأسيادها، كما تأكد ذلك من نتائج كل من الرواد إيفانز برتيشارد Evans Pritchard عند النوير وكلاكهون عند النافاهو Navaho إلي جانب اعتماد بعض السحرة المحترفين على أساليب العلاج السحرى، للتخلص من الأعراض المرضية لدى المرضى النفسيين والعصبيين.[١٣]

أما علي المستوى الإمبريقي لجمع المادة الإثنوجرافية لموضوع الطب الشعبى، فيشير محمد الجوهرى أنه على الباحث أن يفاضل بين أسلوبين:

الأول: بأن يبدأ الباحث بالسؤال الأول عن الأمراض التي يفيد فيها استخدام عنصر معين(عشبى، نباتى، طبيعى) أى أن الباحث يطبق منهج الاستفسار، أو السؤال عن المرض الذى تستخدم في علاجه عناصر معينة. وهنا يقوم الباحث بذكر أمثلة لهذه العناصر، حتى يساعد الإخبارى على أن يضيف ما لديه من عناصر لازمة للعلاج، مثلاً: (آلام البطن إيه اللى يستخدم له كعلاج؟) (الثوم أو النعناع، أو الحرجل؟).

الثانى:أن يقوم الباحث بإعداد قائمة بالأمراض الشائعة في مجتمع الدراسة، ثم يسأل الباحث عن الوصفات العلاجية أو العناصر اللازمة لعلاج هذه الأمراض، مثلاً®إيه الوصفات اللى بتعالج السخونية والحمى، الصداع، ديدان البطن، ألم الكلى؟[١٤]

وبناء علي النتائج الأولية للدراسة الإستطلاعية للباحثة لمجتمع دراستها، آثرت الباحثة المزاوجة بين الأسلوبين، نظراً لخصوصية مجتمع الدراسة وثقافتهم من جهة، وطبيعة موضوع الطب الشعبى من جهة أخرى. وبعد الانتهاء من جمع المادة الإثنوجرافية وتحليلها، لاحظت الباحثة أن الجمع بين الأسلوبين أثناء الجمع الميدانى قد أثرى الدراسة بمادة ميدانية وفيرة عن نسق الطب الشعبى البدوى، حيث ساهم الأسلوب الأول في التأكيد علي العلاقة الوطيدة بين عناصر البيئة الطبيعية البدوية الصحراوية، وبين صياغة نمط ثقافى علاجى شعبى، يتسق مع مكونات وخصائص البيئة الصحراوية، أما الأسلوب

الثاني: فكشف عن درجة ميل المجتمع إلي التغير في استخدام عناصر علاجية غير شعبية، وذلك من خلال معرفته بالأمراض الجديدة وأساليب علاجها.

مجتمع البحث

أجريت الدراسة علي قبيلة العلياب البشارية وبيوتها الواقعة شرق منطقة أسوان بالصحراء الشرقية، وكذلك البيوت البشارية التي تسكن علي الحدود الشرقية لمدينة أسوان وقراها حتى حدود مدينة "دراو" شمالاً.

اختلف العلماء حول أصل تسمية بدو البشارية بهذا الاسم. فتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن سبب التسمية يرجع إلى رجل يلقب باسم "بشير بن مروان بن إسحق"، نزح إلي أراضى "البجة" في القرن الرابع الهجرى – العاشر الميلادى – ومعه ثلاثون ألف رجل من الجوارب. وهم فروع أخرى من "البجة"، كانوا وثنيين ثم اعتنقوا الإسلام في عهد مبكر. ثم جاء بهم وسكن في أراضى "البجة".

في حين يكتب محمد عوض: "البشاريون يزعمون بأن جدهم "كاهل" الذى يرجعون نسبه إلي الزبير بن العوام، وأن أجدادهم كانوا يعيشون في "علبة"، والواقع على بعد عشرة أميال إلى الغرب من صحراء عيذاب. ويتفق هذا الزعم مع كواهل في كردفان، كما يتفقون مع البشارية بأن جدهم أنجب ثلاثة عشر ولداً من الذكور من بينهم من يدعى بشار. ثم يضيف محمد عوض بأن هناك بعض الأمراء من العرب(قبيلة كاهل) قد أصهر إلى بعض "البجة" (قبائل البشارية). ومن المرجح أن الذين أصهروا كانوا فعلاً ينتمون إلي بنى كاهل وإلى أحد أبنائه المسمى بشار فاشتق منه اسم البشاريين.(١٥)

وقد تعددت الروايات عن تاريخ البشاريين، فقد أشار ابن بطوطة في رحلاته إلى صحراء عيذاب، أنه صادف جماعات من البجة ومن بنى كاهل متجاورين. ويشير ابن بطوطة في الروايات التي ترجع إلى القرن الحادى عشر، بأن بشار له ولدان وبنت كوكا وكليان والبنت فاطمة. ويذكر بأن ليس للابن كليان أهمية في تاريخ البشارية على العكس من الابن كوكا، فقد كان فقيها وقاضياً وتاجراً في آن واحد، وكان كوكا أيضاً يقضى الصيف إلى جوار

جبل"علبة"(*) والشتاء في مصب وادى "العلاقى". أما أخته فاطمة فكانت كثيراً ما تؤدى واجبات أخيها. وهناك رواية يذكر فيها خطف فاطمة، وأخرى تؤكد هروبها مع عشيقها، ثم ولدت ولدا اسمه عنقود Anakwd. ويرجع الفضل لهذا الشاب في إعادة ملك وادى العلاقي من غاصبه وبسط نفوذه عليه.

ونخلص من هذه القصة إلى أن الجد الأول بشار، والجد الثانى كوكا، والجد الثالث والأخير عنقود الذى يرجع إليه الفضل في تأسيس القبيلة بقسميها: أم على، وأم ناجى.

١-بشاريو أم علي: يشتملون علي أربعة أقسام: العلياب، العمراب، حمدوراب وبشاقطيراب، أغلبهم في السودان، وهناك فروع منهم داخل الحدود المصرية. أما العلياب فيتركزون بجوار مدينة أسوان, والحمدوراب بجوار دراو.

٢-بشاريو أم ناجى: يشغلون جميع أقاليم عطبرة والأجزاء الجنوبية الغربية من العتباى. أما القسم الشمالى فيشتمل علي الإيراباب، والمنصوراب، والنافعاب، والعدلواب. وأما القسم الجنوبى فيعيش فيه حمداب، وإبراهيماب.(١٦)

الأقاليم الجغرافية لفروع قبيلة العلياب البشارية

يشير ساندرز في مقال البشاريين The Bisharian المنشور في مجلة S.N.R (عدد عام ١٩٣٣، الجزء الثانى) بأن هناك أربعة أقاليم لإقامة البشاريين هى على التوالى:

الإقليم الأول: الجونيب Gwineb وهو إقليم يشتمل على المنحدرات الشرقية لجبال البحر الأحمر والسهول الساحلية وجميع الأراضى التي تقع على البحر الأحمر. ويمتاز هذا الإقليم بالأمطار الشتوية من شهر نوفمبر إلي شهر مارس.

الإقليم الثانى: العتباى: يمتد هذا الإقليم من المرتفعات الشرقية إلى وادى قبقيعة في الغرب, ومن الحدود المصرية شمالا إلي وادى عامور جنوبا. ويلاحظ أن الحياة النباتية تتبع للظاهرات المناخية لهذا الإقليم، فالمطر يكون أكثر في المرتفعات، وبذلك يكثر العشب والشجر، ثم يأخذ النبات في الندرة تدريجيا حتى ينعدم.

(*) تعتبر هذه المنطقة مقدسة في نظر قبائل البشارية وتجارتهم، وذلك لاعتقادهم بأن(الولى) كوكا لونكو انقلب إلى حجر صوان، وأنه موجود في إحدى مغارات الجبل، وأن رياحا موسمية شديدة الحرارة تهب من هناك. ولذا يحتفل بمولده كل عام في شهر ربيع.

الإقليم الثالث: تماراب Tamarab : يأخذ شكل المثلث: قاعدته وادى عـــامور شمالا ورأسه في الجنوب عند مشروع متاتب Mitateb على الضفة اليمني لنـــهر العطبرة. ويتشابه هذا الإقليم مع إقليم العتباي من حيـــث وجـــود عديـــد مـــن التضاريس مع سلسلة متقطعة من الكثبان الرملية، وتمتاز هذه الكثبان بأنها أكثر نباتا وذلك لأن المطر يتسبب في غزارة العشب حولها. (١٧)

الإقليم الرابع: هو النهر: يقصد بالنهر، نهر عطبرة، وهو إقليم صغير المساحة، يقع بالضفة الغربية للنهر، يأخذ شكل مثلث. يمتاز هذا الإقليم عن غـــيره مـــن الأقاليم بالسهول الموازية للشاطئ الجنوبي للنهر التي ســـاعدت علـــى وجـــود مراعي جيدة وعلى الزراعة أيضا. (١٨)

وعموما، في ضوء الظروف الطبيعية لقبـــائل البشـــارية، تتســـم حياتـــهم بالبـــداوة والتي لها طابع خاص تبعا لسقوط المطر، فنجد أن الحركة لا تتم فـــي تجمعات كبيرة العدد، وإنما تأخذ طابع جماعات صغيره تتراوح ما بين خمس أو ست أسر، وذلك لعدم اتساع المراعي.

ثانيا: تفاعل الإنسان والبيئة وأنماط المرض

تشير شواهد المادة الميدانية إلى أن بدو البشارية أكثر خضوعا للبيئة مـــن غيرهم من البيئات الريفية والحضرية، بالإضافة إلى أن نمط معيشتهم ونشاطهم الاقتصادي يعتمدان على الموارد الطبيعية الخام للبيئة. فبدو البشارية يعيشـــون في الصحراء الشرقية، سواء في خيام أو منازل شبه ريفية (بالقرب من مدينـــة أسوان ودارو)، ويمارسون النشاط الرعوي حيـــث يرعـــون الإبـــل والمـــاعز والأغنام. بالإضافة إلى مزاولتهم لنشاط اقتصادي آخر هـــو جمـــع الأعشـــاب والنباتات الطبية التي تنبت بعد هطول الأمطار في فصل الشتاء، وعلى ســـفوح الجبال في الصحراء الشرقية. وهذا النشاط بدوره أكثر اعتمادا على الطبيعة وما أعطاها الله قدرة الإنبات، وقدرة النباتات والأعشاب العلاجية والوقائية، ثم العمل بتجارة الأعشاب والنباتات التي يقومون بجمعها لتجارة العطـــارة فـــي مدينـــة أسوان.

ومازال النشاط الرعوي يمثل حجر الزاوية في النشاط الاقتصادي في البيئة البدوية الصحراوية عامة، ولبدو البشارية خاصة. ومن سماته التنقل والحركـــة المستمرين طوال العام مستخدمين الإبل والحمير لمتابعة قطعان الإبل والمـــاعز

والأغنام. وتارة أخرى يقومون بجمع النباتات والأعشاب الطبية من فوق سفوح الجبال، بالإضافة إلى نشاطهم بنقل بضائعهم إلى الأسواق المحلية الأسبوعية في مدينة أسوان (سوق الخميس)، ومدينة دراو (سوق الجمال).

ولقد لوحظ بالمعايشة أن انتقالهم من مكان إقامتهم إلى القرى والمدن المجاورة يعتمد في الأغلب الأعم على الاستعانة بالدواب (الإبل والحمير) باستثناء بعض البيوت التي تقطن بجوار مدينة وقرى مركز أسوان، فيعتمدون على سيارات الركاب، أو سيارات النقل.

وتأسيسا على ما سبق جاء تفاعل بدو البشارية مع بيئتهم ونشاطهم الاقتصادي تفاعلا إيجابيا، بمعني أنهم لم يسيئوا استخدام البيئة ولم يلوثوها. على عكس ما هو قائم في بيئات أخرى كالريف والحضر والمناطق الصناعية.

١-البيئة البدوية كوعاء للمرض

تجمع غالبية آراء أعضاء بدو البشارية على أن مفهوم المرض: "ألا يشتكي الزول (أى الشخص) من أي ألم ودايما نايم في البيت ومش قادر يعمل". أما مفهوم الصحة يعني: "القدرة على العمل والحراك في النهار وفي الليل في الحر والبرد ولا يكل ولا يتعب الزول منا". ونستخلص من مفهوم الصحة والمرض لدى بدو البشارية أن الاعتقاد السائد حول الإنسان السليم هو الفرد القادر علي أداء أعماله في ظروف البيئة الطبيعية(بما فيها من رياح وحرارة وبرودة). وأن عدم الحركة والالتزام بالبيت وكثرة الشكوى هى من سمات الرجل المعتل.

في حين أننا إذا تأملنا الظروف وسمات البيئة البدوية الصحراوية لبدو البشارية، سنجدها في جملتها بيئة تجمع بين المتناقضين: مقومات الصحة ومقومات المرض وهى علي النحو التالي:

أ- تتميز البيئة البدوية الصحراوية بالاتساع اللامحدود، وهذا علي المستوى الميكرو. أما علي المستوى الماكرو فجميع مساكن البدو البشارية إما خيام مصنوعة من صوف الإبل والأغنام، أو منازل ريفية عبارة عن حجرة أو حجرتين مسقوفتين بسقف النخيل، ملحق بهما حوش كبير لمبيت الحيوانات.

وهذا النمط من المساكن بقدر ما يتميز بالتهوية الجيدة وتوفير الإضاءة

الطبيعية بدخول الشمس المسكن طوال ساعات النهار، إلا أنه يتعرض في فترات هبوب الرياح لتيارات هوائية مترية وباردة شتاء حارة صيفا، ومما لا شك فيه أن هذه التيارات الهوائية تؤثر علي صحة أفراده، فيترتب علي ذلك الإصابة بالنزلات الشعبية والصدرية والزكام والكحة للأطفال والبالغين.

ب- البيئة البدوية الصحراوية لبدو البشارية غالبا ما تكثر بها الرمال وتيارات الهواء والرياح الحارة والباردة، وتتباين فيها درجات الحرارة في اليوم الواحد، صباحا ومساءا، بشكل حاد، وعلى المستوى الفصلى قد تصل درجة الحرارة في شهر يناير إلي ٢٣,٧ درجة والنهاية الصغرى ٩,٦ درجة بفارق ١٤,١ درجة. أما في شهرى يوليو وأغسطس فتصل النهاية العظمى إلي حوالى ٤٢ درجة في الظل والصغرى ٢٥,٦ درجة أى بفارق حوالى ١٦,٤ درجة.

والخلاصة، أن بدو البشارية يعيشون معظم أوقات السنة في مناخ قاري شديد الحرارة نهارا، شديد البرودة ليلا، مما يحدث خللا من حرارة الجو والحرارة الداخلية لأجسامهم. ولذلك كثيرا ما تنتشر الأمراض الروماتيزمية بأشكالها (آلام الظهر، آلام المفاصل، عرق النسا)، والأمراض الصدرية (أمراض الجهاز التنفسى كالحساسية الصدرية والكحة والربو).

ج- البيئة البدوية الصحراوية لبدو البشارية قليلة الموارد المائية، لذا فهم يعتمدون على المياه الجوفية- الآبار والعيون- في قضاء حاجاتهم من الشرب والطهى والنظافة. وغالبا ما تكون هذه النوعية من المياه إما ملحة أو شديدة الملوحة، مما يسبب لهم آلام المعدة وعسر الهضم وتقلصات الأمعاء وأمراض الكلى.

د- البيئة البدوية الصحراوية عامة وبيئة بدو البشارية خاصة، مرتع للحشرات والزواحف الضارة بصحة الإنسان: مثل الثعابين والعقارب، و(ثعبان الطريشة)، وجميع هذه الحشرات والزواحف تمثل مصدر خطر لساكنى المناطق الصحراوية.

وعلي المستوى الأكثر تحديدا، فإن مورفولوجية المسكن البدوى تمثل وعاء جيدا للإصابة بلدغ الحشرات والزواحف والحيوانات. وبالرغم من أن مساكن البدو البشارية تنقسم إلي نوعين: الأول الخيام المصنعة من صوف الأغنام ووبر الإبل. والنوع الثانى هو البيوت التي توجد على حدود مدينة أسوان وقراها. فهم

يسكنون في مساكن ريفية ذات طابق واحد أو اثنين. وغالبا ما يكون السقف من جريد النخيل وفروع الأشجار أو عروق الخشب، وتبقى الجدران بدون طلاء(محارة). وبالتالى تكثر فيها الفجوات والفتحات الناتجة عن تباين أحجام مواد البناء (الدبش - الحجر الرملى)، فتتحول معظم جدران هذه المساكن إلى مأوى للكائنات البيئية الخطيرة (الأفاعى، الثعابين، الحيات، العقارب، الأبراص، الفئران)، حيث يتعايش أعضاء البيت الواحد باختلاف أعمارهم مع هذه الكائنات على أنها تشاركهم الإقامة في نفس المسكن، من حيث عدم إيداء أى محاولة أو بادرة لمقاومتها أو الفزع والخوف منها عند رؤيتها علي جدران المسكن، أو عندما تخرج من جحورها أو مخابئها، أو أثناء تحركها للانتقال من مكان إلى مكان أخر, بحثا عن الدفء (الثعابين) أو عن فريسة تلتهمها, خصوصا في فصل الصيف حيث يشيع النوم على الأرض على أبراش وبجوار الجدار(العقرب- الحية-البرص) فيتعرض الصغار والكبار للدغ والإصابة بسمومها التي غالبا ما تؤدى إلى موتهم(١٩).

أما عن التقسيم الداخلى لمسكن بدو البشارية سواء منهم من يقيم في خيام داخل الصحراء أو البيوت التي تقيم بجوار المدن والقرى، فغالبا ما يلحق بآخره (حجرة - أو خيمة) طبقا لحجم الأسرة تعرف بالحوش، يكون مخصصا لمبيت الحيوانات والطيور ليلا. أما أثناء النهار فتمثل كل من الحيوانات والطيور جزءا من مكونات المسكن.

ولقد كشفت الملاحظة المتكررة عن عدم وجود حدود فاصلة بين مكان معيشة الإنسان ومكان معيشة الحيوان، وبالتالى فإن ما يعلق بأجسام الحيوانات من حشرات (الذباب والبراغيث والقراد) يتسبب في إصابة أفراد الأسرة بأمراض الحيوان. ومن هذه الأمراض مرض الدرن الذى يحمله جلد الماعز.

هـ- المسكن البدوى وعاء يخلو من مقومات النظافة: لقد كشفت المعايشة لبدو البشارية بأن الغالبية العظمى من مساكنهم (خيام أو منزل ريفى) تخلو من المواد اللازمة للنظافة، وتأتى المياه على رأس هذه المواد اللازمة لعملية النظافة، حيث تباعد أماكن الآبار عن مساكن البدو، مما يجعل عملية نقل المياه - علي الدواب علي رؤوس النساء- لمسافات تبلغ من ١,٥ -٢ كيلو متر عملية شاقة، ويجعل الحصول عليها والتعامل معها يتمان دائما في حرص وفى

أضيق الحدود. هذا إلي جانب عدم توفر الوعى الصحى لدى السيدات البدويات، بسبب ارتفاع نسبة الأمية بينهم، وبالتالى ليس هناك أى وعى بعمليات النظافة الشخصية، من غسيل الأيدى واستحمام للبالغين والأطفال، مما أدى إلي عدم الاهتمام بتوفير المواد اللازمة لنظافة جسم الإنسان، وبصفة خاصة الأطفال (من صابون وملابس داخلية)[٢٠].

كما لوحظ من العادات الشائعة لدى أسر البدو البشاريين، أن نجد أطفالهم وقد اعتادوا علي تناول طعامهم أثناء اللهو مع أطفال آخرين، أو مع الحيوانات الموجودة داخل الحيز المكانى أو أمام المسكن. ولذا نلاحظ أن الطفل كثيرا ما يترك الطيور والحيوانات تأكل من نفس الإناء الذى يأكل فيه. وبالتالى يؤدى ذلك إلي اختلاط لعاب الحيوان بطعام الطفل، مما يؤدى إلي إصابة الأطفال بالأمراض المختلفة – نزلات معوية – تسمم – أمراض جلدية – نتيجة لهذه المخالطة للحيوانات.

و–الزواج القرابى والأمراض الوراثية: تتفق الشواهد الميدانية لدراستنا الحالية مع نتائج سابقة لكاتبة هذه السطور عن قوة النسق القرابى في البناء الاجتماعى لبدو البشارية، من حيث قيامهم بوظيفة التوازن الاجتماعى لهذه التجمعات البدوية ذات الكثافة السكانية القليلة من جهة، وبين طبيعة البيئة البدوية الصحراوية القاسية والفقيرة للكثير من الموارد الطبيعية اللازمة لتحقيق حياة مستقرة وآمنة لساكنى هذه المناطق. وهكذا دعمت ميكانيزمات الثقافة البدوية من إعلاء قيمة الزواج القرابى، الذى يساهم في تكوين تجمعات قرابية عاصبة، يعملون معا في نشاط اقتصادى واحد هو: الرعى، والتجارة، وجمع النباتات والأعشاب الطبية، بغية تحقيق التكيف مع البيئة.

أما على المستوى الأوسع، فقد أعلا بدو البشارية من قيمة العلاقات القرابية العاصبة[٢١] كتدعيم لوحدتهم وتماسكهم في مواجهة النقص في الكثافة العددية، والعوز الذى تفرضه عليهم البيئة البدوية الصحراوية. أما على المستوى الأضيق، فقد كشفت نتائج الطريقة الجينولوجية لهذه التجمعات عن ظهور الجانب السلبى للزواج القرابى، متمثلا في الأمراض الوراثية التي ظهرت فيما بين جيل الأبناء والأحفاد، كالتشوهات الخلقية مثل: الصمم، والبكم، والعمى، والكساح، ونقص الوزن، وأمراض القلب.

ز -افتقار البيئة البدوية الصحراوية لبدو البشارية عن توفر العناصر الغذائية: لقد كشفت الدراسة الميدانية عن افتقار البيئة الطبيعية لبدو البشارية لكثير من العناصر الغذائية اللازمة للطعام الصحى، مثل الخضراوات والفاكهة الضرورية ليتحقق الغذاء المتكامل بالنسبة لأعضاء المجتمع. هذا بالإضافة إلي اعتماد أعضاء مجتمع البشارية بشكل مباشر علي ما تقدمه البيئة الطبيعية الصحراوية من إمكانيات وعناصر في صورتها الأولية، مثل ألبان الماشية والماعز والإبل التي اعتادوا استخدامها بصورتها الأولية (بدون غلي) من جهة، وعدم مراعاتهم لقواعد النظافة بالنسبة لجسم الحيوان أثناء عملية الحلب ومن جهة أخرى، وكذلك القائمين بعملية الحلب. هذا فضلا عن انعدام المقومات اللازمة لتحقيق النظافة (مياه دائمة – صابون)، بالإضافة إلي اعتيادهم مخالطة الحيوانات، مما ساهم في كثرة إصابتهم بالأمراض التي تصيب الحيوانات. نذكر منها على سبيل المثال: مرض الدرن الذي تحمله الماعز، ومرض الجرب الذى تحمله المواشى والإبل، والحمى المالطية التي تصيب الحيوانات الأخرى، بالإضافة إلى كثرة إصابة الأطفال بالنزلات المعوية.

وتأسيسا على الطرح السابق يمكننا أن نخلص إلى القول: أن هناك تفاعلا حميما بين البشارية مع بيئتهم الطبيعية وعناصرها المختلفة من جهة، ونشاطهم الاقتصادى من جهة أخرى، وأن هذا التفاعل قد ساهم في إصابتهم ببعض الأمراض، وبالتالى ظهور بعض الأعراض المرضية. ومن ثم تحددت أنماط المرض التي تنتشر فيما بينهم، والتي أكدت أقوال الإخباريين إصابتهم بها.

وبناء علي ذلك قامت الباحثة بعد حصر هذه الأمراض وتجميعها بإجراء محاولة لتصنيف هذه الأمراض في ضوء تقسيمات أعضاء الجسم أو مكان الألم أو موضع الإصابة معيارا للتصنيف، فجاء التصنيف على النحو التالى:

١- الأمراض الجلدية: هى الأمراض التي تصيب سطح الجلد مثل الجدرى، والحصبة، والقراع، والجرب، والبهاق، والبثور، والجزام.

٢- أمراض الصدر:هى التي تصيب الجهاز التنفسى مثل نزلات البرد، والكحة.

٣- أمراض العيون: هى التى تصيب العين (الحول – إحمرار العين – شعر العينين).

٤- أمراض وألم البطن والكلى: مثل التسمم - انتفاخ البطن - ديدان البطـــن - تعقد الرياح - الحمى القلاعية (البثور فى اللسان أو الفم) ــ السخونة - حصـــر البول - حصوة المثانة - النزيف - التقل (الدوسنتاريا) ــ المغص الكلوى.

٥- الأمراض الوراثية: هى الأمراض التى ليس لعامل البيئة دخل فى حدوثـــها أو وقوعها، وترجع إلى القيم الثقافية والاجتماعية التى مازال مجتمع البشـــارية يتمسك بها، مثل الزواج العاصب، الذى يتسبب فى ظهور بعـــض التشـــوهات الخلقية مثل الصمم والعمى، وأمراض القلب (ثقب فى القلب)، نقـــص الـــوزن، الكساح.

٦- ألم المفاصل والعظام: مثل الآلام الروماتيزمية - ملـــخ الركبـــة - وجـــع الظهر، عرق النسا.

٧- الجروح وكسور العظام والحروق: الجروح بأنواعـــها، الـــنزيف، الحـــرق بالنار، كسور العظام.

٨- التسمم: مثل: لدغ العقرب والثعبان والطريشة، لسع النحل، أو التسمم بتناول أطعمة أو أشياء فاسدة.

٩- آلام الأسنان: تسوس الأسنان.

١٠- أمراض خاصة بالنساء: العقم - قطع الـــدم (الحيـــض) - المشـــاهرة - المقيرنة (التى يموت أطفالها بمجرد ولادتهم).

١١- أمراض مرحلة الطفولة: تأخر المشى والكلام - تأخر ظهور الأســـنان - البكاء الكثير.

١٢- الأمراض النفسية والعصبية: الصرع، المس.

٢- البيئة البدوية كوعاء للصحة

(أ) تتميز البيئة البدوية بالصحراء الشرقية بأنها مازالت بيئة بكرا: أى لم تصـــل إليها يد التلوث، وذلك راجع إلى خلوها من مشـــاريع التنقيـــب عـــن البـــترول والمعادن، والمناجم. وبالتالى يتميز هواؤها بخلوه من كثير من الملوثات مثـــل: الرصاص، وعوادم السيارات، وتراب المناجم، ودخان المصانع، إلـــى جـــانب

تميزها بالكثافة السكانية القليلة.

(ب) طول ساعات سطوع الشمس طوال العام: تتميز البيئة البدوية الصحراوية بطول ساعات سطوع الشمس صيفا وشتاء، والتي قد تصل في المتوسط من ١٢-١٧ ساعة يوميا، وقد ساهم ذلك في تعرض أجسام أطفالهم للأشعة فوق البنفسجية، مما يساعد على تقوية عظام أطفالهم والشباب البالغين، ولذا أكدت المادة الإثنوجرافية قلة الإصابة بلين العظام عند أطفال البشارية.

(ج) تتسم البيئة الطبيعية لبدو البشارية بتوفر العناصر الطبيعية المتعددة: من (طمي – تراب الجبل – رمال – هواء نقي – أشعة شمس طول العام – نخيل)، بالإضافة إلى الأعشاب والنباتات الطبية التي حباهم بها الله – سبحانه وتعالى – فجربوها وتعرفوا على خصائصها الوقائية والعلاجية، ثم قاموا بجمعها من أماكن وجودها في سفوح الجبال والوديان، ثم باعوها إلى التجار (العطارين) فأصبحت كنشاط اقتصادي إلى جانب النشاط الرعوي.

ومن أهم الأعشاب والنباتات الطبية التي تتوافر في بيئة بدو البشارية، على سبيل الحصر: الحرجل – الشيح – الحلفا بر – الحنظل – ورق الأراك – الماشة – شجر المشمس – شجر العشر – الغزال – الطلح – شجر المليح – السنط ــ القرض.

ثالثا: الممارسات العلاجية والعناصر المستخدمة في الإعداد

تشير بعض نتائج الدراسة الميدانية إلى تعدد العناصر الطبيعية المستمدة من البيئة الصحراوية، التي مكنت بدو البشارية من اختبارها والاعتماد عليها كمصدر من مصادر العلاج الشعبي. حيث عرف بدو البشارية بممارسات علاجية وقائية تعتمد في إعدادها على أنواع معينة من الأعشاب والنباتات الطبيعية، وهي كما يلي:

١- وصفات علاجية تعتمد على الأعشاب البرية وأوراق الشجر

تظهر المادة الإثنوجرافية اتساع دائرة خبرة بدو البشارية ببيئتهم وما تحتويه من أعشاب، وخبرتهم في إمكانية توظيف استخدامها كعلاج، بعد أن أعيتهم الحيلة وظروف العزلة النسبية وقسوة الظروف الطبيعية، بالإضافة إلى خلو بيئتهم من الخدمات الطبية الرسمية، مما حتم عليهم أن يخضعوا مقومات

وعناصر البيئة الطبيعية للتجربة، فى ضوء مبدأ "الحاجة أم الاختراع". ومن الطبيعى أن محاولاتهم كانت تبوء تارة بالفشل وأخرى بالنجاح، حتى استطاعوا أن يتعرفوا على خصائص أعشابهم ونباتاتهم البرية، ثم جاءت نتائج تجاربهم ومحاولاتهم تشير إلى استخدام الأعشاب والنباتات البرية بصورتها الخام، وأحيانا أخرى يقومون بتعديلها بالنقع فى الماء أو فى اللبن أو خلطها مع الدهون والشحوم الحيوانية. بل إنهم يستخدمونها تارة فى صورتها الأولية وتارة أخرى وهى سائلة، أو أنهم تعمدوا التغيير فى شكلها بالطحن أو بالغلى أو بالخلط مع نباتات أخرى، أو مزجها بغيرها من الأعشاب والدهون حتى تشكل وصفة أخرى جديدة تفيد فى العلاج.

ومن الأعشاب والنباتات ذات الشهرة بين بدو البشارية

(أ) الأعشاب البرية: الحلف بر، الشيح، الحرجل، الطلح، الأراك، الغزال. وجميع هذه الأعشاب يعرفها بدو البشارية من جيل الأجداد والآباء على أنها أعشاب برية تنمو فوق سفوح الجبال وفى الوديان، تعرف معظمها بلونها الأخضر فى بداية نموها، ثم بتغير لونها بعد جفافها، فتأخذ اللون الأصفر المتشرب بالخضرة. كما تتفاوت أحجامها وأشكالها، فالبعض يأخذ شكل العيدان والبعض على شكل أوراق منها الصغير والكبير الحجم.

ومعظم هذه الأعشاب يتم جمعه بعد تمام جفافة، وهى تحتاج لعمليات صعود إلى سفوح الجبال وهبوط إلى قاع الأودية لجمعها، ولا يقدر على هذه العملية سوى من تمرس على صعود الجبال، بالإضافة إلى أن هذه الأعشاب فى مجملها تتميز بالرائحة النفاذة والطعم غير المستساغ. ولذا يراعي عند إعدادها سواء بالغلى أو الطحن (مثل الحلف بر والشيح والحرجل والطلح والغزال) أن يضاف إليها السكر أو العسل الأسود قبل تناولها. ويؤكد إخباريو البشارية فاعلية هذه الأعشاب فى علاج الكثير من الأمراض التى يتعرضون لها، وهى كما يلى:

- **الحلف بر:** من الأعشاب البرية المشهورة، يتوافر فى البيئة الصحراوية لبدو البشارية. اعتاد بدو البشارية شربه منقوعا أو مغليا (مثل الشاى) لعلاج المغص وآلام المعدة ولإدرار البول (حالة احتباسه لدى مرضى الكلى). أما فى حالات نزلات البرد الشديدة فتضاف إليه بعض أوراق شجر الغزال والحرجل ويغلى الخليط معا وتحليته بالسكر. وفى حالات الإصابة بنزلات البرد أيضا

يحرصون على استقبال دخان الحلف بر والقرض بعد وضعهما على فحم مشتعل بجوار المريض في مكان مغلق، بغية تدفئة الجسم حتى يعرق جسم المريض، لأنهم يعتقدون بأن خروج العرق يفتح مسام الجلد ليدخل بخار الحلف بر والقرض اللذان يساعدان على إخراج الرطوبة والبرد من جسم المريض فيشفى. ويقوم البدو أحيانا أخرى بعمل لبخة لعلاج الصداع المستمر أو ارتفاع ضغط الدم، تعمل من الحلف بر والشيح بعد إضافة الملح، وتوضع فوق الرأس لمدة يومين حتى يتم الشفاء.

- **الحرجل:** من النباتات الصحراوية المتوفرة فى بيئة البشارية، اعتادوا استخدامه بعد غليه فى الماء وتحليته بالسكر لعلاج المغص، واستخدامه كغرغرة لعلاج آلام اللوزتين والحلق بدون تحلية.

- **أوراق الأراك:** أوراق صغيرة الحجم كأوراق النعناع، تجمع من على سفوح الجبال وتجفف، اعتاد البشارية استخدامها لعلاج آلام الكلى وانتفاخ البطن. ويكون ذلك بأن تنقع الأوراق فى الماء الدافئ لمدة ٣-٤ ساعات، ثم يقدم كمشروب بدون تحلية. كما يستخدم أيضا فى علاج القروح الجلدية وذلك بعد خلطه بمواد أخرى وهي كما يلى: يحضر دهن الماعز ويتم تسخينه حتى الغليان، ثم تضاف إليه أوراق الأراك المطحون ويمزج حتى يصير سائل غليظ القوام، ثم يصب على القروح وهو ساخن. أما فى حالة ألم الأسنان، فعادة ما يتم غلي أوراق الأراك مع القرنفل وورق النعناع. ويستقبل المريض هذا البخار بغية سحب الرطوبة أو إنزال السوس العالق بالأسنان والمتسبب فى حدوث الألم.

- **الشيح:** من الأعشاب المشهورة لعلاج الزكام وارتفاع درجة الحرارة والكحة، ويتم ذلك بغلى الشيح وشربه بعد تحليته بالسكر، أو حرق أوراقه على قطعة من الفحم المشتعل واستنشاق الدخان المتصاعد منه، وذلك لإيقاف رشح الأنف وسحب الرطوبة، فيستطيع الإنسان بعد ذلك أن يتنفس بسهولة.

كما يستخدم البشاريون الشيح لعلاج البثور التى تظهر على الجسم وخاصة الوجه، بأن يغلى الشيح ثم تغسل به الأماكن المصابة بالبثور لمدة سبعة أيام، وإذا لم تخفى البثور، يلجأ البشاريون إلى عمل عجينة من الثوم المهروس يضاف إليه الملح والزيت وماء الشيح المغلى. تمزج العناصر السابقة وتوضع

على الأماكن المصابة لمدة من ٣-٦ أيام. ويؤكد المعتقد الشعبى على فاعلية هذه العجينة لحفظ الأجزاء المصابة من التعرض للجو المملوء بالتراب والشوائب، وتمنع تكوين الصديد، وبذلك يساعد على زوالها من الجسم، ويعجل بذلك.

- **الدمسيسة:** نبات طبى، عبارة عن أعواد رفيعة تتدلى منها حبوب صغيرة ذات لون رمادى غامق، تستخدم عادة لعلاج المغص الكلوى، حيث يقوم البشاريون بطحنها وغربلتها حتى تصبح كالبودرة، ثم تغلى بالماء. ويشترط أن تقدم ساخنة وبدون تحلية، وأن يتناولها المريض على الريق بعد الاستيقاظ مباشرة، وقبل النوم فى المساء.

- **ورق شجر الغزال والجنباء:** اعتاد البشاريون استخدام أوراق شجر الغزال لعلاج السعال، وذلك بغليه وتحليته بالسكر أو إضافة ورق الجوافة والحرجل إليه ويغلى حتى يصير مزيجا ويشرب لمدة من ٣-٤ أيام صباحا على الريق وفى المساء.

- **أما أوراق شجرة الجنباء،** فعادة ما يقوم البشاريون باستخدامه لعلاج مريض الحصبة، بأن يحرق ورق الجنباء على فحم مشتعل ويتعرض المريض لهذا الدخان وتستمر هذه العملية لمدة من ٢-٣ أيام صباحا وبعد صلاة المغرب، بغرض القضاء على الطفح الجلدى الذى يسبب الألم وارتفاع درجة الحرارة.

٢- وصفات وممارسات علاجية مستمدة من النباتات

دلتنا الدراسة الميدانية على استخدامات أسر بدو البشارية والمعالجين الشعبيين للعديد من النباتات بصورتها الطبيعية، أو إدخال بعض التعديلات فى شكلها، أو بإضافة عناصر أخرى إليها، بغية استنباط وصفات وقائية وعلاجية. وهذه النباتات هى: الثوم – الحناء – القرض – النعناع – البصل – الحنظل – المر – الترمس – الحلبة – الشعير – البقدونس – حبة البركة – الكزبرة – الكمون – الزنجبيل – الباذنجان – الجميز.

الثوم: نبات الثوم من أكثر النباتات شهرة بين أسر بدو البشارية من جهة، والمعالجين الشعبيين من جهة أخرى، لكونه نبات مطهر وواق من كثير من الأمراض، إلى جانب أنه يحتل مكانا كبيرا فى الوصفات العلاجية، سواء على مستوى الوصفات المنزلية التى يقوم بها أفراد أسر البشارية، أو يقوم بها

المطببون الشعبيون. ومن جهة أخرى يتمتع الثوم بمكانة متميزة في نسق المعتقدات الشعبية لبدو البشارية، لما يتمتع به من خاصيته الدائمة النفاذة، وقدرتها على طرد الأرواح، والحماية من العين الحاسدة، وإبطال الأعمال السحرية، إلى جانب طرد الحشرات الضارة من المنازل، مثل الثعابين والعقارب. ويتأكد ذلك في أقوال معظم الإخباريين، التى تؤكد قدرته الوقائية والعلاجية: "البيت اللى فيه توم لا يسكن فيه الجن ولا شيطان"، "التوم ده قادر على تطهير المصارين والبطن من أى عفن أو ألم، لأنه هو علاج لكل ألم".

وتجسد ذلك فى تعدد الوصفات العلاجية المستمدة منه لعلاج العديد من الأمراض، فمثلا يعد الثوم مصدرا لعلاج معظم الأمراض والآلام الخاصة بالبطن مثل: ديدان البطن، تعقد الرياح فى البطن، انتفاخ البطن، ديدان الأذن، بثور الوجه، الحمى القلاعية (القرحة فى اللسان والحلق والفم للأطفال). وقد توصلت خلاصة تجاربهم إلى استخدامه تارة بصورته الطبيعية أى خام، وذلك فى حالات انتفاخ البطن وكثرة الغازات بها، حيث يقوم البالغون فى الأسرة البدوية بتقديم فصوص الثوم - بعد تقشيرها - للمريض ليقوم بابتلاعها على الريق لمدة تبدأ من يوم واحد إلى ثلاثة أيام، ثم بعد ذلك تزول الأعراض المرضية ويتم الشفاء بخروج الغازات وانخفاض حجم البطن، ثم يبدأ المريض بأداء عملية الإخراج بصورة طبيعية.

أما فى حالة الإصابة بالحمى القلاعية (البثور التى تنتشر بالفم واللسان) فيستخدم الثوم بعد تعديل صورته الأولية، بإضافة كمية من الملح والزيت (زيت بذرة الكتان)، ثم تطحن فصوص الثوم المقشرة ويمزج الجميع حتى يصير عجينة، تفرد فوق المكان المصاب بالبثور، ثم تكرر هذه العملية ٣ مرات حتى تختفى البثور.

وفى حالة الإصابة بديدان البطن، يقوم المطبب بعصر فصوص الثوم ليتناوله المريض على الريق لمدة ثلاثة أيام، بعدها يلاحظ المريض نزول الديدان مع البراز، ويزول الألم بنزول الديدان. أما فى حالة عدم استجابة الديدان لهذه الوصفة العلاجية، فإن المطبب يلجأ إلى عمل وصفة أخرى، وهى عبارة عن: طحن فصوص الثوم ومزجها بالعسل الأسود حتى يصير المزيج كالعجينة اللينة القوام، يأكل منها المريض كل يوم على الريق لمدة ثلاثة أيام، بعدها يبدأ

نزول الديدان من البطن، ويشفى المريض من الألم.

كذلك يستخدم الثوم أيضا لعلاج ثقل السمع (الطرش)، ويعتقد البشاريون أن السبب فى عدم القدرة على السمع ترجع فى الأصل إلى وجود ديدان بالأذن. وتؤكد أقوال كل من الإخباريين والمطببين الشعبيين: "الديدان دى تمنع الزول منا لا يسمع كلام الناس، ويفضل كده حتى يطلع الدود من الودن ويخف الزول". ومن الوصفات العلاجية الشائع استخدامها لعلاج ثقل السمع: إعداد عجينة من فصوص الثوم وزريعة البصل (قلب البصلة)، يضاف إليها دهن الماعز وهو فى حالة سائلة وساخنة. تمزج هذه العناصر حتى تصير عجينة، توضع على فحم مشتعل، ثم تقرب أذن المريض من الدخان المتصاعد حتى يدخل داخل الأذن. وتستمر حتى تنتهى العجينة وتحرق بأكملها، بعدها يشعر المريض بزوال الألم.

أما إذا استمر الألم بعد الوصفة الأولى، يلجأ المطبب إلى عمل وصفة أكثر حبكة بغية إخراج الديدان من الأذن، وبذلك يزول السبب فى الألم. ويصف الطبيب الشعبى قائلا: "تقشر فصوص الثوم ثم نضعها فى إناء، وتوضع على نار هادئة بعد إضافة قليل من الماء، حتى ينضج، ثم يقوم المطبب بهرس الفصوص بالضغط عليها حتى تفرز سائلا أصفر اللون، عادة ما يطلق عليه زيت الثوم. يجمع هذا الزيت ويوضع فى إناء يقطر منه فى أذن المريض، ويقوم المطبب بعد مضى خمس عشرة دقيقة من عملية التقطير بوضع إناء به ماء بجوار أذن المريض كى يستقبل ما ينزل من دود ميت من أذن المريض. وبذلك يشفى بزوال الألم ونزول الدود، ثم تعود إليه قدرته على السمع.

الحناء: نبات ينمو فى القرى التابعة لمدينة أسوان: غرب أسوان، أبو الريش، وعادة ما يتحصل عليه بدو البشارية من سوق الخميس الذى يعقد بمدينة أسوان أسبوعيا. وقد درجت أسر بدو البشارية على استخدام نبات الحناء فى أغراض عديدة منها ما هو كوصفة وقائية أو علاجية أو جمالية.

ومن الوصفات العلاجية استخدامها فى علاج الحروق بأنواعها (لسعة النار أو الماء الساخن)، بأن تعجن الحناء بعد طحنها وغربلتها حتى تصبح ناعمة كالبودرة، ثم تعجن بمنقوع القرض، ويضاف إليها بياض البيض. وتمزج جميع هذه العناصر حتى تصير عجينة لينة، توضع على الأماكن المحروقة

فـور حدوث الحرق لكى تلطف من الألم، ومن جهة أخرى تعمل طبقة عازلـة تمنع تعرض السطح المصاب بالحرق للهواء والأتربة. كما تمنع تكويـن مـاء تحت الجلد، وبهذه الوصفة يعجل بجفاف الحرق وسرعة الشفاء.

أما فى حالة الإصابة بالصداع نتيجة لضربة الشمس فى فصل الصيف، فقد اعتادت أسر بدو البشارية إعداد وصفة علاجية سريعة، تتكـون مـن الحنـاء مضاف إليها منقوع القرض، وتعجن حتى تصير لينة ثم تفـرد علـى الـرأس بغيـة سحب حرارة الشمس وألم الصداع. كما تستخدم نفس العجينـة السـابقة كمادة مساعدة لتضميد الجروح، مثل الجرح الذى يفتح أثناء عملية التفصيد التى يقوم بها المطبب الشعبى لعلاج مرض الفيل (سوف نتحدث عن ذلك بـالتفصيل فى موضوع العمليات وأدوات الطب الشعبى).

أما الوظيفة الثانية لنبات الحناء فهى استخدامها كوصفة وقائية قبل حـدوث المرض، فتشير المادة الإثنوجرافية إلى اعتياد النساء البدويات الاسـتفادة مـن نبات الحناء للوقاية من المشاهرة، سواء التى تحدث للعرسان حديثى الزواج، أو تلك التى تحدث للسيدة الواضعة. وذلك بأن تجهز هذه الوصفة الوقائيـة قبـل وقوع الحدث (الفرح – الولادة)، بإحضار نبات الحنة والقرض الجاف وبـذور البصل وغلة (قمح أو فول)، والكسبرة. تمزج هذه الأصناف وهى جافـة، ثـم توضع فى إناء للتنجيم (أى توضع تحت السماء مباشرة "تحت النجم" ولتشـاهد ظهور هلال الشهر العربى)، وتعرف هو الوصفة "بالبسلة". توضع البسلة بعـد تنجيمها فى مسكن العروسين قبل ليلة الزفاف، وخلف السيدة حديثة الولادة وقبل الوضع. ويفسر المعتقد الشعبى أن هذه الوصفة الوقائية كفيلة أن تمنع حـدوث المشاهرة بأن تمنع دخول الشياطين إلى منزل العروسين، وتقـى مـن العيـن الشريرة، وتبطل أى "عمل" الغرض منه الإضرار بالعروسين.

أما كوصفة جمالية، فقد درجت أسر البشارية على استخدام الحناء لما يتميز به نباتها من خاصية التلوين لصبغ الشعر الأشيب للرجال والنسـاء، ولعـلاج قشرة الشعر، وعلاج الشعر القصير والضعيف، بغية تغذيته ليطول، وذلك بعـد إضافة الزيت والحنظل الأخضر (السائل الأبيض الذى فى ثمرة الحنظل)، ثـم تدلك به فروة الرأس ويغطى بها الشعر كله. أما استخدامها كصبغة للشعر، بـأن تعجن بمنقوع الكركديه أو منقوع القرض، أو ماء البصل، وتترك لتخمر، ثـم

تفرد على الرأس لمدة يوم واحد ثم يغسل الخليط ويزال بعد ذلك.

كما تستخدم لتلوين (تخضيب) أيدى وأرجل العروس قبل ليلة الحناء بغية التجميل والوقاية من المشاهرة، بل وتستخدم لصبغ جسم الميت قبل تغسيله للمحافظة على لون البشرة حمراء بدلا من الصفراء، وجعل الجسم أكثر ليونة. ويفسر المعتقد الشعبى هذه الممارسة أو الوصفة بما أكدته أقوال الإخباريين (لأن الزول يبعث بعد موته على الصورة إللى كان عليها هو حى وإحنا نحب يكون بصورة حلوة وجميلة).

نبات الحنظل: يعرف بالمر، وهو من نباتات البيئة الصحراوية، وعادة ما تأخذ الثمرة شكل الليمونة الكبيرة ذات اللون الأخضر وهى طازجة، واللون الأصفر عندما تجف. وهذا النبات معروف لدى الأسرة البشارية باسم (القطران)، فقد درج استخدامه لعلاج العديد من الأمراض والأعراض، وعلى رأسها الأمراض المعدية: مثل الجرب، الذى عادة ما يصاب به الإنسان نتيجة لكثرة اختلاطه "وملامسته" للمواشى والجمال، وذلك بحكم النشاط الاقتصادى الرعوى.

وعادة ما يتم إعداد الوصفة العلاجية اللازمة للتصدى لهذه المرض المعدى باستخدام نبات الحنظل فى صورته الطازجة، وذلك بوضعه فى إناء ثم يرفع على نار هادئة حتى ينضج ويخرج ما به من زيت، ويطلق على هذا الزيت (القطران). يجمع الزيت فى إناء آخر بواسطة المطببين الشعبيين لعلاج الأجسام المصابة بالجرب، بدهان الجسم لمدة ٤٠ يوما متتالية. كما يستعان أيضا بزيت الحنظل لعلاج الجذام حيث يستمر دهان الجسم المصاب قرابة ٩٠ يوما (ثلاثة أشهر). فى نفس الوقت يمنع المطبب الشعبى الشخص المصاب من أكل البيض والموز والمانجو حتى يتم الشفاء من هذا المرض المعدى.

أما فى حالة الإصابة بالناسور، فعادة ما يتم إضافة بذور الترمس بعد طحنها وغربلتها وتمزج حتى يصير غليظ القوام (مثل المرهم)، ويدهن به مكان الألم.

أما فى حالة علاج النقرس –ألم الكعبين– درج البشارية على استخدام ثمرة الحنظل بصورتها الطبيعية أى الأولية (لونها الأخضر)، وذلك بفتح ثمرة الحنظل حتى يسيل منها السائل الأبيض اللزج فيوضع على الكعبين، ذلك لأن

الحنظل له قدرة على امتصاص الألم. وتكرر هذه الوصفة من ثلاث إلى أربع مرات حتى يزول الألم.

أما فى حالة الإصابة بمرض الجدرى، فيستخرج السائل اللزج لثمرة الحنظل ثم يضاف إليه العسل الأسود - الحنطة - النشاء - ملح مذاب فى الماء، وتمزج هذه العناصر حتى تصير كالمرهم، ثم يقوم المعالج الشعبى بدهان الأجزاء المصابة. وتكرر هذه العملية، ويتم ذلك من بداية ظهور الطفح لمدة خمسة عشر يوما بعدها يزول الطفح الجلدى من الجسم.

-الجميز: من النباتات الصحراوية، يميل لونه إلى اللون البنى الغامق، صغير الحجم، يشبه التين البرشومي، درج على استخدامه فى حالته الجافة بعد الطحن، ثم غليه وتحليته بالسكر لعلاج الكحة، كما يستخدم وهو طازج باستخراج عصارته لدهن الجسم لإزالة آثار الوشم ولعلاج مرض البهاق.

الحلبة الحصى: تستخدم حبوب نبات الحلبة بعد تجفيفها وطحنها لعلاج التهابات العين، وذلك بعجن مسحوق الحلبة بالماء لعمل عجينة توضع حول العين المصابة بسبب الأتربة.

٣- الروائح والمشروبات العلاجية المجهزة من النباتات

درج أجداد البشاريين على شغفهم للتجربة، وذلك للتعرف على خصائص ما تجود به بيئتهم من جهة، وما في متناول أيديهم من نباتات غذائية يتناولها الإنسان أو الحيوان. ومن تجاربهم من جهة أخرى محاولة غلي بعض النباتات مثل: الشعير، المقدونس، العقول، نبات الغزال، ورق المشمش، الحلبة الحصي وتحليته بالسكر أو بالعسل، وتناوله كشراب أو تناوله بدون تحلية. وقد أثبتت المحاولة والخطأ جدوي هذه المشروبات لعلاج بعض الأعراض المرضية المؤلمة مثل: مشروب الشعير المغلي والمحلي بالسكر، وكذلك مشروب المقدونس كوصفه علاجية لفك حصر البول.

أما لتفتيت حصوة المثانة فقد درج المطببون الشعبيون على إعداد مشروب قوامه لبن الجمال مضافا إليه منقوع العقول (من النبات الصحراوية التي تتغذى عليها الجمال والغنم)، وبعد غليهما يتناوله مريض الكلى بدون تحلية على الريق وفى المساء لمدة ثلاثة أيام.

ولعلاج الربو: يغلى كل من حبة البركة وأوراق شجر الغزال والمر، ويحلي بالسكر، ويتم تناوله لمدة أربعين يوما متتالية.

وفي حالة الإصابة بالدوخة المستمرة، فقد درجت أسر البشاريه على إعداد وصفه علاجية مكونة من مجموعة من النباتات هي: حبوب الكسبرة الجافة يضاف إليها حبة البركة والكمون، وتحمص هذه الحبوب وتوضع في قطعة قماش ثم تعلق في رقبة المريض بالدوخة لكي تكون قريبة من أنفه، ويداوم على شم رائحتها. حيث يفسر المعتقد الشعبي البدوي جدوى هذه الممارسة كعلاج لأعراض الدوخة، نظرا لما تتمتع به هذه النباتات من زيوت طيارة ذات رائحة نفاذة تنشط المراكز الحسية بالمخ.

أما لعلاج الأرق: يقدم شراب الحنظل الجاف سواء بالغلي أو بالنقع، ثم يحلى بالسكر، كما يقدم مشروب الحلبة بعد تجفيفها وغليها وتحليتها بالعسل كنوع من المقويات للسيدات حديثي الولادة بغية تقويتها وتعويضها ما فقدته من دم أثناء الولادة، وفي نفس الوقت يعتبر شراب الحلبة من المدرات للبن. ومن الوصفات العلاجية الشائعة استخدام الحلبة الجافة بعد طحنها وعمل عجينة بالماء وهى تستخدم لعلاج لأمراض العيون: الالتهابات، كثرة الافرازات بسبب الإصابة بالرمد. توضع عجينة الحلبة حول العين المصابة، وتكرر مرة أو مرتين حسب الحالة حتى تخرج الخيوط البيضاء من العين فهذا علامة على كمال شفائها، بالإضافة إلى استخدام لبن الأم كقطرة تعمل على تلطيف التهاب العين.

٤- وصفات علاجية تعتمد في تجهيزها على الدهون والزيوت الحيوانية والنباتية

في ضوء الظروف البيئية الطبيعية التي فرضت على بدو البشارية الإقامة أو السكني بالصحراء الشرقية، جاءت محاولة بدو البشارية للتكيف مع خصائص البيئة الطبيعية الصحراوية من جهة، وإشباع احتياجاتهم الأساسية لمواجهة المرض والألم الذي يتعرضون إليه، ومحاولة العلاج من جهة أخرى. فتمكنوا عن طريق المحاولة والخطأ ومبدأ الحاجة أم الاختراع من الاستفادة من دهون وأصواف الحيوانات التي يربونها لإعداد الوصفات العلاجية.

لقد كشفت نتائج الدراسة الميدانية عن مدي أهمية الحيوانات التي تعيش في

البيئة الصحراوية، من إبل وأغنام وماشية، بوصفها مصدرا للحصول على الشحوم والدهون والأصواف التي استعانوا بها لإعداد وصفات وقائية وعلاجية، ولقد تأكد ذلك في أقوال المعالجين الشعبيين لبدو البشارية، بأنهم يقومون بتجميع الدهون والشحوم بعد ذبح الحيوانات مباشرة بعد تخليصها من الشوائب، ثم تجهيزها كمادة أو وصفة علاجية، وذلك برفع نصف كمية الشحوم على نار هادئة حتى تسيل الدهون دون أن يتغير لونها (أي لا تحترق). أما الجزء الثاني فيترك بصورته الأولية أو الخام حتى يمكن تشكيله كعجينة.

ومن الوصفات العلاجية المشهورة استخدام الدهون لتطهير وعلاج الجروح وذلك بأن يقوم المطبب الشعبي بغسل الجرح بالماء الدافئ والملح ومنقوع نبات القرض، لإزالة ما بالجرح من أوساخ، ولوقف نزيف الدم، ثم تحضر الدهون في صورتها الأولية، حيث يتم تدفئتها على نار هادئة حتى يتمكن من عجنها ثم تفرد حول الجرح ويقوم المطبب بإحضار جزء آخر من الدهن الذي سبق تسييحه، ويضعه على النار حتى يغلي. ثم يقوم بصب الدهن على الجوح، وتكرر هذه الممارسة حتى يدبل الجرح ويجف.

كذلك قادتهم التجربة إلى خلط الدهون الحيوانية مع غيرها من عناصر البيئة لعمل وصفات أخرى لعلاج أمراض مثل: الحميات وآلام الأذن. ففي علاج السخونة يقوم المعالج بتسخين الدهن (دهن الأغنام) حتى يسيل ويصبح قوامه كالزيت، يضاف إليه كمية من الملح، ويطلب من أهل المريض دهان جسمه حتى تنخفض درجة حرارته. أما في حالة ألم الأذن وهو من أكثر الأمراض شيوعا بين أطفال البدو اعتاد المطببون الشعبيون تجهيز وصفة العجينة وهي عبارة عن شحم الأغنام يضاف إليه زريعة البصل بعد هرسه، ثم يعجن في إناء، ويرفع المزيج على نار هادئة حتى يتصاعد منه البخار، ثم تقرب أذن المريض من هذا البخار المتصاعد من العجينة. وبعد ثلاث دقائق من دخول البخار أذن الطفل يقوم المعالج الشعبي باستقبال الدود النازل من الأذن الداخلية في إناء به ماء، وذلك لاعتقادهم بأن الدود هو السبب وراء هذا الألم، وبخروجه يتوقف الألم ويشفي.

أما عن الزيوت النباتية فيمثل كل من زيت الكمون وزيت جوزة الطيب بعض أشهر الزيوت استخداما كوصفات علاجية. وهذه الزيوت تشتري من

العطار ويشيع استخدامها كوصفة وقائية للطفل حديث الولادة، بأن يدهـن بـها جسمه بمجرد ولادته بزيت الكمون أو بزيت جوزة الطيب، كنوع من المقاومـة التى تحميه من برودة الجو في الشتاء وتلطف الجسم من حرارة فصل الصيـف، إلى جانب أن هذا الدهان يحافظ على جسم الطفل دائما في حالة لينة (طريـة). كما يستخدم زيت الطعام (زيت بذرة الكتان) في تدليك الجزء المرضوض مـن الجسم المجبر ثم يقوم المجبر بشد العضو المصاب (بعد تدليكـه) حتـى يتـم إرجاعه إلى وضعه الطبيعي.

٥- وصفات علاجية مستمدة من عناصر الحيوانات أو طيور البيئة

تشير المادة الإثنوجرافية إلى أن بيئة بدو البشارية مـازالت تعـد مكانـا طبيعيا بكرا، من حيث تنوع الكائنات الحية التي تعيش فيها، والتي اسـتخدموها كمصادر إعداد بعض الممارسات الوقائية والعلاجية. ومن هـذه الحيوانـات: الأرانب الجبلية، النعام، الحمير، طائر البلسان، والإبل، والأغنـام، والماشـية، كذلك القنفد، وقرن الخرتيت.

ولقد أشارت نتائج الدراسة الميدانية، إلى أن هناك علاقـة ارتبـاط بيـن استخدام بعض عناصر أجسام الحيوانات وطيور البيئة، وبين انتشار العديد مـن الممارسات والوصفات الوقائية والعلاجية التي ترجع إلى ما لدى بدو البشـارية من معلومات، واتساقهم المعرفي حول الخصائص العلاجيـة والوقائيـة لـهذه العناصر الحية، التي قادتهم إليها الحاجة إلى التداوي لمواجهة الأمراض والآلام وإلى استغلال ما هو متاح تحت أيديهم:

زيت طائر البلسان: يجمع إخباريو بدو البشارية على أن طائر البلسان من الطيور المهاجرة التي تأتي إلى بيئتهم في فصل الشتاء. وهم يحرصـون علـى اصطياده، خاصة المعالجون الشعبيون منهم، حيث يقومون بذبحـه والحصـول على دهنه الذى يتم تسييحه وتعبئته في أوان. ويفضل استخدامه فى شكله الخـام بدون إضافة أي عناصر أخرى إليه. ويعرف عن هذا الزيت استخدامه لعلاج ألم الظهر والعظام والآلام الروماتيزمية.

قرن الخرتيـت: الخرتيت من الحيوانات الجبلية، له أهمية خاصة لـدي بدو البشارية من حيث كونه مصدرا أساسيا لعلاج المريض شـارب السـم، أو الذي تناول طعاما فاسدا. يأخذ شكل قرن الخرتيت اللون البني على شكل هلال

مجوف، وعادة ما يحتفظ به شيخ القبيلة، ويتم استعارته في حالات التسمم، ثم يرد إليه ثانية.

وتكون وصفة علاج التسمم، بنقع اللبن لفترة من ٣: ٤ ساعات داخل القرن، أو غلي اللبن ثم صبه داخل القرن، بعدها يشرب منه المسموم. وبعد ١٠ دقائق يبدأ المريض في التقيؤ لكي يخرج السم، أو يحدث له إسهال لتفريغ البطن مما بها من سموم. وتتكرر هذه العملية حتى تتطهر البطن ويتماثل المريض للشفاء.

كما تحرص نساء البشارية على أن يتناول الأطفال اللبن المنقوع في قرون الخرتيت للوقاية أو التطعيم ضد أي سموم قد يتعرض لها الطفل بسبب أكل أي طعام غير صحي أو تناول شراب غير سليم.

بيض النعام: يحرص المعالجون الشعبيون في مجتمع بدو البشارية على الخروج إلى الخلاء لجمع بيض النعام ثم تركه ليجف ويطحن ويغربل ثم يعبأ (بودرة) في أوان ليكون جاهزا للاستخدام في الوصفات العلاجية. ومن الأمراض التي اشتهر بيض النعام بعلاجها أمراض العيون، سواء كانت احمرار العين، أو الرمد، أو علاج الغشاوة، ولتقوية البصر وجلاءه. يقوم المعالجون الشعبيون بتجهيزه في صورة بودرة أو قطرة بنقع بودرة بيض النعام في ماء العطرون (وهو حجر جبلي يجمع من فوق سفوح الجبال) حتى يصبح السائل منسجم القوام. وتكحل العين المصابة من هذا المحلول بواسطة ريشة دجاجة. وتكرر هذه الممارسة حتى تشفي العين المصابة، أو تستخدم كبودرة ترش حول العين وداخلها (مثل بودرة السلفا).

دم الحمار والأرنب: كشفت الدراسة الميدانية عن استخدام بدو البشارية لدم الحمار أو دم الأرنب للأغراض العلاجية، مثل علاج الأمراض الجلدية، وبالتحديد ما يعرف بمرض البهاق، وذلك بتجميع الدم بعد الذبح مباشرة بأن يكون الدم ساخنا (طازجا) ثم يدهن به الجسم أو الجزء المصاب من جسم المريض. وتكرر هذه العملية حتى تزول آثار البهاق من على الجلد.

دم الأضحية: اعتاد البدو الاحتفاظ بدم الأضاحي لمدة عام، لاعتقادهم في جدوى الدم لعلاج حالات العقم. ولذلك يحرص المعالج الشعبي بأن تخطو المرأة العاقر فوق دم الأضحية سبع مرات، ليحدث الحمل، وهناك حالات عديدة – على

حد قول بعض الإخباريين - تم علاجها بهده الصورة وتحقق المراد.

دم القنفد: حيوان جبلي يشبه الفأر، لونه رمادي غامق، جسمه مملوء بشعر يشبه الشوك، يأكل النمل. تستخدم عناصر جسمه (الشعر والدم) لعمل وصفات علاجية لعلاج الطرش، فيؤخذ دم القنفد بعد ذبحه ويقطر به في أذن المريض، يكرر ذلك من ٣-٤ مرات، أو أن تعرض أذن المريض إلى الدخان المتصاعد من حرق شعر القنفد، وتكرر هذه الممارسة مرة أو مرتين، بعدها يشفي المريض وتعود له القدرة على السمع.

روث ولبن الإبل: تؤكد أقوال الإخباريين على أهمية الجمل في حياتهم، أولا كوسيلة للنقل والانتقال، إلى جانب أن بعض عناصره مثل اللبن والروث يمثلان مصدرا من مصادر تجهيز وصفات علاجية.

روث الجمال: يضاف إليه تراب الجبل وينقعا معا في ماء وملح حتى تصير عجينه لينة لعلاج مرض القراع. يقوم المطبب الشعبي بفرد هذه العجينة الرأس المصابة لمدة سبعة أيام حتى يتم الشفاء.

أما عن لبن الجمال (النوق): فيستخدم لعلاج لأمراض الكلي وعلى وجهه التحديد لإنزال الحصوة من المثانة، بعد إضافة منقوع العقول إليه. أما لعلاج الأنيميا فيضاف إلى اللبن العسل الأسود يتناوله المريض لمدة أربعين يوما متتالية حتى تزول أعراض الأنيميا واستعادة النشاط والقدرة على الحركة والعمل. ولعلاج النقل (التعنية) فيشرب المريض لبن الناقة حامضا أو مرا.

٦- عناصر علاجية مستمدة من البيئة الطبيعية

تشير الشواهد الميدانيه إلى تعدد عناصر البيئة الطبيعية المستمدة من البيئة الصحراوية عامة وبيئة بدو البشارية خاصة والتي استطاع البدو الاعتماد عليها ووظفوها بوصفها مصدرا من مصادر العلاج الشعبي. ونذكر منها على سبيل المثال: الرماد، ماء الندي، طمي المطر، تراب الجبل، الحجر الجبلي. وتؤكد المادة الإثنوجرافية على المكانة المتميزة التي تحتلها العناصر الطبيعية في كل من نسق الطب الشعبي ونسق المعتقدات الشعبية البدوية وهي كما يلي:

ماء المطر وتراب الجبل: (الطمي)

بالرغم من أن مجتمع الدراسة يدخل ضمن البيئـــة الصحراويـــة، إلا أنـــه يتعرض في فصل الشتاء لموجات ممطرة، مما يجعل هناك علاقة تلازمية بيـــن حلول فصل الشتاء وبين انتظار بدو البشارية للمطـــر، وبخاصـــة المعـــالجين الشعبيين، وذلك لتجميع مياه الأمطار لكي يستخدمها البشارية لإشباع حاجاتـــهم الأساسية، من طهي ونظافة وسقاية للحيوانـــات. بينمـــا تدخـــل الاســـتخدامات العلاجية لهذه المياه، اعتقادهم القوي في قدرة مياه الأمطار لشفاء كل الأمراض. ويؤكد ذلك أقوال المعالجين "مية المطرة فيها شفاء لكل الأمـــراض زي عســـل النحل". أما على المستوي الآخر حين يمتزج ماء المطر بالتراب مكونا طميـــا، تحرص معظم النساء البدويات - خصوصا في شهور حملها الأخيرة (الســـابع - الثامن - التاسع) - على تجميع الطمي ثم ابتلاعه لاعتقادهن بأنه يسهل عمليـــة الولادة. كذلك يستخدم كوصفة علاجية لعلاج لسعة النحل، بفرد الطمـــي علـــى مكان اللسع، وتكرار ذلك حتى يتم الشفاء. إلى جانب استخدام الطمي كوصفـــة لعلاج الجروح العميقة مثل التربنة، بعد أن يضاف إليه اللبن حتى يصبح عجينه لينة، تفرد هذه العجينة على الجرح عدة مرات حتى يلتئم.

ماء الندى

هي قطرات الماء التي تتكون على النباتات في الساعات الأولي من الصباح. وقد اعتاد بدو البشارية استخدامه كوصفه علاجية لعـــلاج الخضـــة (الخلعـــة) ولعلاج الطفل المحسود. وعادة ما يتم تجميع المياه بواسطة المعالج وذلك بوضع إناء في مكان مفتوح (تحت السماء) لتجميع مياه الندي على مدى عدة أيام بشرط أن يكون عدد الأيام فرديا، أي يوم أو ثلاثة أو خمسة أو سبعة أيـــام، إلـــى أن تتجمع كمية مناسبة في إناء. بعد ذلك يقوم المطبب الشعبي بسكب هـــذه الميـــاه على المحسود سواء كان طفلا أو شابا، أو بالغا، ويكرر ذلك حتى يتم الشفاء.

حمام الرمل

حمام الرمل مـــن أكـــثر العنـــاصر الطبيعيـــة الممـــيزة للبيئـــة البدويـــة الصحراويـــة، لذا نجد أن نظام السكنى الريفية عند بدو البشارية قد راعـــى أن يكون هناك مساحة لعمل حمامات الرمل للمصـــابين داخـــل المـــنزل الريفـــي. ويستخدم الرمل كحمام لعلاج الآلام الروماتيزمية وآلام المفاصل والظهر، وذلك

بعمل حفرة في وسط الدار بعمق ٧سم يوضع بـــها المريــض(*) ويراعــي أن يكــون ذلك في وقت الظهيرة (فصل الشتاء) حيث تكون الرمال دافئة ويســتمر الدفء من ١ - ٢ ساعة. بعدها يخرج المريض من الحفرة ويلف جسمه بلحـــاف ويقدم له سوائل ساخنة، ويكرر هذا الحمام مرة أو مرتين في الأســبوع حتــى يزول الألم ويشفي المريض.

الحجر الجبلي: متوفر في جبال الصحراء الشرقية، يستخدمه المطببون الشعبيون لعلاج العقم عند النساء، وذلك بضحن الحجر، ثم يوضع في قطعة قماش وتقــوم المرأة بلبسه بغية امتصاص الرطوبة من الرحم، وهي في اعتقادهم السبب فـــي حدوث العقم.

٧- الوصفات العلاجية القائمة على استخدام العناصر الغذائية بالمنزل

تكشف الدراسة الميدانية عن استخدام العديد من العناصر المنزلية كوصفات علاجية ووقائية. ومن هذه العناصر: السكر والملح، ماء البصل، اللبن، البيض.

السكر: يعدون عنصر السكر من العناصر الأساسية لعلاج الزكام، ذلـــك بـــأن تحرق كمية من السكر على النار، ويجبر المريض علـــى استنشـــاق الدخـــان المتصاعد منه. يكرر ذلك عدة مرات حتى يتوقف الرشح ويســـتطيع المريـــض معاودة استنشاق الهواء الطبيعي مرة ثانية، ويستطيع بذلك أن يمـــيز الروائـــح الأخرى. وفي حالة عدم توفر السكر، يستعاض عنه بحرق قطعة من القمـــاش، ويطلب من المريض شم رائحتها وتعرف (بالشياط). ويؤكد المعتقد الشعبي وراء هذه الممارسة على قوة الدخان المتصاعد من المادة المحروقة (سكر أو قماش)، في تخفيف الرشح إلى جانب إزالة أي عوائق أخرى تحول دون دخول الـــهواء الطبيعي إلى داخل أنف المريض، فيشعر بضيق في التنفـــس، فيضطـــر إلـــى التنفـــس من الفم بدلا من الأنف.

ب- الملح: تتعدد صور استخدامات الملح كوصفة وقائية وعلاجيـــة. فـــالجميع يستخدمونه كمادة مطهرة للجروح، بغسل الجرح بمـــاء وملـــح، أو اســـتخدامه

(*) هناك نوعان من حمام الرمل: الأول: حمام الرمل الراسي، وهو عبارة عن حفرة عمقــها حوالي ١.٥ متر لدفن جسم المريض واقفا عدا الرأس التي يغطيها بشال من القماش أو عمامة لتخفيف ضربة الشمس. والثاني: حمام الرمل الأفقي وهو عبارة عن حفرة أفقية عمقـــها ٠.٥ متر يدفن المريض جسمه بها مستلقيا على ظهره عدا الرأس، ويظل المريض ساعة ونصـــف مدفونا في الرمل حتى يتصبب عرقا ويتخلص من الرطوبة.

كوصفة علاجية لعلاج الحروق، ذلك بأن يدلك الجزء المحروق بالملح لإخراج الماء منه حتى يسرع من تجفيف الجرح والتئامه. بالإضافة إلى استخدامه كمادة مطهرة للبطن، بأن يشرب المريض الماء المذاب فيه الملح، حتى يتقيأ المريض ويخرج ما فى بطنه من أطعمة أو سموم. هذا بالإضافة إلى استخدامه كغرغرة لعلاج التهاب الحلق والزور.

ج-الكيروسين (الجاز): لا يعرف مجتمع بدو البشارية المواد المطهرة مثل الميكروكروم وصبغة اليود، لكن الكيروسين يمثل مادة إذ بديلة يستخدم كمطهر خارجى فى حالة الجروح البسيطة والمتقيحة.

د-البيض: من العناصر الغذائية المنزلية، إلا أن الدراسة الميدانية كشفت عن استخدامات أخرى للبيض. هذا فضلا عن أنه يمثل وجبة غذائية (مسلوقا أو مطهيا) للبالغين والأطفال. وهو يمثل عنصرا من عناصر العلاج الشعبى، فقد اعتاد بدو البشارية استخدام البيض لعلاج العديد من الإصابات، كالحروق مثلا. ويكون ذلك بإضافة زيت بذرة الكتان إلى البيض ومزجه جيدا حتى يصير كالمرهم، ثم تدهن به المنطقة المحروقة لكى يهدأ الالتهاب، ويمنع تكوين الماء تحت الجلد. كما يستخدم من جهة أخرى كمقو عام لعلاج الضعف العام وهزال الجسم الذى قد يصيب البالغين والأطفال بعد فترة مرض طويلة، عندئذ يضاف البيض إلى اللبن ثم يحلى بالسكر ويضرب جيدا حتى يصير مزيجا متوسط القوام، يقدم للمريض صباحا ومساء لمدة ثلاثة أيام.

أما فى حالة إصابات الكسور أو الرضوض أو المزق، فى عادة ما يستخدم البيض لعمل اللبخة، التى تتكون من البامية الجافة بعد طحنها وعجنها ببياض البيض، ثم تفرد على العضو المصاب حتى تمتص الورم والألم وتساعد على التئام الكسر.

هـ- اللبن: من العناصر الغذائية المتوفرة لدى بدو البشارية، وهو متعدد المصادر، فهناك لبن النوق (الجمال) ولبن الماشية والماعز. ويمثل اللبن وجبة غذائية رئيسية(*) تتواجد مع جميع الوجبات الثلاث، إلى جانب أنه يمثل واحدا من المشروبات الهامة لدى البدو، وهو: الحامض أو المر، والرايب (مثل الزبادى)، وذلك لخاصيته المتميزة التى تسهم فى تخفيض حرارة الجسم فى أيام

(*) هناك الفطير باللبن، والخبز باللبن، والتمر باللبن.

الصيف. والجدير بالذكر أن الدراسة الميدانية كشفت عن خاصية أخرى للبن باعتباره مكونا أو عنصرا مهما يدخل فى معظم الممارسات العلاجية. فجميع أقوال الإخباريين والمطببين الشعبيين لبدو البشارية أجمعت على أنه يستخدم لعلاج المغص بعد أن يضاف إليه منقوع القرض، وكفاتح للشهية للمرضى البالغين والأطفال. أما لبن النوق (أنثى الجمل) فيستخدمه المطببون الشعبيون لإنزال ديدان البطن. يستمر تقديمه للمريض لمدة ١٤ يوما على التوالى بعد أن يضاف إليه الحنظل، ويستخدم أحيانا أخرى كمادة مطهرة للجروح البسيطة والمتقيحة.

كما كشفت الدراسة الميدانية أن هناك علاقة بين اللبن وبين مرحلة الطفولة، ليس فقط لكونه وجبة غذائية أساسية فى هذه المرحلة العمرية، بل لأنه يمثل كذلك عنصرا علاجيا، أو يدخل فى تجهيز العديد من الممارسات العلاجية والوقائية. فيستخدم اللبن كقطرة للعين عندما تلتهب. أو يحمر لونها، حيث تقوم السيدة المرضعة بتقطير لبن الثدى فى عين الطفل مباشرة كغسيل للعين من الأوساخ، وكملطف للالتهاب. وتستمر هذه الممارسة صباحا ومساء من ٣-٦ أيام، حتى تتفتح العين وتشفى من الالتهاب.

أما عن الممارسات العلاجية التى تساعد أو تعجل بعملية تسنين الطفل بدون ألم، فتذكر إحدى الإخباريات: "تقشر فصوص الثوم ويغلى فى اللبن ويقدم للطفل ليشربه، ثم تقوم الأم بتدليك اللثة الملتهبة والمتقيحة باللبن يوميا، حتى تظهر الأسنان". أما فى حالة تأخر الطفل عن الكلام، يشيع تدليك منطقة الفك واللسان حتى الحلق بلبن الناقة يوميا لمدة أسبوع. ويؤكد ذلك قول الإخبارية: "وبعدها يبدأ لسان العيل ينطق ويقول بابا وبعدها يصبح الكلام سهل". ويفسر المعتقد الشعبى الخاصية العلاجية للبن، كما أكدته أقوال الإخباريين: "اللبن ده سره ربانى"، "هو علاج كل شئ عاصى". ويفسر أحد المطببين قائلا: "تدليك الفك واللسان باللبن ده يساعد على تقوية عروق الحلق والزور واللسان فيجعل الطفل يتكلم".

النار: تمثل النار واحدة من المقومات الأساسية للحياة فى البيئة البدوية الصحراوية، حيث تستخدم لإرشاد القوافل التجارية أثناء السير ليلا فى الصحراء. إلى جانب أنها وسيلة من وسائل التدفئة والطهى، بالإضافة إلى أنها

وسيلة من وسائل العلاج البدوى. وقد كشفت الدراسة الميدانية عن تعدد الاستخدامات العلاجية للنار فى مجتمع بدو البشارية، وذلك من خلال ما يعرف بالكى بالنار، الذى يستخدم لعلاج ألم الأسنان والصداع، حيث يقوم المطبب الشعبى بتسخين "المرود" أو الماسك على الفحم حتى يحمر لونه، ويقوم بوضعه على منطقة فى العنق. أما فى حالة علاج الأسنان فيكوى خلف الفكين الأيمن والأيسر.

أما فى حالة لدغ الثعبان والعقرب، يقوم المطبب بعملية الفصد، حيث يربط قبل مكان اللدغ وبعده بحبل من الليف حتى يتجمع السم أو الدم الفاسد، ثم يقوم بعمل فصد "فتحة" بالموس ويسحب السم بالفم "بالمص"، ثم بعد ذلك يكوى الجرح بالنار لكى يبطل آثار السم ولتعقيم الجرح حتى يلتئم.

وبالنسبة لأمراض الطفولة فيشيع استخدام الكى بالنار عند علاج القئ المستمر للطفل، وكذلك فى حالة تأخر ظهور الأسنان، إذ يقوم المطبب بالكى فى منطقة صدر الطفل المريض، وبعدها يشفى. كذلك يستخدم الكى بعد خروج الرصاصة من جسم المصاب، ولعلاج عرق النسا، بأن يقوم المطبب بفتح فتحة فى كعب القدم لإخراج العرق، ثم يقوم بكيه حتى يموت هذا العصب فتتوقف الآلام ويشفى المريض.

رابعا: أنماط المعالجين تبعا للمرض

كشفت المادة الإثنوجرافية لبدو البشارية عن العلاقة التكاملية بين كل من النسق الطبى الشعبى والنسق الاعتقادى البدوى، الذى سخر مقومات البيئة الطبيعية البدوية الصحراوية - بجميع عناصرها النباتية والحيوانية والطبيعية - لاستنباط العديد من الوصفات العلاجية والوقائية. منها ما يقوم أعضاء الأسرة البدوية البشارية بإعداده وتجهيزه بأنفسهم، يتزودون فى ذلك بالتراث المعرفى وخبرات كبار السن فى الإعداد والتجهيز والاستخدام. وقد تدعم هذه المعرفة من خلال أساليب التنشئة الاجتماعية، التى سمحت للأجيال الصغيرة (الأبناء) بتقليد ومزاملة الأجيال الكبيرة أثناء إعداد هذه الوصفات، وكيفية استخداماتها العلاجية والوقائية. وعرف هذا النمط من العلاج بالعلاج المنزلى، نظرا لأن القائمين بالعلاج هم أعضاء الأسرة.

ولكن الدراسة الميدانية كشفت عن وجود أمراض أخرى وأعراض نفسية

وعصبية، وأمراض خاصة بالنساء والأطفال، لا تستطيع خبرات أعضاء الأسرة العلاجية أن تتصدى لها، (مثل المس، الجنون، المقرون، اللبسة، المشاهرة، الربط، تأخر المشى والكلام عند الأطفال، ديدان البطن والأذن، كسور العظام) فظهر لنا مجموعة من المعالجين المتخصصين الذين يعتمدون فى ممارستهم على استخدام القرآن، أو الممارسات السحرية، أو القيام بعمليات علاجية، مستعينين فى ذلك ببعض الأدوات الطبية، كما يلى:

النوع الأول: شيخ القبيلة وكبار السن

هم الذين يقومون بقراءة القرآن والآيات القرآنية العلاجية، اقتداء برسول الله صلى الله عليه سلم، سواء كان القراءة على الماء ثم يطلب من المريض شربه أمامه، أو عمل رقية وتحويطة، أو عمل الأحجبة(*) لكى يلبسها لتحميه وتحفظه من الأضرار. أو يوجه المريض وأهله لزيارة الأولياء الصالحين وينذر لهم نذرا، والتبرك بمتعلقاتهم الشخصية كنوع من العلاج. وعموما فإن هذا النوع من العلاج ما زال شائعا بين بدو البشارية، ويعرف (بعلاج المشايخ)، وعادة ما يأخذ صورا متعددة طبقا للأعراض وطبيعة المرض على النحو التالى:

(أ) العلاج بالمسبحة اليسر: هى عبارة عن مسبحة كبيرة تتكون من ١٠٥ حبة أو خرزة، يقوم شيخ القبيلة أو أحد كبار السن المعروف عنهم خبراتهم العلاجية، بتلاوة بعض الآيات القرآنية (آية الكرسى، الصمدية، الفلق، الناس)، ثم يقوم بالتسبيح على المسبحة (١٠٠٠ لا إله إلا الله، ١٠٠٠ سبحان الله، ١٠٠٠ الحمد لله، ١٠٠٠ الله أكبر، ١٠٠٠ لا حول ولا قوة إلا بالله)، ثم يعطى حبة من هذه المسبحة كعلاج. لعلاج حالات حصر البول يقوم الشيخ بربطها فى خيط، ثم يطلب من المريض ربطها حول وسطه لمدة يوم، بعدها يتم الشفاء بفك الحصر ونزول البول.

كذلك تستخدم المسبحة لعلاج عسر الولادة، بان تعلق إحدى خرزات المسبحة حول رقبة السيدة أثناء الولادة. ولا تقتصر وظيفة المسبحة على العلاج

(*) الحجاب: تكتب بعض الآيات القرآنية فى ورقة بالحبر الأحمر أو الأخضر، وتوضع فى كيس من الجلد حتى لا تتلف، وتوضع فى مكان بعيد عن الأعين تحت الملابس أو بالجيب، أو بالمحفظة بالنسبة للبالغين.

فقط، بل يستخدم في كثير من الأحيان للوقاية من الحسد والعين الشريرة. وعادة ما يلبس الأطفال "المقيرنة" حبة من هذا الخرز طوال السنة الأولى بعد ولادته كنوع من الحماية من القرين الذي يتسبب في موته.

(ب) **طاسة الخضة**: هي عبارة عن إناء من المعدن (نحاس أو فضة أو حديد) يأخذ الشكل الدائري (مثل الطبق أو الصحن)، منقوش جداره ببعض الآيات القرآنية (آية الكرسي، سورة الفلق، سورة الناس). ولقد اشتهر استخدام هذه الطاسة بواسطة المشايخ وكبار السن لدى بدو البشارية لعلاج الخضة (الخلعة)، التي تحدث للبالغين والأطفال، إذ يقوم الشيخ بجمع سبعة أنواع من الحبوب (عدس، فول، ترمس، أرز، حلبة، ذرة، شعير)، ثم يقدم للمريض منقوع السبع حبوب ليشربه، بعدها يتم الشفاء من الخضة.

أما بالنسبة لعلاج حالة الفزع من النوم عند الأطفال، فتتكرر نفس الممارسة السابقة، ثم يعمل حجاب تكتب فيه بعض الآيات والسور القرآنية (آية الكرسي، الإخلاص، الفلق، الناس) يلبسه الطفل تحت ملابسه الخارجية. أما بالنسبة للبالغين، فبعد أن يشرب منقوع السبع حبوب يطلب منه الشيخ لبس خاتم مصنوع من النحاس أو الفضة أو الحديد، وزنه ثلاث جرامات بغية العلاج والوقاية، ذلك لاعتقادهم الشديد بقدرة المعدن على حماية وحراسة الإنسان من ضرر أعمال السحر والشيطان. ويؤكد ذلك قول أحد الإخباريين: (المعدن ده هو اللي بنعمل منه سلاحنا السكين، والخنجر والسيف، يعني هو اللي يحمي الزول منا، عشان كده احنا بنحب نلبسه ونعتقد فيه أنه يحرسنا ويحمينا من الشيطان اللي هو السبب في الفزع "كابوس النوم").

(ج) **التبرك بزيارة الأولياء ومتعلقاتهم الشخصية**: كشفت الدراسة الميدانية عن قوة الاعتقاد بالأولياء وكراماتهم العلاجية، ولقد أكدت ذلك أقوال غالبية الإخباريين من بدو البشارية، بأن زيارة أولياء الله والتبرك بمتعلقاتهم الشخصية كالعمامة أو المسبحة أو جزء من قماش كسوة الضريح، يكون سببا لشفاء كثير من الأمراض. ومن الأولياء الذين يعتقد بكراماتهم العلاجية: الشيخ أبو الحسن الشاذلي بصحراء عيذاب، والحاج حسن الأسواني بمدينة أسوان، والشيخ أبو اليزيد البسطامي بقرية الكوبانية.

ومن أقوال الإخباريين حول التبرك: "ده احنا بنعتقد أنه لو المريض زار

مشايخنا، ولبس عمامته أو مسك مسبحته وتبرك بها ده وحده يشفيه. ولو زاره وندر عند زيارته ندر ده وحده يشفيه. عشان كده إحنا دايما نحرص لما نزور أبو الحسن الشاذلى فى مولده أو الحاج حسن الأسوانى أن نأخذ حتة من كسوته ونربطها فى هدومنا التحتانية أو نحطها فى الحفظة حتى لا يراها أحد، وده يحمى ويحفظ من العين، ويبطل أى عمل معمول للواحد".

ولقد كشفت الدراسة الميدانية أن الاعتقاد فى الكرامات العلاجية لا يقتصر على الأولياء، بل امتدت قوة الاعتقاد لتشمل أماكن معينة، يعتقدون أن زيارتها تقوم بنفس وظيفة زيارة الأولياء فى شفاء مرضاهم، وتحقيق أمانيهم فى الحياة وحل مشاكلهم. ومن هذه الأماكن جبانة أسوان، وقاضى الشريعة، والسبعة وسبعين ولى بمدينة أسوان.

(د) جبانة أسوان ومقام السبعة وسبعين ولى: تقع جبانة أسوان فى مدينة أسوان فى الجزء الجنوبى الشرقى من كردون المدينة. وبعد الزحف العمرانى والزيادة السكانية لهذا المجتمع، أصبح موقع جبانة أسوان[٢٢](*) وسط المدينة. وترجع شهرة هذه الجبانة دون غيرها من الجبانات، ما ورد عنها فى بعض الكتب التاريخية، أنها كانت ساحة للقتال والاستشهاد أيام الفتح الإسلامى، وبالتحديد فى عهد عمرو بن العاص. وتحكى كتب التاريخ أنه حدثت واقعة حربية استشهد فيها من أولياء الله الصالحين ومن الصحابة القادمين مع عمرو بن العاص ما يزيد عن ثلاثمائة شهيد، ومن هنا جاءت شهرة هذا المكان. كما يوجد داخل الجبانة مقام يعرف بـ السبعة وسبعين ولى، وهو عبارة عن مقام مدفون به مجموعة من أولياء الله الصالحين الذين استشهدوا، ويقدر عددهم حسب رواية الإخباريين سبعة وسبعون، ممن شاركوا فى فتح البوابة الجنوبية لمصر فى عهد عمرو بن العاص، ومن هذه الواقعة أطلق على هذا المقام اسم السبعة وسبعين ولى.

ويصور المعتقد الشعبى بأن الزيارة والدعاء فى جبانة أسوان بنية الشفاء أو قضاء الحاجة مجاب. وعادة ما تتم زيارة هذا المكان يوم الجمعة من الساعة السابعة صباحا وحتى موعد آذان العصر. ويراعى لقضاء الحاجة أن تكون

(*) جبانة أسوان وما بها من أولياء من الأماكن التى تحتاج إلى دراسة متعمقة، وهى ضمن المنظومة التى عدتها وتعهدت بدراستها كاتبة هذه السطور لدراسة التراث الشعبى لمنطقة جنوب الوادى.

الزيارة ثلاث مرات متتالية، وعادة ما تأخذ النذور لهذا المكان أشكالا متباينـــة، مثل: الحيوانات الماعز، الأغنام، الطيور، حيث تذبح فى مقام السبعة وســـبعين ولى وتوزع على المحيطين من الفقراء. كما قد تأخذ النذور شكل النقود توضــع فى صندوق النذور فى المقام أو تعطى للنقيب القائم على خدمة المقـــام. ولقــد اعتاد بدو البشارية الذهاب إلى هذه الأماكن لاعتقادهم أنها تشفى أمراض العقـم، المسة، المعتوه، تأخر زواج الإناث بسبب العمـــولات (أى الأعمـــال الســحرية الضارة).

وحول جبانة أسوان ومقام السبعة وسبعين ولى يتردد العديد من الحكايـــات وخاصة عن الكرامات العلاجية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: يروى أحد الإخباريين من بدو البشارية: "أن امرأة بشارية لم تنجب بعد زواجها لمــدة خمس سنوات، نصحها شيخ القبيلة بزيارة جبانة أسوان ومقام السبعة وســـبعين ولى، وبعدها حملت وأنجبت أكثر من عيل ببركة أوليـــاء الله الصـــالحين فـــى الجبانة والسبعة وسبعين ولى. وفى أول زيارة ندرت دبيحة لو تحقق المطلـــوب وفعلا كل سنة تروح تزور هى والعيال وتدبح دبيحة".

النوع الثانى: المطببون الشعبيون والسحرة المطببين

المطببون: هم الذين يقومون بإعداد وتجهيز الوصفات العلاجيـــة، مســـتخدمين عناصر البيئة، من نباتات وأعشاب ودهون حيوانية وزيوت الطيور، والعنـــاصر البيئة المنزلية، بغية العلاج والوقاية.

أما السحرة: هم الذين يقومون باستخدام السحر مثل: فتح الكتاب – كشف الأثر، ضرب الرمل، أو عمل الأعمال للأضرار بالآخرين مثل ربـــط العريـــس ليلـــة الدخلة، تسخير الجن لأذى الناس.. إلخ. ولقد كشـــفت الدراســـة اســـتمرار دور المطببين الشعبيين فى عمل وتجهيز الوصفات العلاجية أو العلاج بالفصد والكى بالنار، أما عن دور السحر فهو أقل انتشارا باستثناء بعـــض الأمـــراض مثـــل (المس، الجنون، الربط.. إلخ) وعموما سبق وأن أشرنا فى السطور السابقة إلـــى دور المطببين الشعبيين فى العلاج، وسوف نقصر حديثنا هنا عن العلاج بالسحر الذى أخذ صورا متعددة نذكر منها:

(أ) ضرب الرمل: من أساليب العلاج بالسحر الشـــائعة والمشـــهور بـــها بـــدو البشارية، وهى أن يقوم المريض بوضع كفى يديه على كوم من الرمل، وبمجرد

أن تطبع كف المريض على الرمل يقوم الساحر بوضع سبع زلطات فى كفه، ثم يغلق يداه عليها، بعدها يعلن الساحر عن المتسبب فى الحسد أو العين الشريرة، ثم يقوم بصنع عروسة من الورق يقوم بوخزها بإبرة مع ذكر أسماء الأشخاص المحتمل أن يكونوا قد تسببوا في الحسد (يقول: من عين فلان أو فلانة)، حتى يتم تخريم جسم العروسة كلها، ثم يشعل فيها النار حتى تحترق، ويأخذ الساحر بقايا الحريق (الرماد) ليرسم به صليبا على وجه المريض، وهم يعتقدون أن هذه الطقوس كفيلة بأن تزيل السبب ويتم الشفاء.

(ب) **فتح المندل:** يقصد به الكشف عن العمل (السحر) المعمول لجلب الأضرار للآخرين. من ذلك مثلا تأخير زواج بنت فلان، أو إلحاق الضرر بفلانة أو بأبنائها لأنها كثيرة إنجاب الذكور، أو ربط العريس ليلة الدخلة وإفشال زواجه، أو توقف الإنجاب، أو الإصابة بأمراض مستعصية على العلاج مثل موت الأطفال فى يوم ميلادهم، وعدم الإنجاب، والإصابة بأمراض يفقد بها كل أمواله حتى يفلس.

ولقد لاحظت الباحثة أن أهالى مدينة أسوان ومدينة دراو، أكثر المترددين على السحرة البشارية لإبطال الأعمال. ومن الممارسات السحرية الشائعة فيما بين بدو البشارية، لعلاج أمراض الطفولة مثل الحسد، النكد (كثرة البكاء)، عدم القدرة على المشى. يقول أحد إخباريى المجتمع: "نروح للساحر وهو يجيب صحن أو صينية نحاس، ويحط جواها شوية مية ويغطيها بصحن آخر، ثم يقرأ عليها بكلمات غير مفهومة، بعدها يشيل الصحن تلاقى العمل ظهر فى الصينية النحاس أو الصحن الآخر قطعة حجر أو قطعة قماش أو ورقة مكتوب عليها، يأخد الساحر العمل بعد ما يوريه لنا ويعمل على إبطاله بفكه ويرميه فى مية جارية".

ويؤكد معظم إخبارى المجتمع أن الأمراض مثل الجنون، والمسة، والمقيرنة، أمراض ترجع فى الأصل إلى أعمال سحرية بسبب العداوة والبغضاء بين الأهل والأقارب، ولا يمكن الشفاء منها إلا بالذهاب إلى الساحر لكى يفتح المندل ويعرف العمل ثم يقوم بإبطاله.

فمن الممارسات العلاجية الشائعة لعلاج الست المقيرنة، يلجأ المعتقد الشعبى البدوى إلى قتل الطيور أو الحيوانات كبديل عن موت الطفل فى الوقت كإرضاء

للقرينة.

ومن الشائع لدى بدو البشارية أن يطلب الساحر من الأم المقيرنة أن تلبس فردة حجل (خلخال)، يقوم الحداد بصنعه لها، ويلبس طفلها الفردة الثانية، أو يقوم الساحر بعمل حجاب مكتوب بدم الطير المذبوح ويضع به عود كبريت وقطعة من جلد الغزال وعقرب ميت، ويوضع الجميع بكيس من القماش يغلق بالخيط والإبرة، ثم يوضع في ملابس الطفل أو يوضع تحت رأس الطفل وهو نائم، أو قد يقوم الساحر بعمل عقاد(*).

أما أساليب العلاج الخاصة بصراخ الطفل المستمر، فعادة ما يفسرها المعتقد الشعبى البدوى، بأنه مس من الجن، أو بسبب الحسد، وعندما يذهب ذوو الطفل إلى الساحر يقوم بإجراء ممارسة خاصة بأن يحضر جرة (بلاص) ماء بارد، يحمل الطفل ويخطى به على الجرة سبع مرت، ثم يخرم أذنيه ويعلق به حلق (قرط) من ذهب.

أما فى حالة تأخر الطفل فى المشى، أو عدم قدرته على المشى، فيقوم الساحر بربط خوصة من جريد النخيل فى يديه ورجليه، ويقوم بتشريطها بالموس، ويطلب من الأم أن تحمل الطفل إلى الجامع، وتضع فى حجره بعض الحلوى ونقود معدنية، وتطلب من أول من يخرج من المصلين بحل يديه ورجليه، ويأخذ ما فى حجره، بعدها يشفى الطفل ويقدر على المشى. ويفسر المعتقد الشعبى البدوى هذه الممارسة العلاجية، بأن قرينه كان يقيده ويمنعه من الحركة والمشى، وأنه عندما تم تفصيد رجل الطفل (القدم) وخروج الدم، خاف القرين، ثم قدم له الحلوى والنقود لكى يلهو بها وينصرف عن الطفل.

أما عن الطقوس العلاجية لعقم السيدات، يذكر أحد الإخباريين: "يقوم الساحر بوخز رجل السيدة العاقر بإبرة سبع وخذات، ثم يطلب منها أن تسير وسط القبور في جبانة أسوان، وتكرر هذه العملية سبع مرات، ويطلب منها أن تذبح طيرا أو أرنبا وتتظفر (تستحم بدمه)، وتظل بهذا الطلاء لمدة يوم، ثم يطلب منها الدخول على ميت قبل غسله، ثم تستحم بماء غسل الميت. أو تخطى على دم الأضحية (ماعز أو شاه)، تذهب بعد ذلك إلى سيدة نفساء لتحلب على

(*) يحضر الساحر خيطاً على قدر طوله، ويقوم بعمل عقد صغيرة سبع مرات، ثم يعلقه فى رقبة الطفل أو حول معصمه.

رأسها من لبن ثديها. ويفسر المعتقد الشعبى البدوى هذه الممارسة العلاجية على أنها ممارسة تساعد على تليين ظهر وعروق المرأة العاقر، وهذا يؤدى إلى فك المشاهرة ويحدث الحمل.

كما يقوم الساحر بالاستعانة بالحجر الجبلى - بعد طحنه وغربلته وقراءة بعض التعاويذ السحرية عليه - بنقعه فى الماء البارد لمدة من ٣-٥ أيام، يقدم بعدها للسيدة العاقر لتستحم به. ويفسر المعتقد الشعبى البدوى هذه الممارسة أن الحجر الجبلى هو المكان الذى تعيش فيه الشياطين والأرواح الشريرة التى تسبب عادة العقم عند السيدات.

النوع الثالث: المتخصصون بإجراء العمليات الجراحية

لقد كشفت الدراسة الميدانية عن وجود بعض الأشخاص الذين تخصصوا فى علاج بعض الأمراض بمجتمع الدراسة، ومن اللافت للانتباه هو أنهم ينهجون نفس خطوات العلاج بالطب الرسمى، حيث يبدأون بتشخيص الأعراض المرضية، ثم تحديد المعالج المتخصص، بالإضافة إلى أن هناك بعض الممارسات التى تأخذ صورة عمليات علاجية يستعان فيها بأدوات شعبية ذات تصنيع محلى، لإتمام هذه العمليات، بغية تحقيق الشفاء لمرضاهم. وهؤلاء المتخصصون القائمون بالعلاج هم:

(أ) المتخصصون فى تشخيص المرض وتحديد المعالج: يعتمد مجتمع الدراسة على الدور الهام الذى يقوم به بعض كبار السن من ذوى الخبرة فى مجال التطبيب الشعبى فى تحديد نوع المرض، بمجرد النظر إلى الشخص المريض، ومعرفة الأعراض المرضية التى تبدو عليه، والتى يحس بها، ويعلن عنها بنفسه. ويعرف هؤلاء بـ (أهل الخبرة)، حيث أنهم يقومون بتحديد العلاج المناسب من خلال توجيه انتباه أهل المريض والمريض نفسه أن يذهب إلى المعالج المتخصص فى مرضه.

فعلى سبيل المثال، يروى أحد الإخباريين أن هناك شاباً أصيب بالهياج والصراخ، ثم أغمى عليه، ولما عرض على أهل الخبرة من كبار السن، أجمعوا فى ضوء الأعراض أن هذا الشخص مصاب بالصرع، وذلك بسبب دخول الأرواح الشريرة فى جسمه، لأنه سار على قبر ميت وهو نجس أو جلس فى أماكن نجسة (مثل محل الأدب أى دورة المياه). وبعد الاستشارة أجمع أهل

الخبرة ضرورة أن يذهب هذا الشاب إلى رجال الدين فى القبيلة الذين يتولون العلاج بالقرآن، لطرد هذه الأرواح من جسمه ونقلها إلى جسم آخر. ويؤكد الإخبارى أن عملية النقل لا تتم بسهولة إلا بعد موافقة الشخص الذى ستنتقل إليه، ومع ذلك لا تمثل هذه الممارسة علاجاً نهائياً، ولكنها علاج مؤقت، أى أن هذا الشخص معرض لعودة هذا المرض إليه مرة ثانية. وفى هذه الحالة يقوم رجل الدين بعمل حجاب لكى يحميه من دخول الأرواح إلى جسمه مرة ثانية.

(ب) المتخصصون فى إجراء العمليات العلاجية الجراحية: كشفت الدراسة عن أن المتخصصين بالعلاج بمجتمع الدراسة من أشهرهم المزين (الحلاق) والمجبراتى. ومن العمليات الشائعة فى العلاج الشعبى البدوى، ويقوم بها المزين، الكى بالنار والتفصيد والحجامة وخلع الأسنان، أما علاج الكسور فيقوم بها المجبراتى. وفيما يلى وصف لأشهر العمليات العلاجية فى نسق الطب الشعبى البدوى لبدو الشارية.

الكى بالنار: لقد سبق وأن أشرنا فى موضع سابق دور أهل الخبرة المتخصصين فى تشخيص المرض، وبالتالى هم الذين يحددون نمط العلاج. وعموماً هناك شبه إجماع بأن أعضاء مجتمع البدو لا يلجأون إلى عملية الكى بالنار إلا إذا أعيتهم الحيلة بالعلاج بالوصفات الشعبية، أو بالممارسات الدينية. وفى ضوء ذلك لا يكون هناك مفر من العلاج بإجراء عمليات علاجية. ومن أشهر العمليات العلاجية التى يعرفها نسق الطب الشعبى البدوى (الكى بالنار)، والتى يقوم بها المزين، وهذه العملية ليست قاصرة على علاج مرض بعينه، بل هى مشهورة لعلاج جميع الأمراض والأعراض المرضية، مثل وجع الأسنان، وهنا يكون الكى فى منطقة العنق عند البالغين. أما فى حالة أمراض الأطفال مثل تأخر ظهور الأسنان للأطفال المصابين بتقيئ لبن الرضاعة، فإن جميع هذه الحالات يتم علاجها بعملية كى عظمة الريشة التى تقع بين البطن والصدر. وأما فى حالة الصداع المستمر فيكون الكى فى الصدغين بجوار العين اليمنى أو اليسرى، بأن يقوم المطبب الشعبى بالتحسس بأصابع يده من الرأس هابطاً نحو الصدغين حتى يستطيع أن يحدد العرق المسبب لألم الصداع، وبعد تحديده يقوم بوضع الماسك المحمى عليه لكيه، وبذلك يتوقف الألم ويشفى المريض من ألم الصداع المستمر. ويروى لنا المطبب الشعبى الذى يقوم بعملية الكى بالنار لعلاج مرض عرق النسا، بأن يبدأ المزين بأن يمسك بالقدم

ويتحسس بأصابعه سير العصب من الركبة حتى يصل إلى أسفل الساق حتى منطقة الأصابع والقدم ثم الكعب، وعند منطقة الكعب يقوم المعالج بعمل فصد بجوار الكعب (بعمل فتحة صغيرة)، باستخدام موس الحلاقة بعد تطهيره بالنار، ثم يمسك بالعرق ويظل يسحبه للخارج حتى يكويه باستخدام المرود الساخن (قضيب من الحديد) حتى يميت العصب المتسبب فى الألم، ثم يكوى الجرح حتى يلتئم ويتم الشفاء.

التفصيد: من العمليات العلاجية التى تشيع فيما بين أعضاء المجتمع البدوى لعلاج عديد من الأعراض المرضية، نذكر منها: استخراج السموم عند لدغ الثعبان والعقرب، والصداع. والتفصيد يكون فى وسط الرأس أو بجانب العينين.

ويؤكد المعتقد الشعبى أن السبب وراء هذه الأعراض المرضية هو وجود دم فاسد بالجسم وهو الذى يسبب هذه الأعراض، وبخروج هذا الدم يتم الشفاء وإنقاذ حياة المريض من الموت. لذا يلجأ المزين عندما يعالج لدغ العقرب أو الثعبان أن يحدد مكان اللدغة ثم يربط أعلاها برباط قوى حتى يتحكم فى عدم سريان الدم إلى القلب، ثم يقوم بتطهير موس حلاقة بمادة مطهرة (كيروسين) أو بالنار، ويفتح به مكان اللدغ ويمتص الدم من هذه الفتحة بفمه ويبصقه على الأرض، وتستمر هذه العملية حتى يتأكد من سحب السم من الجسم. وذلك بتغيير لون الدم من اللون الغامق إلى اللون الأحمر الفاتح، ثم يقوم بكى الجرح حتى لا يتلوث ويسارع فى الالتئام، ويقدم للمريض سمن دافئ (أو زيت) ليشربه ويلف جسمه ويترك لينام.

الحجامة: تشتهر هذه العملية فى علاج نزلات البرد وضغط الدم المرتفع والنزيف. تبدأ هذه العملية بأن يقوم المطبب بإحضار كوب من الزجاج، ثم يشعل النار فى قطعة من قطن أو قماش يضعها فى الكوب ويقلبه على ظهر المريض فى مكان يحدده هو فى ضوء خبرته، فيحترق الهواء داخل الكوب فيلتصق الكوب بالجسم حيث يرتفع الجلد ويترك الكوب على الظهر حتى يتحرك وحده (يفك)، وتكرر هذه العملية من ٣-٤ مرات بأماكن متعددة من الظهر. بعد ذلك يحضر موس حلاقة ويقوم بتطهيره ويفصد الجلد فى مكان الكوب حتى يخرج الدم الذى يعتقد أنه دم فاسد، وبخروج الدم يزول الألم الذى يشكو منه المريض.

تجبير كسور العظام: يعرف مجتمع البحث معالجا متخصصا لعلاج الرضوض والكسور التى تحدث عادة بسبب السقوط من على ظهور الدواب (الجمال، الحمير)، أو حمل أشياء ثقيلة تتسبب فى تمزق أنسجة الظهر. وتعتمد عملية معالجة الرضوض والكسور والمزق على قيام المجبراتى بتدليك العضو المصاب بالماء الدافئ والملح، ثم شد العضو حتى يعود إلى وضعه الطبيعى، وفى حالة ما إذا كان هناك ورم أو جرح مع المزق أو الرضوض، فعادة ما يتم علاج الجرح بغسله بالماء والملح لتطهيره ولإيقاف النزيف، ثم يقوم بتدليك العضو بالزيت الدافئ حتى يعود إلى وضعه الطبيعي. كما يقوم بعمل وصفة علاجية لامتصاص الورم والألم من عجينة البامية الجافة وذلك بعجن البامية الجافة بالماء بعد طحنها وغربلتها، ويقوم بفردها على العضو المصاب، وبعد جفاف العجينة يقوم بربط العضو المصاب بشاش وقطن ويترك لمدة من ٣-٧ أيام حتى تفك لبخة البامية بمفردها، وذلك مؤشر بزوال الورم والألم.

أما فى حالة الكسور: فيتم العلاج عن طريق عملية التجبير بإحضار شرائح من جريد النخيل اللين، ثم يقوم المجبر بتدليك العضو المكسور بالماء الدافئ والملح، ثم شد العضو المكسور بقوة حتى يتم إرجاعه إلى مكانه الطبيعى، ثم يقوم بوضع الجبيرة وهى عبارة عن قطعتين من شرائح جريد النخيل إحداهما من أسفل الكسر والأخرى من فوقه، ويضع لبخة البيض النيئ والزيت التى تساعد الجبيرة على تثبيت العضو المكسور فى مكانه، ويربط فوق الجبيرة بالشاش، ويترك لمدة من ٣٠-٤٥ يوما. بعد ذلك يقوم المجبر بفك الرباط والجبيرة ويضغط ويتحسس العضو المكسور، فإذا تألم المريض فذلك يعنى أن الكسر لم يلتئم بعد، حيث يعاود تكرار الجبيرة مرة ثانية، أما إذا لم يتألم فيعنى ذلك التئام الكسر وتمام الشفاء.

خامسا: نسق الطب الشعبي البدوي بين الثبات والتغيير

في ضوء ما كشفت عنه الدراسة وتأسيسا على عرضنا السابق للمادة الإثنوجرافية للطب الشعبي البدوى لبدو البشارية، تشير النتائج إلى استمرارية غالبية الممارسات العلاجية الشعبية سواء منها ما يتم إعداده واستخدامه كوصفات علاجية أو وقائية داخل المنزل، أو ما يتم إعداده واستخدامه كوصفات علاجية خارج المنزل من خلال المطببين الشعبيين، أو السحرة، أو كبار

الســن، أو شيخ القبيلة.

وهناك عدد من الأسباب والعوامل وراء استمرار الممارســات العلاجيــة الشعبية لدى بدو البشارية وتمسكهم بنسقهم الطبي الشعبي وهي:

١- **الخبرات الشخصية:** تعتبر في مقدمة العوامل التي ساهمت في اســتمرارية تمسك بدو البشارية باستخدام الممارسات العلاجية الشعبية، وذلك للــدور الــذي تلعبه الخبرات الشخصية لجيل الأجداد في دعم هذه الممارسات على المســتويين كليهما، ما يتم إعداده وممارسته داخل المنزل، وما يتــم إعــداده واســتخدامه بواسطة المطببين الشعبيين والسحرة وكبار السن وشيخ القبيلة. وهذه الممارسات تؤكد فاعليتها وقدرتها على تحقيق الغرض الذي أعدت مــن أجلــه، ألا وهــو مقاومة الأعراض والألم وتحقيق الشفاء من المرض.

٢- **خصوبة البيئة البدوية الصحراوية بالمقومات البيئية الطبيعية:** تتمتع البيئة الصحراوية بخصوصية توفر العناصر الطبيعية التــي تــأخذ شــكل النباتــات والأعشاب تارة، أو عناصر بيئية طبيعية، (شمس، هواء، رمال) تارة أخرى، أو بيئة لكثير من الحيوانات والطيور (النعام، طائر البلسان، الجمــال، المواشــي، الأغنام) تارة ثالثة.

٣- **تأدية هذا النسق لوظيفة مادية اقتصادية:** لقد ساهم توفر عناصر ومقومات البيئة الطبيعية لبدو البشارية طوال العام، في ظهور فئــة المطببيــن الشــعبيين والسحرة المحترفين، الذين اتخذوا من تجميع هذه المقومات والعناصر الطبيعية، ثم تجهيزها في صورة وصفات وقائية وعلاجية، سواء بصورتــها الخــام، أو إضافة عناصر جديدة إليها أو بتغيير شكلها بالطحن أو الغلي أو النقع في المــاء أو في اللبن، اتخذوا من ذلك مهنة يعملون بها لتحقيق عائد مادي أو اقتصــادي. حيث كشفت الدراسة الميدانية أن فئة المطببين الشعبيين والســحرة المحــترفين ليست قاصرة على تقديمها للمرضى من بدو البشارية، بل يستعين بــها أيضــا أهالي مدن أسوان ودراو وكوم أمبو، نظرا لشهرة هؤلاء المطببين عبر حــدود محافظة أسوان.

٤- **العزلة الثقافية والمكانية لهذا المجتمع:** لقد أكدت الدراســة علــى عــامل العزلة المكانية، حيث يسكن غالبية بدو البشارية في الصحراء الشرقية المحازية لمحافظة أسوان، باستثناء بعض البيوت التي تقترب من حدود مدينــة أســوان

ومدينة دراو. وقد ساهم ذلك في استمرارية الثقافة البدوية بصورتها الخالصة، حتى مع البيوت التي تقترب من حدود مدينة أسوان ومدينة دراو (من حيث استمرارية النشاط الاقتصادى الرعوي وتجارة الأعشاب وسكني الخيام أو المنازل شبه الريفية وعادات الطعام). كما ساهم ذلك في عدم الاستفادة بخدمات النسق الطبي الرسمي بسبب صعوبة المواصلات وطول الوقت المستغرق للوصول للخدمة الرسمية، علاوة على قصور تلك الخدمة لتقديم العلاج لأمراض البيئة لبدو البشارية، كأمراض الروماتيزم، والمعدة، والكلى، ولدغات الزواحف (العقرب والثعابين)، والأمراض الوراثية الناتجة عن الزواج القرابي. ومن ثم يتزايد التمسك والاعتماد على - البدائل - العلاج الشعبي الميسور، سواء ما يمارس داخل المنزل، أو ما يمارسه المطببون الشعبيون والسحرة المحترفون والمشايخ.

كما كشفت الدراسة - وأكده أقوال الإخباريين - بأن هناك بعض الأمراض كالروماتيزم وآلام الظهر، وبعض الأعراض النفسية والعقلية (لممسة، المقيرنة)، والعقم، وعجز الطب الرسمي عن إحراز تقدم ملحوظ فيها خصوصا بالنسبة للحالات المرضية لبعض البيوت التي تسكن بالقرب من مدينة أسوان، ومدن دراو وكوم أمبو، مما دعم الوظائف السيكولوجية والثقافية بالتمسك بالطب الشعبي البدوي.

ونخلص مما سبق إلى تأكيد الاستمرارية والثبات النسبي لوظيفة النسق الطبي الشعبي البدوي لمواجهة أمراض البيئة وغيرها لبدو البشارية، إلا أن هناك بعض المؤشرات التى تشير إلى ظهور ميل نسبي للتغيير، بمعنى تفضيل الاستعانة بالطب الرسمي في بعض الحالات، وانحسار بعض الممارسات الشعبية العلاجية لدى بعض البيوت من بدو البشارية. ويرجع ذلك إلى توفر مجموعة من العوامل أدت إلى حدوث تغيير في النسق العام للمجتمع البدوي، ثم انسحب هذا التغيير على بعض الأنساق الفرعية مثل نسق الطب الشعبي البدوي، وهذه العوامل هى:

التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في منطقة أسوان

١- تأتي في مقدمة هذه العوامل التي تعرضت لها منطقة أسوان في فترة الستينيات من القرن الماضي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية نتيجة ظهور

عدد من المشاريع الصناعية مثل مشروع السد العالي ومشروع مصنع كيما للسماد ومناجم الحديد، والنشاط السياحي المتزايد .. كل ذلك زاد من فرصة تأثر جماعات بدو البشارية من حيث أثر الامتداد العمراني لمدينة أسوان بالتوسع شرقا على أماكن تجمع بدو البشارية، لاستيعاب الأعداد الوافدة من محافظات الجمهورية للعمل في هذه المشاريع، مما أدى إلى انتقال تلك القبائل إلى خارج حدود المدينة داخل الصحراء.

٢- كما لوحظ أن النشاط الرعوي والتجاري لم يعودا من الحرف الأساسية، بل ظهرت أنشطه أخرى مثل النشاط الزراعي، فأصبحت الزراعة تحتل مكانها فيما بين الأنشطة الاقتصادية الصحراوية نتيجة لاتجاه بعض بيوتات هذه القبائل إلى الخروج نحو وادي النيل، واستقرارهم بالقرب من القرى والاشتغال بالزراعة كما هو الحال في قريتي المحرقة والسيالة.

٣- **زيادة الاتجاه نحو تعليم الأبناء:** ولقد ترتب على تغير النشاط الاقتصادي، إقبال بعض من بيوت بدو البشارية للانتقال والإقامة بالقرب من حدود مدن كوم أمبو ودراو، وانعكس ذلك الاحتكاك على الاتجاه نحو تعليم الأبناء الذكور حتى مستوى التعليم الفني، بغية الحصول على شهادة تؤهل للعمل في وظيفة حكومية يغلب عليها طابع الاستقرار. ومع أواخر السبعينيات من القرن الماضي قوي الاتجاه بين بيوت البشارية نحو تعليم الإناث أيضا حتى مرحلة التعليم الإعدادي والثانوي الفني.

٤- **توفير خدمة الكهرباء بالريف وانتشار وسائل الإعلام:** لقد حظي الريف في منطقة أسوان في الفترة من أواخر الستينيات حتى السبعينيات بتوفير خدمة الكهرباء إلى معظم المنازل باختلاف مستوياتها وشرائحها الاجتماعية والاقتصادية، مما شجع الغالبية من بيوت البدو المقيمين على حدود القرى من الاستفادة من الكهرباء، والتي ترتب عليها انتشار وسائل الإعلام المختلفة (راديو - تليفزيون)، وقد مارست هذه الوسائل دورا هاما في الانتفاع بنسق الطب الرسمي، من خلال ما يبثه من برامج المرأة، الطفل، الصحة، الإعلانات، حملات التطعيم.

٥- **توفير خدمة المؤسسات العلاجية بالريف:** في السنوات الأخيرة من عقد التسعينيات وفرت الدولة العديد من المؤسسات العلاجية الحكومية كالمستشفيات

العامة، والمستوصفات العلاجية المتعددة، إلى جانب العيادات الخاصة، علاوة على افتتاح عدد ليس بالقليل من الصيدليات في القرى. كل ذلك ساهم في الاتجاه نحو إعادة النظر في الممارسات الشعبية العلاجية التي تؤدي بواسطة المطببين الشعبيين (القابلة)، والاستعاضة عنها بالطبيب والحكيمة، خصوصا في حالات الولادة، واستخدام الأمصال ضد لدغات الثعبان والعقرب بدلا من الفصد والكي خصوصا لفئة الأطفال.

نتائج الدراسة

تأسيسا على العرض السابق، فقد خلصنا إلى مجموعة من النتائج نعرض لها على النحو التالي:

١- هناك علاقة وثيقة بين نسق الطب الشعبي البدوي للبشاريين (قبيلة العلياب)، وبين سمات وخصائص البيئة الطبيعية البدوية من جهة، والنشاط الاقتصادي الصحراوي من جهة أخرى. وتتجسد هذه العلاقة في ثلاثة محاور هي:

أ- نوع المرض: حيث جاءت أغلب الممارسات العلاجية حول الأمراض والأعراض ذات صلة بخصائص البيئة الطبيعية البدوية الصحراوية، وطبيعة النشاط الاقتصادي الذي يمارسونه، فلا تزال أكثر أمراض البيئة شيوعا بين البدو هي الآلام الروماتيزمية (ألم المفاصل، الظهر)، عرق النسا، الأمراض الصدرية، أمراض الجهاز التنفسي كالحساسية والكحة، وأمراض وألم الكلي والمعدة، وحالات لدغ الحشرات الصحراوية السامة.

ب- نوعية العلاج: نعني العناصر التي تدخل في إعداد الوصفات العلاجية والوقائية، فقد كشفت المادة الإثنوجرافية التي جمعت من بدو البشارية عن أن غالبية الممارسات الوقائية والعلاجية للبدو تتعمد توظيف واستغلال ما هو متاح في البيئة البدوية الصحراوية، وما حباها الله به من مقومات وعناصر، مثل النباتات والأعشاب الطبية من جهة، ومقومات بيئية بعضها طبيعي والآخر حيواني وغذائي لمواجهة الألم والأعراض المرضية من جهة أخرى. وبناء على ذلك تعددت صور الوصفات العلاجية طبقا للعناصر الداخلة في إعدادها وتجهيزها. فهناك وصفات تعتمد فقط على الأعشاب البرية، وأخرى عناصر نباتية، أو الجمع بينهما، وثالثة تعتمد على عناصر حيوانية، ورابعة تعتمد على عناصر البيئة الطبيعية، وخامسة على العناصر الغذائية.

ج- التكامل بين أساليب التنشئة والخبرات الشخصية لجيل الأجداد: لقد أكــدت الشواهد الميدانية بما لا يدع مجالا للشك أن هناك نوعا من التكامل بين أســاليب التنشئة في المجتمع البدوي من جهة، وبين الخبرات الشخصية لجيل الأجـــداد، وذلك من أجل الحفاظ على النسق الثقافي العام والهوية البدويــة، واســتمرارية الاعتماد على نسق الطب الشعب البدوي، ويتجسد ذلك في:

- ما قامت به الخبرات الشخصية لجيل الأجداد من التوصل إلى بدائــل بيئيــة لإشباع حاجة من حاجاتهم الأساسية، وهي حاجــة التــداوي ومواجهــة الألــم والمرض بغية الشفاء. فجاءت التجربة الإنسانية القائمة علــى مبــدأ المحاولــة والخطأ، للتعرف على خصائص ما لديهم من أعشاب ونباتات وعناصر بيئيـــة أخرى. هذا على المستوى الأضيق، أما على المستوى الأكـــثر رحابــة، فقــد ساهمت أساليب التنشئة من خلال مبدأي التقليد والمحاكاة من جيل الأبناء لجيــل الأجداد من جهة، واصطحاب البالغين (الأجداد) لأبنائهم في مجالسهم ونشــاطهم الاقتصادي لتدريبهم على تحميل المشاق والألم، ونقص الطعام والشراب، إلـــى جانب تدريبهم على كيفية التكيف مع ما يطرأ على الفرد من ظروف سيئة، ومـا قد يترتب عليها من نتائج، وكيفية التصدي لها ومنها ما قد يعترض الإنسان مـن آلام وأعراض مرضية. كل ذلك دعم في نفوسهم التمسك بالنسق الطبي الشــعبي البدوي وممارسته واتباع وصفاته العلاجية، باعتباره هو الشيء المتاح والمتيسر بين أيديهم.

- ساهم النسق الطبي الشعبي البدوي في تحقيق عدة وظائف لجماعـــات بــدو البشارية، منها الوظيفة الاقتصادية، إلى جانب الوظيفة السيكولوجية والثقافيـــة. فتؤكد الدراسة على استمرارية الاعتماد على نسق الطب الشعبي حتـــى وقــت إجراء الدراسة، ويتجسد ذلك بصور جلية فيما بين فروع قبيلة العلياب البشارية، الذين يميلون إلى نمط البداوة الخالصة.

٢- تكشف الدراسة عن وجود معالجين شعبيين متخصصين في نطاق ضيق من التخصصات:

عدد ٣ لتجبير الكسور.

عدد ٢ للعلاج بالسحر، التعاويذ وفك الأعمال وفتح الرمل.

عدد ٣ للعلاج الديني(المشايخ).

عدد ١ سيدة قابلة (داية) للتوليد وختان الإناث وفك المشاهرة.

٣- اتجاه بعض البدو الذين يسكنون على حدود القرى إلى المزاوجة بين أساليب الطب الرسمي في حالة إصابات الأطفال (لدغة العقرب والثعبان)، والتطعيم الثلاثي، واستمرارية الاعتماد على الوصفات والممارسات الوقائية والعلاجية للطب الشعبي البدوي.

٤- تكشف الدراسة أن أسباب التغير فى الاستعانة بممارسات نسق الطب الشعبي البدوي إلى:

أ- تغيرات اقتصادية واجتماعية في البناء الاجتماعي لمنطقة أسوان في فترة الستينيات حتى وقت إجراء الدراسة، مما انعكس على زيادة احتكاك بعض البيوت البدوية بالمجتمع الأكبر أسوان.

ب- إلى جانب ظهور أنشطة اقتصادية جديدة بجانب الأنشطة التقليدية، تعمل بها الأجيال الحديثة مثل الزراعة والوظائف الحكومية.

ج- الاتجاه نحو تعليم الأبناء من الجنسين فيما بين البيوت المقيمة على حدود القرى والمدن.

ء- اتساع نطاق خدمة الكهرباء في المناطق الريفية، وانسحاب ذلك على دخول الكهرباء إلى منازل البدو.

هـ- انتشار وسائل الإعلام في منازل الريفيين البدويين.

و- اتساع مظلة الخدمة الصحية الرسمية، وتعدد أشكال المؤسسات العلاجية الرسمية في المناطق الريفية في محافظة أسوان، مما يسر لبدو البشارية الاستعانة والاستفادة بالعلاج الطبي الرسمي.

توصيات الدراسة

لقد اتفقت نتائج دراستنا عن الطب الشعبي البدوي مع نتائج واحدة من الدراسات في مجال علم الصيدليات وصناعة الدواء، أشارت إلى أنه ببزوغ عام ٢٠٠٥م سوف تتصاعد أسعار الدواء بصورة شرسة، بحيث يصعب على الإنسان المريض توفير احتياجاته من الدواء[٢٣]. ولذا تهيب هذه الدراسة

بالمختصين إلى ضرورة التكامل بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبية للتصدي لهذه الهجمة الشرسة التي يتعرض لها الإنسان بصفة عامة، ومجتمعات العالم الثالث بصفة خاصة، باعتبارها من الآثار السلبية لعصر العولمة وتطبيق اتفاقية الجات.

وبناء على ما تقدم توصي الباحثة إلى تكاتف جميع الباحثين في مجال علم الإيكولوجيا البشرية والأنثروبولوجيا والفولكلور بوضع منظومة متكاملة لدراسة المناطق الثقافية المختلفة في جمهورية مصر العربية، لحصر خصائص كل منطقة، و ما تمتلكه من مقومات طبيعية وأعشاب ونباتات يمكن توظيفها، بحيث تكفل السبل لمواجهة آثار العولمة في مجال تصنيع الدواء محليا.

المراجع

1- **Julian H- Steward,** Theory of culture change, Chicago III University press, 2000, P.30-32

٢- **فوزي عبد الرحمن إسماعيل**، دراسة الممارسات الطبية الشعبية في الريف المصري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات جامعة عين شمس، قسم الاجتماع، ١٩٨٤.

٣- **نجوى عبدالحميد**، نظام القرابة عند بعض الجماعات السكانية المتميزة في منطقة أسوان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات جامعة عين شمس، ١٩٨١.

٤- **شارلوت سيمور-سميث**، موسوعة علم الانسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، إشراف محمد الجوهري، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩، صـ ٦٨٢

5- **Donyoder Folk Medicine** in RM Dorson (ed) folklore and folk life, the University of Chicago Press Chicago, 1972, p 190

6- **Depral Topham,** (Traditional Chinese medicine in orthopedic nursing) Journal of Australia copy right, 1999 Jannetti publications inc, P. 45

٧- **شارلوت سيمور-سميث**، مرجع سابق، صـ ٦٨٥

8- **Bottner and Depral, topham** (folk medicine) in R.M Dorson Folklore and Folk life, the University of Chicago, press 2000, p45, 169

٩- وينفرد بلا كمان، الناس في صعيد مصر العادات والتقاليد، ترجمة أحمد محمود، مركز الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الطبعة الأولي، القاهرة ١٩٩٥، الفصل الثاني.

10- **Paul, A. Komstaroff,** The medical journal of Australia, Agust, 1998, VI Gg, P.17.

١١- حسن الخولي، الريف والمدينة في مجتمعات العالم الثالث، مدخل ثقافي اجتماعي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، صـ ٣٧١- ٤٧٢.

12- **Paul, A- Komstaroff,** op.cit pp.20-25.

13- **Depral, topham,** Folk medicine in R.M Dorson Folklore and Folk life, the university of Chicago, press, 2000, PP. 170-175

١٤- محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، الجزء الأول، من دليل العمل الميداني لجامعي التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٩٢.

١٥- مصطفي محمد سعد، البجة والعرب في العصور الوسطي، فصل في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٦٣، صـ٤

١٦- دائرة المعارف الإسلامية، مقال البشارية، صـ٢، صـ١٨

١٧- عبدالمجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، بدون تاريخ، صـ٢٢١، ٢٢٣.

١٨- محمد عوض، السودان الشمالي سكانه وقبائله، القاهرة، ١٩٥١، ص ٦٩.

١٩- نجوى عبدالحميد، المخاطر البيئية وأثرها على صحة الطفل، منشور في مجلة معهد دراسات الطفولة بعنوان أطفال في خطر، ١٩٩٠.

٢٠- نجوى عبدالحميد، مرجع سابق صـ٣٦٥.

٢١- نجوى عبدالحميد، مرجع سابق صـ٣٦٦.

٢٢- سعاد ماهر، محافظات مصر في العصر الإسلامي - فصل في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة مجلد ١، العدد الأول، مايو ١٩٥٩، جامعة القاهرة ١٩٦٣.

٢٣- ندوة اتفاقية حقوق الملكية الفكرية الجات وانعكاساتها على الدواء في مصر، الخميس ٢٠٠٢/٢/٢٨ بكلية الصيدلة، جامعة عين شمس.

* * *

الفصل الرابع
الصناعات البيئية كمدخل
للاستقرار الاقتصادى والاجتماعى
دراسة استطلاعية لقرية مصرية (كحك بحرى)

مقدمة

باتت كثير من المجتمعات فى الوقت الحاضر تفتقر إلى سبل الحياة المادية الطيبة بكل ما توفره من إمكانيات وقدرات، وما تتيحه للناس من فرص للعمل وراحة ورفاهية ترتفع بحياتهم إلى مستوى أعلى يتفق مع كرامة الإنسان. وهذا التميز بين المجتمعات والرغبة فى الارتفاع بمستوى الشعوب الفقيرة دفع عددا كبيرا من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا والاقتصاد والتخطيط إلى ضرورة الاهتمام بهذه المجتمعات، لتوفير قدر أكبر من تلك الحياة الكريمة(١). وقد جاءت نتائج معظم خطط التنمية لكثير من الدول والشعوب التى سبقتنا أشواطا على نفس الدرب كالهند واليابان، لتؤكد على أهمية تبنى مدخل إحياء الصناعات البيئية كمدخل من مداخل التنمية المحلية(٢).

ولذا تتجه السياسات القومية فى هذه الآونة للدعوة إلى ضرورة تشجيع الصناعات الصغيرة وتنمية الصناعات البيئية على كافة المستويات والقطاعات الريفية والحضرية فى مصر. ذلك لأنها تعكس شكلا من أشكال التفاعل الإيجابى بين مجموعة من العوامل تكمن داخل البيئة وهى: السكان، والخامات الطبيعية، والاحتياجات المجتمعية، وأدوات الإنتاج المحلى(٣). ومن ثم فإن إحياءها والعمل على تنميتها من شأنه أن يستوعب الأعداد الكبيرة من قوى العمل المتعطلة الناتجة عن زيادة معدل الكثافة السكانية من ناحية، وعجز إمكانيات النشاط الاقتصادى التقليدى عن الوفاء باحتياجات أعضائه من ناحية أخرى. أو ناتجة عن البطالة وفائض العمالة بسبب تدهور بعض الأنشطة الاقتصادية التقليدية (الصيد) المعتمدة اعتمادا مباشرا على الموارد الطبيعية (الأرض - البحيرات - الأنهار) بسبب تلوثها نتيجة للعادات السلوكية للإنسان التى نجم عنها بما يعرف بالهدر البيئى.

ومن هنا يتعين علينا كمشتغلين بدراسة التنمية البحث عن أنشطة اقتصادية أكثر ملاءمة لإمكانيات هذه المجتمعات من أجل إيجاد فرص عمل جديدة.

أولاً: أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى تحقيق هدفين:

١- التعرف على الصناعات البيئية التقليدية فى قرية مصرية محددة فى سياقها الاجتماعى والثقافى والعمل على إحيائها.

٢- إلقاء الضوء على العوامل والمقومات الطبيعية المتوفرة داخل البيئة التى تسهم فى تطوير الصناعات التقليدية، أو تتيح فرصاً لإدخال صناعات جديدة تتمشى مع إمكانيات ومقومات البيئة، وتكفى فى نفس الوقت الاحتياجات المجتمعية بأدوات إنتاج محلية، وذلك بهدف السعى إلى تحويل هذه القرى إلى قرى إنتاجية بدلاً من كونها قرى استهلاكية.

ثانياً: تساؤلات الدراسة

فى ضوء أهداف الدراسة تتبلور مجموعة من التساؤلات هى:

- إن محاولة إحياء الصناعات البيئية التقليدية على أساس أنها مصدر للإنتاج من شأنه أن يحقق درجة من الاكتفاء الذاتى لكثير من جوانب الاحتياجات اللازمة على المستويين الأسرى والمجتمعى.

- إن إلقاء الضوء على الصناعات البيئية كفيل بأن يعكس لنا أنماط التفاعل الإيجابى بين مجموعة من العوامل التى تتوفر داخل بيئة معينة هى: السكان والخامات الطبيعية والاحتياجات المجتمعية وأدوات الإنتاج المحلى، ومن ثم يتيح لنا فرصة إدخال صناعات جديدة من شأنها أن تحقق توازناً للمجتمع الذى يمر بمرحلة أهم تتميز بما أصاب واحداً من الأنشطة الاقتصادية بالتدهور (نشاط الصيد) بسبب ما أصاب بحيرة قارون من تلوث، وما يترتب على ذلك من زيادة نسبة المتعطلين وارتفاع معدل الفقر، الذى ترتب عليه ظاهرة عدم الاستقرار الاقتصادى والاجتماعى على المستويين الأسرى والمجتمعى.

ثالثاً: الإطار التصورى للدراسة

تنطلق الدراسة فى تحليل المادة الميدانية من إطار تصـــورى محـــدد هـــو الاتجاه البنائى الوظيفى الذى ينظر إلى المجتمع المحلى على أنه وحدة اجتماعية كلية متكاملة متفاعلة الأجزاء. كما أن عملية التنمية ما هى إلا تفاعل بين ما هو ممكن من عناصر ثقافية واجتماعية وما هو قائم أصـــلاً. ومـــن المعـــروف أن الاتجاه البنائى الوظيفى أكثر الاتجاهات النظرية ملاءمة لدراســـة المجتمعـــات الصغيرة المحلية. ويرجع ذلك إلى ما تتميز به هذه المجتمعات مـــن الوضـــوح الاجتماعى والثقافى، وذلك لأن هذه الخصائص المجتمعية تساعد على التعـــرف على البناء الاجتماعى وتتبع العلاقات القائمة بين النظم، ومن أجل تفهم وإيضاح كافة العوامل التى تؤثر فى عملية التنمية(٤). فقد وجد أنه من الضرورى عنـــد التخطيط للتنمية الاقتصادية الربط بيـــن مختلف جوانـــب التنميـــة الاقتصاديـــة والاجتماعية حيث أن التنمية الاقتصاديـــة لا تتم فى فراغ وإنما تتم فى إطـــار البناء الاجتماعى والثقافى. ولذا جاءت آراء علماء الاجتماع الكلاســـيكيين مـــن أمثال روستو Rostow لتلقى الضوء على العوامل غير الاقتصادية التى لها تأثير مباشر فى عملية النمو الاقتصادى، فحددها بأربعة عوامل هـــى: الرغبـــة فـــى تحقيق غايات اقتصادية على أساس علمى، الرغبة فى الاستهلاك(٥)، ثم قبـــول الاختراعات، والبحث عن التقدم المادى.

فى حين أشار جالبرث Galibraith إلى وجود أربعة عوامل أخـــرى لـــها أهميتها فى التأثير لتحقيق التقدم المـــادى، وهـــى: المـــهارة الفنيـــة، العدالـــة الاجتماعية، معرفة القراءة والكتابة، وأخيراً نظام حكم موثوق به(٦).

وبالرغم من اختلاف آراء العلماء فى تحديد أثر وفاعلية عوامـــل الإنتـــاج المختلفة، واختلاف آرائهم كذلك فى تحديد مستويات النمو الاقتصـــادى، فممـــا لاشك فيه أن النمو الاقتصادى لأى مجتمع من المجتمعات يستند إلـــى عوامـــل كثيرة: اقتصادية تارة، وغير اقتصادية تارة أخرى. وعلـــى المســـتوى الآخـــر سنلاحظ أنه بالرغم من أن الاقتصاديين يركـــزون اهتمامـــهم علـــى العوامـــل الاقتصادية والتكنولوجيا باعتبارها عوامل أساسية ورئيسية لأى تنمية اقتصادية، إلا أنهم اتجهوا أخيراً إلى الإشارة إلى أهمية العوامـــل الاجتماعيـــة والتـــأكيد عليهـــا. ومن ثم فإن التنمية الاقتصادية لا يمكن أن تتم إلا فـــى إطـــار البنـــاء

الاجتماعى للمجتمع الذى يخضع لعملية التنمية. ويؤكد الاتجاه التكاملى فى الدراسة على أهمية عوامل البيئة الطبيعية والاجتماعية والثقافية والقانون السائد والاتجاهات من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية، كما أنه لا يمكن بأى حال من الأحوال إغفال أى عامل من هذه العوامل. فالتنمية الاقتصادية لا تتم فى فراغ، وإنما تتم داخل إطار اجتماعى وثقافى، ومن ثم لا يمكن التركيز على العوامل الاقتصادية وحدها بعيداً عن المحتوى الاجتماعى والثقافى للتنمية. لذا، فإن هناك عوامل أخرى لها أثرها على نجاح عملية التنمية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: العوامل النفسية، وهذا ما أكده لينتون Linton فى حديثه عن الأهمية النفسية لدوافع الحاجة إلى العمل، لأن الإنسان فى حاجة دائمة إلى طلب الأمان، إذ تدفعه إلى إقامة المساكن والمبانى وتخزين الطعام والبحث عن عمل آخر إذا توقفت عجلة العمل الأول، وغير ذلك من وسائل تضمن له الأمن والاستقرار فى حاضره ومستقبله. كما أن هذه الحاجة تدفع إلى وضع المزيد من التوافق وإقامة نظم جديدة لمزيد من الاستقرار ولتحقيق التنمية والنمو الاقتصادى والاجتماعى(٧).

وفى ضوء نتائج البحوث الإمبيريقية التى اعتمدت على الاتجاه البنائى الوظيفى فى معالجة موضوع التنمية، تأكد أنه أكثر الاتجاهات ملاءمة للمجتمعات الصغيرة لما تتطلبه عملية التنمية – على كافة المستويات – من الربط بين مختلف النواحى الاقتصادية والاجتماعية، حيث تولى التنمية الاقتصادية الأهمية لعمليات الإنتاج والتوزيع وتبادل السلع والخدمات الاقتصادية، فهى فى الوقت نفسه تتصل بالنظم الاجتماعية لأن هذه النواحى جميعاً تؤلف أنساقاً فرعية فى البناء الاجتماعى(٨).

رابعاً: الإجراءات المنهجية

نتناول فى الفقرات التالية الإجراءات المنهجية للدراسة من خلال تناول عدة نقاط هى:

المفاهيم:

١- التنمية:

من المفاهيم التى دار حولها نقاش مستفيض بين علماء الاجتماع

والأنثروبولوجيا والاقتصاد والتخطيط، من أجل الوصول إلى تعريف للتنمية يقبله الجميع باختلاف تخصصاتهم. وقد ظهر على أثر ذلك العديد من التعريفات، إلا أن التعريف الذى يكاد يجمع عليه معظم المشتغلين الآن بالتنمية والتخطيط هو التعريف الذى قدمته هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٥٦ وهو: "العملية التى يمكن بها توحيد الجهود لكل من المواطنين والحكومة لتحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمعات المحلية لمساعدتها على الاندماج فى حياة الأمة والمساهمة فى تقدمها بأقصى ما يمكن"(٩).

وفى الحقيقة تأتى أهمية هذا التعريف من قدرته على تحديد الأركان الأساسية التى تقوم عليها عملية التنمية وهى كما يلى:

١- ضرورة اشتراك الأهالى والحكومة معاً فى مشروعات التنمية، وفى كل المراحل التى تمر بها عملية التنمية سواء ذلك التخطيط أو التنفيذ، هو ما يعرف بالمشاركة الشعبية Popular Participation.

٢- أن مشروعات التنمية يجب أن تؤدى إلى تحقيق التكامل القومى، بمعنى أن يهدف المشروع إلى ربط المجتمع المحلى الذى نفذ فيه ذلك المشروع بالمجتمع القومى، بل وإدماجه فيه بحيث يؤلف معه وحدة عضوية متماسكة.

٣- أن عملية التنمية هى بالضرورة عملية شاملة ومتكاملة تمتزج فيها الجوانب الاقتصادية بالجوانب الاجتماعية، بمعنى أنه بالرغم من أن الأساس الأول الذى ترتكز عليه معظم مشروعات التنمية هو الوضع الاقتصادى، إلا أن الهدف الأخير من المشروع هو الإنسان والعمل على إعلاء شأنه، باعتباره الطاقة البشرية اللازمة لاستمرارية عملية التنمية.

٢- الصناعات البيئية:

تشير نتائج معظم الدراسات على المستويين العالمى والمحلى إلى تعدد الرؤى فى تحديد مفهوم الصناعات البيئية. ومرد ذلك إلى تباين وتعدد المعايير التى اعتمدت عليها تلك الدراسات والتصنيفات. فهناك فريق اعتمد فى وصفه للصناعات البيئية على معيار قوة العمل البشرى، بأن يكون عدد العمال أقل من ١٠ أفراد(١٠). وآخر ركز على معيار المستوى التكنولوجى (أى الاعتماد على التكنولوجيا التقليدية)(١١). وثالث جمع بين المعيارين السابقين وهما (قوة

العمل البشرى والتكنولوجيا). كما أخذ تصنيف آخر بمعيار النسق التنظيمى للعملية الصناعية فأشار إلى أن هناك مستويين:

الأول: النسق العائلى Family System، ويتضمن الصناعات المنزلية والمشروعات العائلية التقليدية وهو ما يعرف بالنسق الحرفى الأسرى.

الثانى: النسق الحرفى Artisian System، ويقصد به النسق الحرفى الورشى الذى يتم خارج الأسر Artisian Workshop(١٢).

وفى ضوء ما سبق خلصت الباحثة إلى تعريف إجرائى لمفهوم الصناعات البيئية: "هو كل ما تم إنتاجه فى بيئة أو مجتمع محلى يعتمد على الخامات ومهارات بشرية وتستعين بأساليب تكنولوجية محلية بغرض الاستهلاك أو الإنتاج للسوق"(١٣).

خامساً: أسس اختيار مجتمع البحث

لما كان الهدف من البحث هو التعرف على المقومات الطبيعية المتوفرة داخل البيئة، والتى تساهم فى قيام صناعات بيئية أو إدخال صناعات أخرى إلى رصيد الصناعات التقليدية الأصلية بالقرى المضارة من موقعها على بحيرة قارون، بحيث تتمشى هذه الصناعات مع الاحتياجات المجتمعية لهذه القرى. فقد جاء اختيارنا لمجتمع الدراسة بناء على ما أسفرت عنه نتائج الدراسة الاستطلاعية للقرى الواقعة على ضفاف بحيرة قارون، والتى تتوزع بين مركز سنورس (عزبة عبدالرحمن إبراهيم) ومركز أبشواى (شكشوك - أيوب - الشيخ - سعد رحيل - قوته - أبوشنب - كحك). وتتلخص هذه النتائج فيما يلى:

أ- تمثل عزبة عبدالرحمن إبراهيم وشكشوك وكحك بحرىٍ أكبر المجتمعات المحلية لشاطئ البحيرة سكاناً، وبالتالى أكثر القرى تضرراً من أثار تلوث البحيرة.

ب- يمثل نشاط الصيد الحرفة الرئيسية للغالبية العظمى لسكان هذه القرى، فقد بلغت نسبة عدد المشتغلين به فى عزبة عبدالرحمن إبراهيم ما يقرب من ٩٠%، فى حين وصلت هذه النسبة فى كل من قريتى كحك وشكشوك ما يقرب من

٩٠% أيضاً. أما بقية السكان فهم موزعون بين العمل بالنشاط الزراعى والأنشطة التقليدية الأخرى.

وفى ضوء ما سبق تمثل كل من عزبة عبدالرحمن إبراهيم (التى تعرف بحبون) النمط الأول الذى يقع شرق بحيرة قارون، شكشوك وكحك بحرى النمط الثانى الذى يقع جنوب البحيرة. حيث تشكل جميعها أكثر المجتمعات المحلية تضرراً من أثار تلوث بحيرة قارون. ويتضح ذلك من تركيبها الإيكولوجى، ومن النشاط الاقتصادى ومستوى الحياة الاجتماعية لسكانها. (وهذا ما سوف نتناوله دراسة المسح الشامل بالتفصيل).

فقد روعى عند اختيار مجتمع الدراسة أن يكون الاختيار ممثلاً لتباين الموقع (شرق – جنوب) ولأنماط التضرر وحالة عدم الاستقرار الاقتصادى على المستويين: الأسرة والمجتمع. وعلى ذلك فقد وقع الاختيار على عزبة عبدالرحمن إبراهيم (تعرف بحبون)(*)، وقرية كحك بحرى كنموذج يوضح لنا أعلى درجات التضرر الذى أصاب (مجتمعاً محلياً) من جراء موقعه من جهة، ومن جراء اشتغال ما يقرب من ٩٠% من السكان بنشاط الصيد وما ترتب عليه من تدهور هذا النشاط وزيادة معدل البطالة.

سادساً: منهج الدراسة

قامت الباحثة بدراسة استطلاعية لحصر الصناعات البيئية التقليدية فى القرى الواقعة على ضفاف بحيرة قارون، مراعية فى ذلك مستويين:

الأول: الصناعات التى تنتج داخل الأسرة والصناعات التى تنتج على مستوى المجتمع المحلى.

الثانى: التعرف على الخامات الداخلة فى كل صناعة، والإمكانيات المتوفرة فى البيئة المحلية لمجتمعات الدراسة والتى يمكن أن يستفاد منها فى إنشاء أو إدخال صناعات بيئية جديدة.

(*) نظراً لما أسفرت عنه نتائج الدراسة الاستطلاعية الأولية عن تشابه الخصائص الاجتماعية والنشاط الاقتصادى من جهة. وتدهور نشاط الصيد فى قرية كحك بحرى وعزبة حبون، لذا اقتصرت الدراسة فى عرضها للبيانات على قرية كحك بحرى – إلا أن معظم الملاحظات والنتائج الميدانية تنسحب على كل من قرية كحك بحرى وعزبة حبون.

كما قامت الباحثة بالتعرف على اتجاهات سكان هذه القرى من الذكور والإناث البالغين عن الصناعات البيئية التى يرغبون فى العمل بها فى ضوء خبرتهم واستعداداتهم من جهة، والصناعات الجديدة التى تحتاج تدريبا لفترة قصيرة وتساهم وفى نفس الوقت فى دراسة سابقة لها تخفيف معدل البطالة فى المجتمع. وقد اعتمدت الباحثة على نتائج دراستها بعنوان أطلس الصناعات البيئية إلى جانب ما يلى:

١- دليل العمل الميدانى الذى قسم إلى البنود التالية: بيانات المجتمع المحلى - النشاط الاقتصادى فى مجتمع البحث - الصناعات البيئية التقليدية الأصلية فى المجتمع - الخامات الداخلة فى تصنيعها - الأدوات المستخدمة فى التصنيع - آراء واتجاهات أعضاء مجتمعات البحث فيما لو رغبوا فى صناعات بيئية جديدة - الخامات والإمكانيات البيئية المتاحة التى يمكن استغلالها لقيام مشاريع أو صناعات بيئية.

٢- كما استعانت الباحثة بأدوات المنهج الأنثروبولوجى من مقابلة وملاحظة عند تطبيق الاستمارة.

٣- واستعانت الباحثة بالإضافة إلى ذلك بالإخباريين من المجتمع المحلى لاستكمال بعض البيانات والتحقق من صدق البعض الآخر، وكذلك فى إلقاء المزيد من الضوء على ظروف أسر الصيادين التى أضيرت من جراء تلوث بحيرة قارون، والتى يصعب على الباحثة كشفها أثناء المقابلة مع أفرادها.

٤- المجال الزمنى:

استغرقت الدراسة الميدانية قرابة ثلاثة أشهر ونصف، حيث بدأت فى أول أكتوبر ١٩٩٣ حتى منتصف يناير ١٩٩٤. وبالرغم من قصر فترة الدراسة الميدانية وقلة الإجراءات المنهجية، إلا أن الباحثة استطاعت أن تغطى جوانب موضوع الدراسة بصورة مرضية وحاولت تحقيق الهدف منها. ويرجع ذلك إلى طبيعة علاقة الباحثة بمجتمع محافظة الفيوم(*) وبصفة خاصة القطاع الريفى

(*) ترتبط الباحثة بعلاقة طويلة بمحافظة الفيوم ترجع إلى ديسمبر ١٩٨١ حتى يوليو ١٩٨٣ من حيث الإقامة شبه الدائمة نظرا لاشتراكها فى إجراء الدراسات الميدانية المتعمقة لبحث المرأة المنشور عنه تقرير بعنوان (المرأة فى الريف والحضر، دراسة لحياتها فى العمل والأسرة) تحت إشراف الأستاذ الدكتورة علياء شكرى. كما قامت الباحثة بإجراء الدراسات الميدانية الخاصة ببحثها لنيل درجة الدكتوراه فى الفترة من ١٩٨٣ حتى ١٩٨٦ فى =

منها، مما نمى لديها الإحساس بالألفة بساكنى المجتمع الريفى، وأكسبها ذلك مرونة تفهم اللهجة المحلية والمصطلحات الخاصة بثقافة الريفيين فى محافظة الفيوم. وقد ساعد ذلك على سهولة تسجيل أقوال الإخباريين ونقل وجهات نظرهم ووصف عاداتهم وسلوكهم بصورة مرضية.

سابعاً: الخصائص الاجتماعية لمجتمع الدراسة

المجتمع المحلى لقرية كحك بحرى

بناء مجتمع البحث

١- التسمية:

قرية كحك بحرى واحدة من العموديات الأربع التى تتبع المجلس المحلى لقرية كحك التابعة إداريا لمركز أبشواى بمحافظة الفيوم.

يرجع أصل تسمية قرية كحك بهذا الاسم على حد قول أحد الإخباريين من أبناء القرية إلى: "لعائلة حضرت إلى هذا المكان المهجور واتخذته مقرا لإقامتها هى عائلة تدعى بعائلة عبدالعال كحك المهاجر من قرية سلوى بالصعيد، التابعة لمحافظة أسوان". ومن ذلك الوقت اعتاد الناس إطلاق اسم جد هذه العائلة وهو كحك على القرية.

كما أضاف نفس الإخبارى مشيراً إلى حضور ابن عم عبدالعال كحك مع أسرته بعد فترة من حضور الأول، فاتخذ الثاني من كحك القلية مكاناً لإقامته. وهذه الرواية مجرد أقوال متواترة لم نجد دليلا عملياً يؤيدها فى المصادر المعروفة مثل الأطلس الجغرافى لمحمد رمزى.

٢- الملامح الإيكولوجية:

تبعد قرية كحك بحرى عن مدينة الفيوم بحوالى ٣١ كيلو متراً بالطريق

=محافظة الفيوم. كما قامت بالتدريس فى كلية الخدمة الاجتماعية بالفيوم خلال الفترة من ١٩٨٦ حتى ١٩٩٠ فى أثناء ذلك قامت بعمل أبحاثها الخاصة بالترقية لدرجة أستاذ مساعد وهى على التوالى: أنماط رعاية الطفولة فى قرية مصرية كما تعكسها جداول استخدام الوقت فى الأسرة: واستغرقت الدراسة الفترة من ١٩٨٦ حتى ١٩٨٨. والدراسة الثانية هى أطلس للصناعات البيئية. بحث ميدانى استطلاعى عن محافظة الفيوم، استغرقت الدراسة من أكتوبر ١٩٨٨ حتى ١٩٨٩.

السياحى، و ٢٥ كيلو متراً بالطريق العادى (بين القرى) والـذى يعـرف باسـم طريق الشواشنة. وقرية كحك بحرى فى شكلها العام متوسطة الحجم، يحدها من الشمال بحيرة قارون، ومن الجنوب قرية الرواشدة، ومن جهة الغـرب قريـة الشواشنة وغيضان وقصر أبومطيعة، ومن الشرق قرية العزبية.

وتتبع قرية كحك البحرية مجلس محلى كحك بالإضافة إلى ثـلاث قـرى أخرى هى على التوالى: الخالدية - العلوية - الصعايدة، كما يتبعها حوالـى ٤٦ عزبة. وقرية كحك بحرى هى التى يوجد بها مقر المجلس المحلى حالياً.

وتقدر المساحة الكلية للزمام بقرية كحك بحـرى بحوالـى ٢٥٤٩ فدانـاً موزعة على النحو التالى: المنزرع منه ١٦٦٩ فدان والبور ٨٨٠ فدان، والكتلة السكنية ٥٠ فدان.

يقدر تعداد الوحدة المحلية بكحك طبقاً للتعداد التقديرى لمركز أبشواى عـام ١٩٩٣ بحوالى ٥١٤٠٠ نسمة[١٤]، فى حين يقدر تعداد عمودية كحـك بحـرى - طبقاً للتعداد التقديرى للوحدة المحلية - بحوالى ٨-٩ الآلف نسـمة بتوابعـها العشرة، وهى على التوالى: "عزبة كحك قبلى - العدوى - إبراهيم عبدالمجيد - الصلاحية - مزار رحاب الله - محمد السيد حسين - محمود خليل - القاضـى - مسعد الروبى - عبدالله هاشم"[١٥].

وعموماً يتخذ التجمع العمرانى لقرية كحك بحـرى حاليـاً شـكلاً شـبه دائرى[١٦]. ومن الملامح الإيكولوجية لعمودية كحك بحرى أنها قرية تقليدية فـى مظهرها من حيث أن معظم شوارعها غير ممهدة. ومعظم الدروب تكـثر بـها المرتفعات والهضاب الترابية وأكـوام السـباخ والحفـر والمسـتنقعات لميـاه الصـرف الصحى والمياه الناتجة من نشع المياه الجوفية المتسربة من بحـيرة قارون.

والملاحظ أن قرية كحك بحرى من القرى المتاخمة تماماً لبحيرة قـارون، حيث يبلغ امتدادها ١٥ كم على امتداد ساحل البحيرة، وتقـدر المسـافة لآخـر امتـداد للكتلة السكانية من شاطئ البحيرة بـ ٦٠ متراً، إلى جـانب انخفـاض مستوى سطح القرية عن مستوى سطح البحيرة مما ينجـم عنـه العديـد مـن المخاطر البيئية التى يعانى منها سكان القرية من جراء. نذكر منها على سـبيل المثال لا الحصر:

• ارتفاع منسوب مياه البحيرة في فصل الشتاء: مما يعرض معظم منازل القرية للغرق، بل قد يصل فى بعض الأحيان إلى انهيار المنازل.

• غرق مساحات كبيرة من الأراضى الزراعية المتاخمة للبحيرة مما أدى إلى ارتفاع نسبة الملوحة وبوارها.

• ارتفاع نسبة الرطوبة بشكل ملحوظ فى القرية.

• ارتفاع منسوب المياه الجوفية إلى مستوى قريب من سطح الأرض بمسافة تقدر بـ١٠-١٥سم، مما أضفى على المظهر العام للقرية - وبصفة خاصة أرضيتها وجدران منازلها - كما لو أن القرية تعرضت لعاصفة ممطرة لساعات طويلة تسببت فى غرق أرضيتها، بل وتوحلها نتيجة لكثرة المياه المنهمرة، وامتزاجها بالتراب وتحولها إلى برك طينية لزجة الملمس بحيث يصعب السير عليها بسهولة. وقد يعرض ذلك الكثير من المارة في الشوارع والدروب إلى فقدان توازنهم بل وسقوطهم على الأرض الموحلة. أما بالنسبة لجدران المنازل، فتعلوها آثار نشع المياه بمقدار ١-٢متر، مما قد يصيب أساس معظم المساكن فى هذه القرية (التى ليس لها أساس رصين فى الأصل) بالتصدع، ويجعلها عرضة للانهيار.

ومن اللافت للنظر أن مساكن القرية شهدت فى السنوات الأخيرة، ومع بداية عام ١٩٨٥ تغيرات فى المادة المستخدمة فى بناء المساكن، وقد يرجع سبب هذا التغير إلى سفر عدد من أهالى القرية للعمل فى المجتمعات الجديدة داخل ج. م. ع، أو السفر إلى الدول العربية وبخاصة إلى العراق للعمل وذلك لسهولة الحصول على تأشيرة الدخول. وقد يكون سبب هذا التغير متاخمة القرية لبحيرة قارون وما ينجم عن ذلك من مخاطر الغرق وارتفاع معدل النشع والرطوبة فى المنازل مما دفع السكان للجوء إلى استخدام المواد الحديثة فى البناء بعد أن تعرض الكثير من المبانى للانهيار. كل ذلك جعل معظم أهالى قرية كحك بحرى يتجهون إلى إعادة بناء مساكنهم باستخدام الطوب الأحمر بدلا من الطوب اللبن أو الطوب الأسمنتى، واتجاه البعض الآخر إلى تعلية المسكن إلى طابق أو طابقين تشبها بالمساكن الحضرية (الطبقة العليا والوسطى). وفى كل الشرائح الطبقية - باستثناء الحالات ذات المستوى الطبقى المتدنى - يقومون بعمل ترميمات على فترات قد تأخذ صور ردم الأرضيات للارتفاع بالمسكن

لتفادى النشع. وقد تستبدل أسقف المنازل نظرا لتعرضها للغرق طـــوال موسـم الشتاء والنشع طوال العام نظرا لارتفاع نسبة الرطوبة مما يجعل أسقف المنازل واهية سهلة الانهيار. وبالرغم من التغيير الواضح فى القرية بصفة عامة وفـــى شكل بناء المساكن بصفة خاصة، فلا يزال يسود القرية ثلاثة أنماط من المساكن هى على النحو التالى:

النمط الأول

يتكون من حجرة واحدة أو حجرتين، مبنية بالطوب اللبـــن، خالية مـن الفتحات عدا فتحة الباب. تستخدم هذه الحجرة للنوم ولتخزين الطعام واسـتقبال الضيوف والطهى والاستحمام. وكثيرا ما يستغل الفرن كمكان للنوم فى الوحدات المعيشية كثيرة العدد نظرا لضيق المكان فى هذا النمط مـن المسـاكن، حيث تضطر الأسرة إلى قضاء معظم أعمال المنزل الخارجية مثل (غسل الملابـس) - الذى يتم عادة أمام المنزل - واستقبال الضيوف خارج المنزل نهارا وليلا فى الصيف.

ويعيش فى هذا النمط من المساكن الطبقة الأدنى اجتماعيا واقتصاديا فـــى القرية ومعظمهم من الفئة الكادحة التى تعمل بالأجر لدى الغير (الصيد)، والأسر ذات الظروف الخاصة التى تقوم المرأة فيها بدور العائل (الأرملة - والمطلقة).

النمط الثانى

المساكن المبنية من الطوب اللبن، يتكون معظمها من طابق واحد، وغالبـا ما يكون السقف من جريد النخيل وفرعه، وقد اتجه الكثيرون من أصحاب هـذا النمط السكنى بعد عودة الزوج من الهجرة أو وجود فائض من دخلهم من نشـاط الصيد (قبل تلوث البحيرة) إلى تحسينها باستبدال الجدران بالطوب الأحمـــر أو الأسمنتى وأحيانا يتم الجمع بين الطوب الأحمر والأسمنتى مع الحجر، بأن يبنى الجزء الأسفل من الجدران بالحجر، ثم يستكمل بقية الجدار بالطوب الأحمـر أو الأسمنتى. وطبقا لقول أحد الإخباريين "عشان يقوى أساس الجدار اللـــى دايمـا ناشعة فيه الميه طول العام"، بدلا من الطوب اللبن، ولكن دون المساس بسـقف المنزل أو الاهتمام بزيادة عدد فتحات المنزل لتحسين التهوية والإضـاءة، ودون حدوث أى تغير فى التقسيم الداخلى للمنزل. وغالبا ما يتكـــون المسـكن مـن الداخـل من حجرة أو حجرتين أو ثلاث حجرات، بحيث تخصص كل حجـرة

لأسرة من أسر الأبناء المتزوجين، إلى جانب حجرة الوالدين والأبناء غير المتزوجين. وفى أقصى طرف المسكن فعادة توجد حجرة بلا سقف أو حوش، مخصصة لمبيت الحيوانات والطيور.

ويتميز هذا النمط من المساكن بوجود أكثر من أسرة يشتركون جميعا في الإقامة والمعيشة، نظرا لانتشار نمط الإقامة الأبوية (السكنى المشتركة) للأبناء الذكور بعد زواجهم، وهى السمة المميزة للسكنى فى قرية كحك بحرى حتى وقت إجراء الدراسة الميدانية.

ومن الملاحظ أن هذا النمط من المساكن يظل بدون طلاء خارجي للجدران أى على لونه الطبيعى وهو لون الطوب الذى بنيت به (أحمر أو رمادى)، وتظل الأرض بدون تبليط. ومعظم المساكن يوجد بها كهرباء باستثناء بعض منازل الأسر المعدمة، ولكن معظمها تخلو من المياه النقية ومن دورات المياه، حيث يقضى معظم البالغين حاجتهم فى حظيرة الحيوانات. أما الأطفال فعادة ما يقضون حاجتهم خارج المنزل.

النمط الثالث

هى المساكن المبنية بالطور الأحمر أو الطوب الأسمنتى، وهى مساكن تخص الطبقة العليا وبعض أسر الطبقة الوسطى. ويتكون هذا النمط من المساكن من دور أو دورين أو أكثر بحيث تكثر فيه حجرات المعيشة التى تتناسب مع حجم الوحدة المعيشية والأفراد المقيمين بها. إذ نجد بها ٢-٣ حجرة للنوم، ودورات مياه، وحمام، وحجرة لاستقبال الضيوف (الصالون أو كنب بلدى). ويأخذ أثاث معظم هذه المساكن الطابع الحضرى. أما حظيرة الحيوانات فيوجد فاصل بينها وبين المنزل، وذلك بأن يكون لها باب مستقل على الشارع مباشرة، أو يكون لها باب يفصل بينها وبين مكان إقامة أعضاء الأسرة.

ويتميز هذا النمط من المساكن بأنه جيد التهوية حيث تكثر النوافذ والشرفات، كما يتميز باهتمام أصحابه بالمظهر الخارجى من حيث طلاء الجدران الداخلية والخارجية، وكذلك النوافذ. وقد يختلف نوع الطلاء بالزيت أو الجير طبقا للمستوى الطبقى للأسرة.

٣- النشاط الاقتصادى

أ- نشاط الصيد: يمثل نشاط الصيد بقرية كحك بحرى (عزبة حبون) النشاط الرئيسى لمعظم أهل القرية بحيث يعمل به الغالبية العظمى من السكان وتقدر نسبة المشتغلين بالصيد بحوالى ٩٠%. ويرجع ذلك كما سبق أن أشرنا فى موضع آخر إلى الطبيعة الإيكولوجية التى تتميز بها قرية كحك من حيث أنها قرية متاخمة لبحيرة قارون بمسافة تقدر بحوالى ٦٠ مترا وتمتد بطول ١٥كم من ساحل البحيرة، مما يجعل كلا من البحيرة ونشاط الصيد الوعاء الاقتصادى الوحيد الذى استوعب الأعداد الكثيرة من العمالة الناتجة عن ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية فى هذه القرية.

ب- النشاط الزراعى والأنشطة الأخرى: يمثل النشاط الزراعى والأنشطة الأخرى بقرية كحك بحرى (وعزبتى حبون وشكشوك)، النشاط الذى يلى الصيد، ويتضح لنا ذلك من خلال ما يلى:

- نسبة المشتغلين بالنشاط الزراعى والأنشطة الأخرى تقدر بحوالى ١٠%.
- يقدر حجم زمام عمودية كحك بحرى بحوالى ٢٥٤٩ فدان موزعة كالآتى:
  - حجم الكتلة السكنية بـــ٥٠ فدانا.
  - المساحة البور ٨٨٠ فدانا.
- المساحة المزروعة فعلا ١٦٦٩ فدان موزعة كالآتى:
  - الحيازة الكبرى ٥٠ فدانا لعدد ١٤ أسرة على مستوى القرية.
  - الحيازة المتوسطة ٢-٥ فدانا لعدد يقدر بـــ١٠٠ أسرة على مستوى القرية(١٧).
  - الحيازة الصغرى تبدأ من ٣ قيراط حتى أقل من ٢ فدان لعدد يقدر بـــ١٢٠ أسرة على مستوى القرية.

نظام الزراعة بالمشاركة

تقوم فئة من الفلاحين بزراعة بعض الحيازات بالمشاركة مع أصحابها فى مقابل أن يحصل على نصف المحصول من صاحب الحيازة الأصلى، وذلك بعد خصم مصاريف السماد والبذور والتقاوى والحرث ومياه الرى. وغالبا ما يكون نصيب الفلاح بالمشاركة جزء من المحصول. ويعمل بهذا النظام حوالى ٢٠٠ أسرة على مستوى القرية. وعموما فمازالت قرية كحك بحرى

(حبون) قرية تقليدية من حيث التزامها بنظام الدورة الزراعية، وهى على النحو التالى:

الدورة الشتوية:

تبدأ من شهر نوفمبر / ديسمبر حتى شهر مايو ويتم زراعة المحاصيل الآتية: القمح – البرسيم.

تبدأ من شهر مايو / يونيه وتنتهى فى شهر نوفمبر / ديسمبر وتزرع المحاصيل الآتية: القطن – الذرة الرفيعة – عباد الشمس (الزيتى)(١٨). بالإضافة إلى محصول الزيتون الذى تجنى ثماره فى شهر سبتمبر من كل عام.

الدورة الصيفية:

كما لوحظ كثرة زراعة النخيل، حيث يوجد حوالى ٢ مليون نخلة على مستوى مجلس محلى كحك. كما لوحظ أثناء الدراسة الميدانية وبناء على ما يرويه كثير من إخباريى القرية قلة مياه الرى فى فصل الشتاء وانعدامها فى فصل الصيف مما يتسبب عنه أن يضطر كثير من الفلاحين لزراعة نصف فدان فقط من حيازته البالغة مثلا فدان ونصف وتبوير الباقى.

كما لوحظ أن هناك اتجاها سائدا بين الفلاحين إلى تحويل نسبة كبيرة من الحيازات لزراعة محصول الطماطم والزيتون على حساب الحيازات المزروعة بالمحاصيل الأخرى (كالقمح والذرة) وذلك نتيجة لقلة مياه الرى اللازمة للزراعة فى فصل الشتاء وانعدامها فى فصل الصيف مما يترتب عليه تلف كثير من المحاصيل الأخرى.

ولقد لاحظت الباحثة – بحكم الخبرة التى كونتها خلال الدراسات الميدانية فى أكثر من قرية فى القطاع الريفى بمحافظة الفيوم – أن هذا النوع من المشاكل المرتبط بقلة مياه الرى يمثل مشكلة عامة تعانى منها معظم قرى محافظة الفيوم الواقعة فى نهاية المصارف المائية، ومن هذه القرى على سبيل المثال: قرية أباظة – والنزلة مركز أبشواى، حبون، الرغاى مركز سنورس.

ج- **النشاط التجارى:** يتمثل النشاط التجارى فى بيع الخضروات (الطماطم والزيتون)، إلى جانب المحاصيل التقليدية (قمح، ذرة) والطيور والدواجن والحيوانات الصغيرة (ماعز – ماشية)، وبيع الأسماك (قبل تلوث البحيرة).

وعادة ما يتسم هذا النشاط بمشاركة النساء بنصيب لا يستهان به (فى الأسر التى تعمل بالنشاط الزراعى فقط)، وبيع الحلوى للنساء أصحاب الظروف الخاصة.

د- النشاط الصناعي: تمثل الصناعات الغذائية المنزلية التى تعتمد على الإناث باختلاف المراحل العمرية السمة المميزة للأسرة التى تعمل بالنشاط الزراعي، وهذا ما أكدته نتائج بحث المرأة فى الريف والحضر[١٩]، ودراسة أطلس الصناعات البيئية فى محافظة الفيوم. وذلك نظرا لتوفر الخامات تحت يدى النساء فى المنزل مما يدفعهن لتصنيع منتجات الألبان مثل: (الجبن والزبد) وتصنيع مواد الطاقة (عمل الجلة - تجفيف قوالح الذرة) عمل وجبات غذائية للتخزين (تخليل الزيتون - عمل الكشك - اللفت - المش). وهناك بعض الأسر التى تقوم فيها المرأة بحياكة الملابس لنفسها ولأسرتها ولأسر القرية. كما كانت صناعة الشباك (الغزل اليدوى من الصناعات اليدوية المنزلية التى تشتهر بها قرية كحك بحرى بصفة عامة، والأسر التى تعمل بنشاط الصيد بصفة خاصة وبالتحديد فى جيل الأجداد من الذكور والإناث.

ولكن نظرا لتبنى أصحاب الأنشطة الاقتصادية فى مصر خلال فترة السبعينيات لقيمة الكسب السريع، حتى لو كان ذلك على حساب انهيار النسق القيمى فى المجتمع، اتجه معظم المشتغلين بنشاط الصيد إلى التخلى عن صناعة الشباك (اليدوى) والاتجاه نحو شراء الشباك الآلية المصنوعة من الخيوط النايلون أو الشعر، لما لهذا النوع من الشباك من كفاءة تبدو فى ضيق فتحاتها التى تسمح بصيد كل ما يدخل بها من كائنات حية بالبحيرة حتى الزريعة، وبذلك انقرضت صناعة الشباك اليدوية، وأصبحت قاصرة على نوع من التصنيع التكميلى بمعنى أن يقوم الصياد بشراء الشبكة النايلون جاهزة الصنع، ثم يقوم بتركيب بعض الأجزاء مثل: الرصاص / الفل (والشموت) وهو عبارة عن حبل من النايلون يوضع على حافة الشبكة. إلى جانب أنه يقوم بتركيب (الفل) وهو عبارة عن أقراص من البلاستيك تأخذ الشكل الدائرى توضع على أطراف الشبكة لتساعدها على الطفو. أما الرصاص فيكون الغرض منه تثبيت الشبكة عندما يلقيها الصياد بالبحيرة لكى تثبت بالقاع.

٤- النسق القرابى

تشكل العائلة الممتدة (البدنة) الوحدة الأساسية للنسق القرابى فى قرية كحك

بحرى (حبون)، وترجع معظم العائلات الممتدة المعروفة إلى الجد المؤسس على مستوى القرية.

٥- الخدمات التعليمية

تتمتع قرية كحك بحرى بالخدمات التعليمية المتمثلة فى وجود عـــدد مــن المدارس: ٢ مدرسة ابتدائية مجموع فصولهما ٢٤ فصـــل، مدرســة إعداديــة ٧ فصول[٢٠]. ولا يوجد معاهد أزهرية بالوحدة المحلية بكحك.

٦- الخدمات الطبية

يوجد بقرية كحك بحرى وحدة صحية، تقـــوم بتقديــم الخدمــات الطبيــة لمواطنى القرية، من حيث تسجيل المواليـــد، إلـــى جـــانب إجــراء التطعيــم والحمـــلات الصحية للأهالى ولتلاميذ المدارس، وإســـعاف حـــالات الإصابــة الخفيفة والمتوسطة، أما الحالات الحرجة والتى تتطلب جراحــــات خطـــيرة أو كبيرة فتحـــول إلى المستشفى المركزى بأبشواى أو الفيوم.

٧- الخدمات الاجتماعية

يوجد بالقرية العديد من الخدمات الاجتماعية منها: الوحدة المحلية: وهـــى المجلس المختص بتقديم الخدمات المتنوعة كالإشراف على تنفيذ المشـــروعات الخاصة بتنمية المجتمع المحلى سواء على مستوى القرية أو توابعها. وتشـــرف جمعية تنمية المجتمع المحلى على تحقيق الخدمات لأهل القريـــة مـــن خـــلال مشروع مستقل لتعليم فتيات القرية الحياكة والتطريز.

٨- خدمات الزراعة

يوجد بالقرية جمعية تعاونية زراعية، وأخرى تعاونية للائتمان الزراعـــى، وبنك التسليف الزراعى، حيث تتضافر هذه الجمعيـــات فـــى تقديــم الخدمـــات اللازمـــة للنشاط الزراعى. من حيث توليها تسجيل أسماء أصحاب الحيـــازات الزراعية، وتنظيم الدورة الزراعية، والإشراف على تنفيذها ومعاقبة المخـــالفين، وتوزيع الأسمدة والتقاوى اللازمة للزراعة، وصرف السلف اللازمة عند زراعة كل محصول.

٩- خدمة الصيد

يوجد بالقرية جمعية تعاونية للصيادين، تضم جميع الصيادين الذين لديهم مراكب صيد مرخصة للصيد في البحيرة، ويبلغ عدد أعضاء الجمعية ومن لديهم مراكب بقرية كحك بحرى ٢٥٠ مركب[٢١]. إلا أن هناك فئة أخرى من الصيادين ليس لديهم مراكب مرخصة للصيد، وهؤلاء يعملون بالأجر مع الآخرين ويعرفون (بالعراقين). وتقوم هذه الجمعية بتسجيل أسماء أصحاب المراكب، وتقديم السلف اللازمة لشراء الشباك والمراكب الجديدة أو لعمل الترميمات.

١٠- الخدمات والمرافق

أدخلت الكهرباء بقرية كحك بحرى، حيث تضاء معظم المنازل بالقرية، بالإضافة إلى إضاءة معظم دروبها. كما يوجد بالقرية حاليا محطة لتنقية مياه الشرب، يرجع تاريخ افتتاحها والعمل بها إلى عام ١٩٩٠. ومن الملاحظ أن نسبة المنازل الخاصة لذوى المستويات الاقتصادية العليا ومعظم المشتغلين بالنشاط الزراعى ويتمتعون بخدمة المياه النقية داخل المنازل تقدر بحوالى ٦٠%. أما النسبة الباقية وهى حوالى ٤٠%[٢٢] فيعتمدون على جلب المياه من الصنابير العامة الموجودة فى شوارع القرية وعددها اثنان.

كما لوحظ أثناء الدراسة الميدانية، وبناء على ما يردده الكثير من أهالى القرية، وما يرويه معظم الإخباريين بها، كثرة إصابتهم هم وأبناؤهم بأمراض الفشل الكلوى وحصوة الكلى والبلهارسيا والتهاب الكبد الوبائى، وذلك منذ افتتاح محطة تنقية المياه أى منذ ثلاث سنوات تقريبا. ويرجع ذلك إلى تلوث المياه وعدم صلاحيتها للاستخدام الآدمى. نظرا لتغير لونها ورائحتها وارتفاع درجة الملوحة بها مما يجعلها غير مستساغة للشرب، وذلك بسبب اعتماد هذه المحطة على المصدر المائى القادم من بحر النزلة. وهذا المصدر يعد مصبا لمعظم المصارف الزراعية، والمخابز، ومياه بحيرة قارون فى تلك الناحية، إلى جانب أنه مكان لاستحمام الحيوانات (الجاموس)، وإلقاء المخلفات الآدمية والحيوانات الميتة (الكلاب، القطط، الحمير)، ومركزا لتجمع كثير من الحشرات (كالذباب والبعوض). وهو فى نفس الوقت مكان لسد حاجة معظم العزب القريبة منه (غسل الأوانى – غسل الملابس، الاستحمام).

١١- الخدمات الاستهلاكية والتموينية

يوجد بقرية كحك بحرى عدد ٢ مخبز آلي وعدد ٢ مطحن آلـــى لطحـــن الغلال لأسر الفلاحين. وتتمتع القرية بالخدمة التموينية المتمثلـــة فـــى وجـــود جمعيتين تعاونيتين لتوزيع السلع التموينية على الأهالى بموجب البطاقة التموينية (السكر/ الزيت/ الشاى/ الأرز). وقد لوحظ من نتائج الدراســـة الميدانيـــة أنـــه بالرغم من أن صناعة الخبز تعتبر من الصناعات المنزلية للمرأة الريفية. إلا أن هناك نسبة تكاد تصل إلى ثلثى أسر القرية (أسر الصيادين)، الذين أصبحت هذه الصناعة عسيرة عليهم، واقتصر أمرها على بعض الأسر أصحاب الحيـــازات الزراعية والعاملين بالنشاط الزراعى. أما غالبية الأهالى فقد اتجهوا إلى الاعتماد على شراء الخبز من المخابز. ويرجع ذلك إلى:

- قلة الحيازة المزروعة (قمح / ذرة) على مستوى القرية.
- نقص كمية مياه الرى مما تسبب فى جفاف كثير من المحاصيل مثـــل القمـــح والذرة بسبب احتياجها إلى كميات كبيرة من المياه، ممـــا جعـــل الكثـــير مـــن الأهالـــى يقومون بتبوير الجزء الأكبر من الحيازة وقصر زراعتهم على فـــدان أو نصف فدان لضمان نجاح الزراعة.
- ارتفاع سعر جوال الدقيق / حيث بلغ (١٦-١٨جنيه)، بالنسبة لدخل الغالبيـــة العظمى من أسر الصيادين خصوصا فى الوقت الحالى نظرا لتدهـــور نشـــاط الصيد.

١٢- خدمة المواصلات

تتصل القرية بالقرى المجاورة لها والمراكز التابعة لها من خلال ســـيارات نقل الركاب "بالنفر".

١٣- الخدمة الدينية

يوجد بالوحدة المحلية ١٢ مسجد منـــها ٨ تابعـــة لـــوزارة الأوقـــاف و٢ مشتركـــة بين الأهالى ووزارة الأوقاف وزاوية. يخص قرية كحك بحرى عـــدد ٢ جامع تابعة لوزارة الأوقاف.

١٤- علاقة القرية بالمجتمع الخارجي

تعتبر قرية كحك بحرى من أكبر القرى التابعة للمجلس المحلـــى، ومـــن اللافت للانتباه أن قرية كحك بحرى - مثل غيرها من قرى الريف المصـــرى -

بزيادة معدل النمو السكانى، الذى لا يتوازى مع حجم الحيازة الزراعية - المزروعة فعلا - نظرا لما تعانيه هذه القرية بحكم موقعها باعتبارها من قرى النهايات، وما يترتب على ذلك من مشاكل مرتبطة بنقص مياه الرى اللازمة للزراعة. وقد أدى ذلك إلى جعل حوالى ٥٠% من الحيازات الزراعية فى حالة بوار يتم بواسطة أصحابها من أجل توفير المياه اللازمة لزراعة النصف الآخر. كما أن موقع القرية المتاخم لبحيرة قارون أدى إلى تبوير مساحات كبيرة من الأراضى الزراعية بسبب تأثير ملوحة مياه البحيرة تبلغ فى قرية كحك بحرى ٨٨٠ فدانا من الأراضى الزراعية عالية الجودة.

وبناء على ما تقدم أصبح هناك نوع من الاختلال فى ارتفاع معدل النمو السكانى مع نقص الحيازة المزروعة فى القرية، مما دفع معظم شباب القرية وأطفالها إلى العمل بنشاط الصيد والأنشطة المكملة له (ترميم المراكب، الشباك، التسويق) عندما كان النشاط رائجا. ولكن بحيرة قارون تعرضت منذ خمس سنوات إلى زيادة معدل تلوث مياهها، مما أثر على إنتاجها من السمك، فنتج عن ذلك تدهور أو شلل لنشاط الصيد، وتحولت القرية منذ ذلك الحين إلى مستودع مكدس بالقوة العاطلة، فأصبح هناك فى قرية كحك بحرى وكل من قرى حبون / شكشوك ضرورة لتدخل الجهود المجتمعية لإحداث نوع من التنمية المحلية، سواء من جانب الحكومة أو جمعيات تنمية المجتمع أو من أصحاب رؤوس الأموال الخاصة، من أجل البحث عن أنشطة اقتصادية جديدة تتلائم مع مقومات هذه البيئة البشرية أو الطبيعية، من أجل استحداث أو العمل على إحياء الأنشطة التقليدية الأصيلة. فالجهود يجب أن تتضافر لكى تستوعب هذه الطاقات المعطلة من الشباب وأرباب الأسر، خصوصا بعد توقف السفر إلى الدول العربية.

أما عن علاقة قرية كحك بحرى بمركز أبشواى فهى قاصرة على أنها عاصمة المركز، وقد يمتد إلى مجال الصحة حيث تعالج الحالات الصحية الحرجة بمستشفى المركز.

وأما عن علاقة قرية كحك بحرى بمدينة الفيوم فهى قاصرة أيضا على أنها عاصمة المحافظة، وأحيانا تعالج الحالات الصحية الحرجة بالمستشفى المركزى، وكذلك فى مجال التعليم حيث يدرس بعض أبناء القرية ذات المستوى الاقتصادى المرتفع فى الجامعة بمدينة الفيوم.

نتائج الدراسة الميدانية

أشرنا فى بداية هـــذه الدراسة إلى أهمية تبنى اتجـــاه إحيـــاء الصناعـــات البيئيـــة الأصيلة، والعمل على تنميتها كمدخل لتحقيق الاســـتقرار الاقتصـــادى والاجتماعى، وتنمية المجتمعات المحلية المضارة من تلـــوث بحـــيرة قـــارون. فالصناعات البيئية كنشاط اقتصادى، وأحد الأوعية الاقتصادية الواسعة تعكـــس لنـــا شكلا من أشكال التفاعل الإيجابى بين مجموعة من العوامل التـــى تكمـــن داخل البيئات المحلية (خاصة القرى المضارة من تلوث بحيرة قارون)، هـــى: السكان - الخامات الطبيعية - الاحتياجات المجتمعية - أدوات الإنتاج المحليـــة. ومن هذا المدخل يمكننا أن نوفر فرص عمل ودخل اقتصادى لمعظـــم الأســـر المضارة. وعلى المستوى الأكثر شمولا فإننا نستطيع أن نحقق رؤيـــة واقعيـــة حول إمكانية إحداث نوع من التكامل الإنتاجى بين الكثير من هـــذه الوحـــدات المحلية بمحافظة الفيوم، كما يمكن من خلال دراسة إمكانية إسهام هذه الجـــهود الإنتاجية فى الدخل القومى.

ثامنا: نشاط الصيد وأثره على أسر المشتغلين به

كشفت نتائج الدراسة الاستطلاعية التى تمت بغرض حصر وتحديد القـــرى الأكثر تضررا بتلوث البحيرة، عما يلى:

إن كل من قرى: شكشوك وكحك بحرى التابعة لمركز أبشواى، وحبـــون التابعة لمركز سنورس، هى أكثر القرى تضررا. ويرجع ذلـــك إلـــى الطبيعـــة الإيكولوجية لهذه القرى، حيث تعتبر شديدة القرب من بحيرة قارون مما جعـــل هناك علاقة متلازمة بين الموقع وحيث أن نشاط الصيد والأنشـــطة المرتبطـــة بـــه. فهو النشاط الاقتصادى الوحيد الذى استوعب - عـــبر تـــاريخ القريـــة - الأعداد الكبيرة من العمالة العاطلة الناتجة من ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية فـــى هذه القرية. بالإضافة إلى ضيق الملكيات الزراعية، وندرة مياه الرى، وارتفـــاع نسبة غير الحائزين للأراضى الزراعية. وهذا يتفق مع أقوال أحد الإخبـــاريين بالقرية: (إحنا طلعنا ولقينا أبهاتنا بيعملوا فى الشغلانة دى).

إلا أن الصيد لم يكتب له أن يبقى على ازدهاره فى السنوات الأخيرة. فقـــد تزايدت نسبة الشكوى من أرباب الأسر الذين يعملون بنشاط الصيد فى القـــرى

الواقعة على ضفاف بحيرة قارون. ويرجع ذلك إلى تلوث مياه البحيرة، مما تسبب في قلة إنتاجها من الأسماك. وقد قامت جهات علمية وبحثية كثيرة – في الآونة الأخيرة – بتكثيف جهودها لبحث وتفسير ما طرأ على البحيرة من تلوث، فجاءت معظم النتائج تشير إلى تعرض مياه البحيرة إلى أنواع كثيرة من التلوث نذكر منها: التلوث الكيميائى (مبيدات الآفات)، والتلوث الناتج عن الصرف الصحى (الناشئ عن المعادن الثقيلة)، والتلوث نتيجة لنقل الزريعة.

وقد انعكست ظاهرة تلوث مياه بحيرة قارون على النشاط الاقتصادى والاجتماعى لمعظم الأسر فى هذه القرى. وكشفت الدراسة الميدانية عن تجمع وتفاعل مجموعة من العوامل الداخلية بقرية كحك بحرى (وبقية القرى) من حيث ضيق الملكيات الزراعية، وندرة المياه اللازمة للرى وتوقف نشاط الصيد. مما دفع أبناء القرية للبحث عن مسطحات مائية أخرى خارج محافظة الفيوم، للعمل بحرفة الصيد، فهاجر البعض إلى محافظات أسوان والبحر الأحمر والقناة. إلا أن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل نظرا لرفض هذه المحافظات استيعاب هذه العمالة التى اعتبرت زائدة عن العمالة التى لديها ممن يعملون بهذا النشاط. وقد وصل الأمر إلى أن معظم هذه المحافظات قامت بتحرير محاضر لترحيلهم إلى موطنهم الأصلى. ومن الملاحظ أثناء الدراسة الميدانية أن هناك اتجاها عاما يسود بين أسر الصيادين وأربابهم هو الإحساس بالإخفاق فى إيجاد فرصة عمل وعدم الإحساس بالاستقرار والأمان للمستقبل، الأمر الذى أدى إلى ظهور بعض الأمراض الاجتماعية كالتطرف الدينى.

وقد حاولت الباحثة التعرف على اتجاهات أرباب أسر الصيادين بخصوص الأنشطة والمهن التى يفضلون العمل بها بعد تدهور نشاط الصيد. فجاءت معظم إجاباتهم استجاباتهم تشير إلى معانى الرفض التام لتعلم أى مهنة، أو العمل فى غير مهنة الصيد. إذ يقول أحد الإخباريين "لا أعرف أعمل أى حاجة غير إنى أصيد"، ويضيف إخبارى آخر: "إحنا طلعنا لقينا الكل هنا بيشتغل بشغلانة الصيد، ولا حدش علمنا غيرها. لسة بعد العمر ده حنتعلم شغلانة جديدة".

وفى ضوء ما تقدم يصبح الاهتمام بقضية إحياء البيئة الأصلية مطلبا ملحا باعتباره أحد السبل البديلة التى يمكن أن تحقق نوعا من التوازن المجتمعى، وحيث يتم من خلالها استيعاب العمالة العاطلة. وهذا ما أكدته كثير من نتائج

خطط التنمية لكثير من الدول والشعوب التى سبقتنا على نفس الطريق. ولذا سعت هذه الدراسة بادى ذى بدء إلى حصر الصناعات البيئية الأصلية (داخل الأسرة) وفن التعريف الذى سقناه فى بداية هذه الدراسة. ويمكننا أن نحدد خصائص الصناعات البيئية فى هذه المنطقة كما يلى:

- هو كل ما ينتج ويعتمد على الخامات البيئية ويتم إنتاجها داخل الأسر.
- هو كل ما ينتج ويعتمد على الخامات البيئية ويتم إنتاجها خارج الأسر.
- هو كل ما ينتج ويعتمد على تكنولوجيا محلية.
- هو كل ما ينتج للاستهلاك الأسرى أو الإنتاج للسوق.

تاسعا: النشاط الاقتصادى وواقعه فى مجتمع الدراسة

يتمتع إقليم الفيوم بسمات مناخية وطبيعية وجغرافية، انعكست على تنوع النشاط الاقتصادى لسكانه. وجاءت نتائج دراستنا السابقة حول أطلس الصناعات تشير إلى انتشار أنماط من الصناعات البيئية فى محافظة الفيوم. وذلك نتيجة لما يتوفر فى هذا الإقليم من خامات طبيعية وقوى بشرية وأسواق لتصريف الإنتاج. كما نوهت الدراسة أيضا إلى وجود تباين فى درجة انتشار بعض الصناعات البيئية على مستوى كل من القطاع الريفى والقطاع الحضرى بالمحافظة. ويرجع ذلك إلى العديد من الاعتبارات هى:

- درجة توفر الخامات اللازمة لقيام نشاط صناعى طول العام.
- مدى توفر القوة البشرية اللازمة لهذا النشط الصناعى.
- درجة حاجة الأسرة لهذا النمط من الصناعة.
- مدى توفر الأسواق اللازمة لتصريف الإنتاج.

ونذكر أن من أهداف هذه الدراسة السعى للاستفادة بقدر الإمكان من الموارد البيئية والخامات الطبيعية لهذه المجتمعات المحلية المضارة من تلوث مياه البحيرة والعمل على تنميتها بقيام مشاريع وصناعات بيئية تتوافق مع قدرات واستعدادات وخبرات القوى البشرية لهذه المجتمعات. ولقد ظهر لنا أثناء الدراسة الميدانية تمتع المجتمعات المحلية الواقعة على ضفاف بحيرة قارون (كحك بحرى – شكشوك – حبون) بالمقومات اللازمة لقيام الصناعات البيئية وهى:

- توفر القوة البشرية.
- توفر الأراضى اللازمة لإقامة أى مشروع أو أى صناعة.
- توفر كثير من الخامات الطبيعية (نخيل - منتجات حيوانية).

وفي ضوء ما سبق نقترح بعض الأنشطة والصناعات البيئية التى تتوافق مع خصائص نشاط الصيد وطبيعة الصيادين وحياتهم، وهى على سبيل المثال وليس الحصر:

على النحو التالى: المزارع السمكية التعاونية

كشفت الدراسة الميدانية عن وجود خمسة مزارع سمكية أهلية فى قرية كحك بحرى ملك لعائلات (على عبدالسلام - عبدالتواب إبراهيم - سعيد عبدالحليم - محمود جوده - نظمى على).

ونظرا لما تحتاجه هذه المزارع من رأس مال، نقترح أن ينفذ هذا المشروع من خلال فكرة التعاونيات(*). وتهدف هذه الفكرة إلى زيادة قدرة صغار الصيادين على العمل والكسب والمشاركة الفعالة فى عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية لمجتمعه المحلى، وذلك من خلال انتشار جمعيات تعاونية برأس مال مكون من أسهم يشارك فيها المشتغلون بنشاط الصيد[٢٣]. ويقوم الصيادون بإدارة مشروع المزارع السمكية، بالمشاركة فى جميع مراحله بدءا من مرحلة التجهيز والإعداد، واختيار الأرض - المكان اللازم لتنفيذ المشروع (المساحات البور بجوار البحيرة)، تجهيز الأرض وإعدادها فى شكل أحواض بالعمق المناسب (تحتاج المزرعة السمكية إلى من ١-٣ فدان أو ١-٥ فدان بعمق من ١-٣ متر).

- تدبير الآلة الخاصة لرفع المياه من مصارف المياه العذبة.
- تجهيز وتدريب القوة البشرية اللازمة لتغيير مياه المزارع على فترات

(*) لقد قامت كثير من الدول مثل: نيجيريا - غانا - الهند - كندا، بتبني فكرة التعاونيات كمدخل لتنمية المجتمع المحلى، حيث تتولى هذه الجمعيات توفير رأس المال اللازم لقيام المشاريع التى تلبى احتياجات المجتمع المحلى. ومن جهة أخرى يتولى أعضاؤها المساهمون فى رأس المال القيادة والإدارة، إلى جانب توليهم مسئولية بيع الإنتاج إما بالتجزئة (فى متاجرة تعاونية) أو بالجملة.

تتراوح بين ٦-١٢ شهر.

- تجهيز وتدريب القوة البشرية اللازمة لإعداد الأعلاف اللازمة لتغذية الزريعة السمكية، وعادة ما يكون العلف مكون من (شعير معطن - قمح - حشيش أخضر).

المفرخ السمكى

لوحظ أثناء الدراسة الميدانية، وعلى وجه التحديد عند مقابلة العديد من القادة المحليين للقرى التى تجرى فيها الدراسة الميدانية، أن هناك فكرة تدور فى أذهان الكثيرين منهم، ولكنها مازالت فى مرحلة المناقشة والبحث والإعداد للتنفيذ، وهى إنشاء مشروع مفرخ سمكى يقام على بحيرة قارون. ويمثل هذا المشروع مشروعا مكملا لمشاريع المزارع السمكية التعاونية والذى يضمن لها النجاح والاستمرار، لأنه من خلاله يمكن تفادى السلبيات التى أسفرت عنها معظم الدراسات العملية الخاصة بأسباب تلوث بحيرة قارون.

وفى ضوء ذلك يجمع المسئولون والقادة المحليون لهذه القرى على ضرورة إنشاء هذا المشروع لما له من فوائد عديدة تتلخص فى:

أ- توفير كمية من الزريعة اللازمة لكل من المزارع السمكية والبحيرة، وبالتالى تقلل من كمية الفاقد الناتج عن نقلها من المفرخات فى بيئات أخرى.

ب- توفير تكاليف نقل الزريعة من أماكن إنتاجها بالمحافظات الساحلية.

ج- يسمح هذا المشروع بوجود فرص عمل لكثير من الأيدى العاملة من أرباب أسر الصيادين، نظرا لما يتطلبه هذا المشروع من مراحل هى: (مرحلة الحضانة للزريعة، مرحلة التربية، مرحلة التفريخ، مرحلة نمو السمك).

ومن الملاحظ أن جميع هذه المراحل تحتاج إلى تجهيز العلف اللازم للتغذية، مما يتطلب وجود مصنع للعلف. ومن خلال مقابلة بعض الصيادين الذين يعملون بالمزارع السمكية الأهلية، تعرفت على مكونات العلف وتبين إمكانية توفيرها.

٣- الصناعات التكميلية لمشروع المفرخ السمكى والمزارع السمكية:

سوف يترتب على قيام المشروعين السابقين واستمرارية إنتاجهما زيادة

الطاقة الإنتاجية من الأسماك، بحيث يمكن إقامة بعض الصناعات الأخرى والتى تيسر السبيل لتسويق الإنتاج، منها على سبيل المثال:

- صناعة تجفيف وتجميد الأسماك.
- صناعة علب الصفيح اللازمة لتعبئة الأسماك.
- صناعة الأعلاف من مخلفات الأسماك.
- ورش لصيانة وترميم المراكب والشباك[٢٤].

حيث كشفت نتائج دراسة أطلس الصناعات فى الفيوم عن تمركز صناعة المراكب فى مدينة سنورس. ومن هنا يمكن التوسع فى هذه الصناعة وكذلك ورش الصيانة فى ضوء توفر السوق، حيث يبلغ عدد المراكب على مستوى بحيرة قارون ٥٥٠ مركبا مرخصة للعمل بالبحيرة. ومن جهة أخرى توفر الخبرة العملية لهذه الصناعة على مقربة من القرى المضارة، ففى ضوء هذه الاعتبارات تصبح صناعة المراكب وورش الترميم من الصناعات البيئية الأكثر ملائمة لخصوصية القرى المضارة حاليا من جراء تلوث مياه البحيرة.

٤- أنشطة سياحية

لوحظ أثناء الدراسة الاستطلاعية أن كثيرا من أطفال قرية شكشوك يقومون بجمع القواقع والأحجار التى ترمى بها مياه البحيرة على رمال شواطئها، ثم يقوم الأطفال من سن ٥-١٥ سنة يجمعها وغسلها ثم تلوينها ولضمها فى تشكيلات مختلفة، وعلى شكل عقود أو ميداليات.

٥- تشجيع إنشاء ورش تعاونية لتصنيع المراكب السياحية.

٦- تشجيع قيام مطاعم سياحية تقدم بعض الوجبات الشعبية المميزة لمحافظة الفيوم (السمك بأنواعه - الحمام بالفريك).

٧- تشجيع افتتاح بعض المحلات السياحية لعرض بعض منتجات البيئة من أزياء تقليدية وشعبية خاصة بالذكور والإناث. وسيترتب على هذا المشروع زيادة فتح المشاغل اللازمة لتعليم الفتيات باختلاف أعمارهن للتدريب على أعمال الخياطة والتطريز. ومن خلال هذا المشروع كذلك يتم توجيه طاقة النساء نحو المشاركة فى تنمية دخل الأسر وتعلم حرفة يدوية يمكن من خلالها زيادة

دخل أسرتها.

٨- تشجيع المشاريع الاستثمارية لتربية الطيور بأنواعها: (الكتاكيت - البط - الحمام) وكذلك الأرانب. وذلك من خلال توجيه طاقة المرأة بقيامها ببعض الأعمال التى تتم داخل المنزل كمدخل لتنمية الدخل، وإيجاد مصدر دائم للدخل الأسرى.

٩- تشجيع صناعة الخزف

لوحظ أثناء الدراسة الاستطلاعية وجود مصنع للخزف اليدوى فى قرية تونس التى تعرف بقرية الفنانين، حيث تقوم واحدة من الفنانات التشكيليات - غير مصرية الجنسية - بتدريب الأيدى العاملة من أعمار مختلفة(٦-١٥سنة)، فلماذا لا تسعى الجهود المحلية المتمثلة فى جمعيات تنمية المجتمع نحو تشجيع مثل هذه الصناعة، التى تتوفر جميع مقومات قيامها ومنها:

- توفر الأيدى العاملة المدربة (الأبناء الذين تدربوا فى قرية الفنانين تحت إشراف إيفلين).
- توفر الطمى فى طريق مصر / الوادى على مقربة ١ كم من قرية الأبعدية قارون.
- يمكن تدبير رأس المال من خلال فكرة التعاونيات أى إنشاء جمعية تتولى الإدارة والتسويق، وتدبير رأس المال من خلال أسهم تضم المشتركين بها من أبناء القرى المضارة، بحيث يمكن أن يعرض هذا الإنتاج فى المحلات السياحية التى تنشأ، على أنها صناعات شعبية تمثل بيئة الفيوم.

١٠- ورش لصناعة السجاد اليدوى من جلد الماعز[٢٥]

نظرا لاهتمام معظم الأسر الريفية بتربية الماعز وتوافر الجلود، فيمكن الاستفادة من جلد الماعز فى قيام ورش لتصنيع السجاد من جلد الماعز. وهذه الصناعة لا تحتاج إلى تدريب طويل، ويستغرق تصنيع السجادة الواحدة حوالى نصف يوم.

١١- صناعات تقوم على المنتجات الزراعية

كما كان من بين الملاحظات اتجاه بعض القرى الواقعة على حزام بحيرة قارون - مثل قرية أيوب - إلى زراعة الزيتون فى الأراضى التى بورت

بفعل مياه البحيرة، وبسؤال إخبارى هذه القرية عن سبب زراعة هذا المحصول، أشاروا إلى نجاح زراعة محصول الزيتون فى الأراضى الملحية، وذلك منذ خمس سنوات. ويرجع ذلك النجاح لطبيعة محصول الزيتون من حيث قدرته على تحمل الملوحة العالية فى الأرض وقلة مياه الرى من جهة أخرى. فلماذا لا يشجع أهالى القرى المضارة على الاستفادة من مساحات الأراضى البور باستغلالها فى زراعة محصول الزيتون؟ ثم محاولة استغلال هذا المحصول فى قيام بعض الصناعات البيئية مثل: صناعة تخليل الزيتون، وصناعة استخراج زيت الزيتون.

١٢- صناعة مرتبطة بالنخيل

كما كانت زراعة النخيل تنتشر فى معظم القرى المضارة. يبلغ عدد النخيل فى مجلس محلى قرية كحك ما يقرب من ٢ مليون نخلة، فلماذا لا تستخدم منتجات أشجار النخيل فى صناعات تقوم على استخدام هذه خامات النخيل (بلح - جريد - ليف - دواسات - مكانس - صناعة خشب الكونتر)[٢٦] حيث أنه سبق وأن أشارت نتائج أطلس الصناعات البيئية إلى وجود كثير من الصناعات القائمة على منتجات النخيل مثل: الأقفاص - الحبال - السلاسل - القبعات.

ولا يقتصر تواجد الصناعات القائمة على النخيل على مناطق زراعة النخيل وحدها، بل إن هناك مناطق مثل (فيديمين) ومركز طامية تعتمد فى صناعاتها على شراء الجريد من القرى المحيطة بها. ويرجع ذلك إلى أن هناك قوة بشرية زائدة عن حاجة النشاط الزراعى فى بعض هذه المناطق، فقامت صناعة النخيل بصورها المختلفة، باستيعاب هذه العمالة الزائدة. ومن جهة أخرى يؤكد ذلك وجود مناطق أخرى فى إقليم الفيوم ترتفع فيها قوة الطلب على منتجات هذه الصناعة، وبالتحديد المناطق التى توجد بها المزارات السياحية. فلماذا لا تدعم مثل هذه الصناعات من خلال فكرة التعاونيات من أجل أن تساهم هذه الصناعة فى استيعاب العمالة الزائدة والمتعطلة من نشاط الصيد أيضا فى القرى المضارة.

١٣- صناعة مستلزمات البناء

كشفت الدراسة الميدانية عن حاجة كثير من مساكن القرى الواقعة على

ضفاف بحيرة قارون، إلى إعادة استبدال الخامات المستخدمة فى بناء مساكنهم من الطوب اللبن إلى استخدام الطوب الأحمر أو الطوب الأسمنتى، وذلك بسبب المخاطر والأضرار التى سببها قرب هذه القرى من بحيرة قارون. ومن جهة أخرى سد احتياجات السوق المحلية من هذا العنصر.

كما لوحظ أثناء الدراسة الميدانية وجود مصنع للطوب الأسمنتى المعروف فى المجتمع باسم الطوب "البلوك". وبسؤال أحد العاملين بالمصنع، عرفنا أنه ملك لأحد أبناء القرية. أما بخصوص طبيعة صناعة الطوب الأسمنتى من حيث الخامات المطلوبة – الأيدى العاملة – الأدوات المستخدمة، قال أحد الإخباريين بالقرية وهو يعمل بالمصنع: أن الخامات هى: الحصوة: يتم إحضارها من جبل صقارة. البدرة: يتم إحضارها من جبل صقارة. الرمل: يتم إحضاره من أبشمة. الأسمنت: يتم إحضاره من أبشواى.

وأما الأدوات المستخدمة هى: ماكينة الطوب – مولد كهرباء – غربال. عدد العمل: خمسة أفراد. يتولى اثنان من العمال عملية ضرب الحصوة بالبدرة مع إضافتهم. عامل يقوم بعملية هز الرمل. عامل يقوم بتشغيل الماكينة. عامل يقوم باستخدام القالب (الفورمة التى تشكل العجينة).

وفى ضوء ما سبق وما أشارت إليه نتائج دراستنا الاستطلاعية أطلس الصناعات البيئية على انتشار صناعة مستلزمات البناء فى كثير من المناطق الريفية فى إقليم الفيوم عامة. ويرجع ذلك إلى:

- توفر الخامات الطبيعية اللازمة، وهذا ما أكدته الدراسة الميدانية الحالية.

- عدم احتياج هذه الصناعة إلى خبرة أو مهارة بقدر ما تركز على المجهود الجسمى أو العضلى للفرد. وهذا العنصر متوفر فى معظم القوى البشرية الموجودة فى القرى المضارة.

- أما بالنسبة لرأس المال فيمكن أن يتوفر من خلال فكرة التعاونيات أو من خلال جمعيات تنمية المجتمع.

عاشرا: الأسرة الريفية كوحدة للإنتاج العائلى

أجمعت نتائج كثير من الدراسات على أصالة نظام الإنتاج العائلى أو

المنزلى Domestic System فى التاريخ الإنسانى بصفة عامة، والتاريخ المصرى بصفة خاصة، من حيث أن المنزل وما يتبعه من مناطق خالية بالقرب منه يعتبر مكانا للإنتاج الأسرى. ويمثل جميع أفراد الأسرة باختلاف مراحل العمر أعضاء فى قوة العمل الأساسى. وعلى المستوى الأكثر تحديدا، تؤكد نتائج إحدى الدراسات وجود علاقة تفاعل إيجابى بين كل من السكان والخامات الطبيعية والاحتياجات المجتمعية وأدوات الإنتاج المحلية وانتشار نمط الصناعات البيئية.

وقد جاءت الصناعات الغذائية لتحتل مكان الصدارة من حيث مكان وتركز تصنيعها داخل الأسرة الريفية وبصفة خاصة ما يقوم منها على الألبان مثل: تصنيع الجبن، والمش، والزبادى، والكشك. ويرجع ذلك إلى توفر الألبان لدى الأسر التى تعمل بالنشاط الزراعى اللازم لتصنيع الجبن على مدار العام. إلى جانب أنه هذه الصناعات تتم داخل الأسرة، إلا أنها تسد احتياجاتها الأساسية من جهة ويتم تسويق الفائض لزيادة دخل الأسرة.

كما يوجد نمط آخر من الصناعات الغذائية أقل انتشارا نسبيا من الصناعات السابقة، وهى ما يطلق عليه الصناعات الغذائية الموسمية مثل (صناعة تخليل الزيتون واللفت والمش والفلفل)[٢٧]. وسوف تقصر الدراسة الحالية تركيزها على الصناعات الغذائية التى تصنع داخل الأسر، وذلك من خلال وصف لبعض الصناعات الغذائية الأكثر شيوعا فى مجتمعات البحث مراعين فى ذلك التركيز على مراحل التصنيع، والأدوات المستخدمة ومستوى الإنتاج. أما بقية الصناعات الأخرى فهى فى حاجة إلى دراسة متعمقة.

أولا: صناعة الجبن

الأدوات المستخدمة: الشالية – القربة – تعليقة – أطباق الجريد.

الخطوات: تقوم الفلاحة بحلب اللبن ثم غليه أو تسخينه، ثم تركه يبرد ثم تقوم بوضعه فى القربة.

الأدوات المستخدمة:

أ- **الشالية:** عبارة عن إناء من الفخار مستدير الشكل يبلغ نصف قطره ١٠-٢٠سم بارتفاع ١٠-١٥سم حافته سميكة بالنسبة لبقية جسمه، تستخدم الشالية

لجمع اللبن عند حلب الحيوانات، وكثيرا ما يستعاض عن الشالية باستخدام إنـــاء من الألومنيوم عند حلب اللبن.

ب- **القربة:** هى الأداة التى تستخدم عادة لخض اللبن ولفصل الزبد من اللبــــن، والاسم المحلى فى قرية كحك بحرى (القربة)، وهى مصنوعة من جلد المـــاعز (السعى)، ويأخذ شكلها نفس شكل الماعز بعد قطع العنــــق والأرجـــل وســلخه (فصل الجلد عن اللحم).

ج- **التعليقة:** هى عبارة عن ثلاثة أعواد من جريد النخيـل يتـم تثبيتــها فــى الأرض، وتربط أطراف الأعواد الثلاثة العلوية بحبل بحيث تأخذ شكل الرقـــم ٨ ثم تعلق القربة فى جزء الحبل المتبقى من ربط الأعواد لتصير القربة معلقــة بين الأعواد الثلاثة.

- **طريقة الخض:** تجلس الفلاحة بمفردها أو تعاونها إحـــدى الفتيـــات، بحيـث تجلسان متقابلتين وبينهما القربة. وتقوم إحداهن بدفع القربة إلى الإمام وتصدهـــا الثانية بشدة حتى يتحرك اللبن داخل القربة (يترجرج). وتستمر هذه العملية لمدة من ربع ساعة إلى نسف ساعة. وعموما تختلف هذه المدة طبقا لحجـــم القربـــة وكمية اللبن التى بها وخبرة القائمات بعملية الخض. تستمر عملية الخض حتـــى يتغير الصوت اللبن المنبعث من قربة اللبن "يشخلل". وهذا دليل على تمام عملية فصل اللبن عن الزبد، وتستمر عملية الخض حتى تشعر السيدة بتغـير صــوت الشخللة نظرا لكبر حجم الزبد، ثم تتوقف عملية الخض. ثم تفتح الفوهة لتتـــأكد من تمام عملية فصل الزبد عن اللبن، وتستبعد الزبد من اللبـــن المتبقـــى الـــذى يسمى باللبن (الرايب).

يؤخذ اللبن الرايب ويسخن وتضاف إليه (المنفحة)، وهى مادة تشترى مـــن الجزار (لأنها جزء من معدة البهيمة المذبوحة) ويبلغ ثمنها من ٨-١٠ جنيهات، وعادة ما يضاف مقدار نصف ملعقة صغيرة إلى نصف جركن لبن وتترك مـــن ١٠-١٢ ساعة حتى يتجمد اللبن، ثم ترفع القطع المجمدة على أطباق من الجريد لكى تصفى المياه، ثم ترفع قطع الجبن من فوق أطباق الجريد، وتوضـــع فـــى إنـــاء ويرش عليها ملح حصى.

وتعتبر القربة من الأدوات المعمرة فى منزل السيدة الريفيـــة إذا أحســنت طريقة حفظها والعناية بها، وهى أن تقـــوم بوضـــع بعــض الملـــح بداخلـــها

وخارجهـــا، ثم تعلق لكى تتخلص من الماء، لأنه لو تركت القربة بدون تجفيـف ووضع الملح بها، فإن جلدها ينعم ثم يتشقق ولا تصلح للاستخدام مرة ثانية.

د- **أطباق الجريد:** هى عبارة عن أوعية صغيرة تشبه الأطبـــاق يوضـــع بـــها اللبـــن المتماسك نسبيا بقصد إضافة المنفحة إليه، وذلك لكى يتخلص اللبن مـــن الماء أو الشرش. وتصنع الأطباق من جريد النخيل بأن تجمع الأعواد بجـــوار بعضها بخيط رفيع بشكل يسمح بترشيح الماء وتخليص اللبن المتماســـك منـــه. وعادة ما يبقى اللبن المتماسك على الطبق مدة تتراوح بين نسف ســـاعة إلـــى ساعة حسب درجة تماسكه. بعد ذلك تقوم الفلاحة بتقطيعه قطعا متساوية.

ثانيا: صناعة المش

الخطوات:

تتقطع قطع الجبن فى ماء، وعادة ما تحدد كمية الماء طبقا لمقدار الجبـــن، ثم يضاف إليها كمية من الفلفل الأحمر الجاف (الشطة) وكمية من الملـــح، ثـــم يضاف كمية من اللبن. وتوضع فى إزاء (البكلة) أو فى برطمان، ويترك لمـــدة يوم أو يومين. ثم يضاف إليه قشر البرتقال ومقدار من الكمون الجاف ثم تغلـــق (البكلة) أو الإناء لمدة من ٢٠-٢٥ يوم. بعدها يفتح الإناء لملاحظة تغير لـــون اللبن وقطع الجبن من اللون الأبيض إلى اللون الأصفر.

الأدوات المستخدمة:

البكلة: إناء مصنوع من الفخار أسطوانى الشكل قاعدته أكثر اتساعا، لـــه رقبة متسعة تتراوح بين ١٥-٢٠سم، قطر انتفاخه من الوسط ٣٠سم وارتفاعـها عن أعلاه يقترب من ٦٠سم (حسب المقاس) وهناك مقاس أصغر - لـــه أذنـــان يلتقيان فى الرقبة لكى تحمل منهما.

ثالثا: الكشك

من الأطعمة القابلة للتخزين بالنسبة للريفيين بصفة عامة وللأســـرة التـــى تعمل بالنشاط الزراعى بصفة خاصة، نظرا لتوفر خامات القمح واللبن. ويصنع فى العادة خلال موسم الشتاء نظرا لتوفر اللبن الرايب المتبقى بعد فصل الزبـــد من اللبن.

الخطوات:

يصنع الكشك من القمح بغسله ثم تجفيفه ثم يغربل لتنقيته من أى شوائب. ثم يسلق فى إناء به ماء، يغلى على النار حتى تصبح حبات القمح مثل حبات البليلة ثم يترك حتى يجف. بعد ذلك تقوم النساء بجرشه (بالرحاية)، وتفصل الحبيبات الخشنة عن الناعمة، لأن الحبيبات الخشنة هى التى تستعمل فى عمل الكشك لأنها تجعله أكثر تماسكا.

يوضع القمح المجروش (الخشن) فى "ماجور" كبير ثم يسخن الماء ويوضع فيه كمية من الملح، يصب الماء المملح على القمح المجروش فى الماجور، ويوضع فى الشمس ليجف لمدة ٦ ساعات أى من الصباح حتى الظهر (الشمس حامية) لكى يتسرب الماء والملح ويصبح مثل العجينة. ويدك الخليط ويعجن باللبن الرايب حتى يصبح عجينة لينة التماسك، ثم يترك الخليط فى الماجور لمدة يوم بعد تغطيته بقطعة قماش حتى يتخمر. تقوم النساء بعد ذلك بتقطيعه قطعا صغيرة باليد، على شكل كرات صغيرة، ثم توضع الكرات على الحصر (القياس)، ويترك فى الشمس طول النهار، ثم يجمع فى جوال ويخزن.

الأدوات المستخدمة:

الغربال: هو عبارة عن إطار خشبى دائرى بقطر يتراوح بين ٤٠ و٦٠ سم، وارتفاعه من ٥-١٠ سم، يكسى من الداخل بسيور متقاطعة من الجلد على شكل مربعات صغيرة، يستخدم فى التخلص من الشوائب من محصول الذرة أو القمح (تراب، قش).

الماجور: إناء مصنوع من الفخار يأخذ الشكل المخروطى، تتسع فوهته ليصل قطرها من ٥٠-١٠٠ سم حسب حجم الماجور فهناك النوع الصغير وهناك النوع الكبير، يبلغ عمقه من ٣٠-٦٠ سم قاعدته دائرية يبلغ قطرها من ٣٠-٥٠ سم، يستخدم الماجور فى عملية العجن. تراعى النساء الريفيات الحفاظ عليه أطول فترة بأن تضعه على فوهته على الأرض بعد الاستخدام.

لوحظ أثناء الدراسة الميدانية أن هناك بعض الأسر ليس لديها ماجور، تستعيض عنه باستخدام الطست الألومنيوم فى عملية العجن. وعادة ما يشترى الماجور جاهزا من السوق ولا يصنع بالمنزل.

الرحاية: عبارة عن حجرين مستديرين متماثلين من نوع معين من الحجر الجرانيتى، يبلغ ارتفاع كل منهما حوالى من ١٠-١٢ سم، ويتراوح قطر كل منهما من ٣٠-٤٠ سم. ويلاحظ أن الحجر الأسفل ليس له فتحة (أصم) يتوسطه عمود صغير جدا من الخشب يسمى العصفورة. أما الحجر العلوى فتتوسطه فتحة بحجم عمود الخشب المثبت بالحجر السفلى، وهذه الفتحة هى التى توضع بها الحبوب لجرشها (أو لطحنها). يدار الحجر العلوى بواسطة يد خشبية مثبتة به، لتديرها فيحدث احتكاك بين الحجرين يؤدى إلى الجرش أو الطحن.

الحصير: يصنع الحصير من نبات السمار الذى ينمو تلقائيا على حواف الجسور والترع والمصارف. ويرجع استخدام هذا النبات فى صناعة الحصير إلى أيام قدماء المصريين. وتبدأ مراحل تصنيع الحصير بتقطيع نبات السمار، وتنظيف الأعواد استعدادا لتصنيعه. تتميز أعواد السمار بالطول كما يأخذ الشكل المثلث. تبدأ فى تقطيع العود الواحد إلى شرائح طويلة، ثم تفرد على الأرض ويترك ليجف، ثم يقوم بنسجها مع بعضها البعض. ويتم ذلك باستخدام النول اليدوى، حيث يضبط النول على السداة وفق الطول المطلوب للحصيرة، وكذلك للحمة وهو العرض المطلوب للحصيرة. ثم تبدأ عملية النسج باستخدام الخيوط الرفيعة والقوية. يتكون النول من قضيبين من الخشب مثبتان على الأرض بأوتاد خشبية، يثبت فى كل قضيب خشبى صف من المسامير تربط فيها الخيوط التى سيتم نسجها مع أعواد السمار المشرحة، يقوم الصانع بعمل تداخل الخيوط مع أعواد السمار باستخدام قطعة خشبية لتمرير الخيوط المستعرضة بين الطولين، ويقوم بإزاحة وتثبيت الأعواد بعد كل تمريرة - بواسطة عصا من جريد النخيل - حتى تشتد وتقوس الحصيرة. ثم يقوم الصانع بربط نهاية الخيوط (عقدها) عندما ينتهى من عمل الحصيرة وحسب الطول المطلوب. يقوم الصانع وأحيانا بعمل رسومات فيقوم بصباغة عدد من أعواد السمار تتداخل فى النسيج لتشكل بعض الرسومات فى الحصير.

يعرف الحصير فى مجتمع الفيوم باسم (القياس)، ويستخدم للنوم واستقبال الضيوف، ويستخدم الحصير "الفرد" بعض منتجات الصناعات الغذائية لتجف مثل (الكشك).

أهم التوصيات

توصى هذه الدراسة بما يلى:

- هناك حاجة إلى دراسة متعمقة على الصناعات البيئية الموجودة فـــى إقليـم الفيوم عامة والقطاع الريفى بصفة خاصة، من أجل الاستفادة منها فـــى تنميـــة المجتمعات المحلية.
- ضرورة تدخل الدولة بمؤسساتها المحلية لإنقاذ الصناعات البيئية وأحيائها.
- تشجيع وإحياء فكرة التعاونيات والعمل على تدريب أهـــالى القريـــة علـــى ممارستها باعتبارها واحدة من المداخل التى سبق ونفذت فى كثير مـــن الـــدول وحققت نجاحا فى التنمية المحلية.
- الإكثار من جمعيات تنمية المجتمع التى تأخذ على عاتقها تقديم يـــد العـــون للأهالى من قروض ومواد خام، إلى جانب العمل الدؤوب على دراسة مشـكلات هذه الصناعات والعمل على حلها.

* * *

المراجـــع

١- أحمد أبوزيد، التنمية عن طريق المجتمعات المستحدثة، مؤتمر علم الاجتماع والتنمية فـى مصر، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، مايو ١٩٧٣، ص ١٥.

٢- نجوى عبدالحميد، أطلس الصناعات البيئية، بحث المؤتمر العلمى الثانى لكليـــة الخدمـــة الاجتماعية بالفيوم، ١٩٨٩.

٣- نجوى عبدالحميد، أطلس الصناعات البيئية، نفس المرجع، ص ١٦.

٤- أحمد أبوزيد، مرجع سابق، ص ١٠.

5- Madan G. Rostow, Social Change and Problems of Development in India, Allied Dup;isher, India, 1971, PP. 15-18.

6- Pieris T., Studies in the Sociology of Development, Motterdam University Press, 1989, PP. 5-9.

7- Choda K.S., Social Development, Oxford U.P. New York, 1973.

٨- عليه حسين: التنمية نظريا وتطبيقيا، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الثانيـــة، ١٩٨٥، ص ٢٦٠.

9- U.N Economic and Social Council, Administrative Coordenation Committee, Twenteenth Report, 1966, P. 81.

10- Young, Kate: Media of Appropriation and the Sexual Division of Labour. "A Case Study From Oxaca, Mexicion: Annettekuhn and Ann Marie Walpe (edo) "Feminism and Materalism: Women and Modes of Production, London: Routeldge and Kegan Paul, 1971

11- Clavanis, Kathy. G.: Perspectives on non-wage labour: Aspects of non-capitalist Social Relation in Rural Egypt: (The Small Peasant Household on Egyptian Delta Village) In Woman Long (ed.) Family and Work in Society, London: Tavistock, 1984.

١٢- اعتماد علام: الأبعاد الاجتماعية الثقافية للتكنولوجيا الملاءمة فى الصناعـــات الريفيـــة، رؤية تحليلية، بحث مقدم للندوة العلمية الثانية حول القرية المصرية، التكنولوجيا الملائمـــة فى مجال الطاقة والصناعات البيئية، ٢١-٢٥/١٢/١٩٨٨.

١٣- نجوى عبدالحميد: مرجع سابق.

١٤- محافظة الفيوم: بيانات المجتمع المحلى بقرية كحك، مركز أبشواى.
١٥- محافظة الفيوم: بيانات المجتمع المحلى بقرية كحك، مركز أبشواى.
١٦- صلاح عبدالجابر: الأنماط الجغرافية للمستوطنات الريفية لمنخفض الفيوم، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الجغرافيا، جامعة القاهرة، ١٩٨٠.
١٧- محافظة الفيوم: مرجع سابق.
١٨-محافظة الفيوم: مرجع سابق.
١٩- علياء شكرى وآخرون: المرأة فى الريف والحضر: دراسة لحياتها فى العمل والأسرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨، ص ص ١٦-١٧.
٢٠- محافظة الفيوم: مرجع سابق.
٢١- محافظة الفيوم: مرجع سابق.
٢٢- محافظة الفيوم: مرجع سابق.
٢٣- مؤسسة الشرق الأدنى: سلسلة صوت ممارسى التنمية الريفية، المرأة والتنمية تبادل الخبرات حول أساليب صالحة للتطبيق.
٢٤- محافظة الفيوم: مرجع سابق.
٢٥- جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٣/١٢/٢٣، ص ١٣.
٢٦- جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٩٤/١/٢٠، ص ٥.
٢٧- نجوى عبدالحميد، مرجع سابق، ص ١٠.

إصدارات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية

كلية الآداب - جامعة القاهرة

*****

١- الببليوجرافيا الشارحة للترجمات العربية في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، إشراف أحمد زايد، ١٩٩٧.

٢- الملخصات السوسيولوجية العربية: من الأول وحتى السابع، إشراف أحمد زايد، ١٩٩٧.

٣- الملخصات السوسيولوجية العربية: من الثامن وحتى الحادى عشر، إشراف محمد الجوهرى فى عامى ١٩٩٩-٢٠٠٠.

٤- الإنتاج الفكرى العربى فى علم الفولكلور: قائمة ببليوجرافية، إعداد محمد الجوهرى وآخرون، ٢٠٠٠.

٥- الفولكلور العربى: بحوث ودراسات (المجلد الأول)، إشراف محمد الجوهرى، ٢٠٠٠.

٦- الفولكلور العربى: بحوث ودراسات (المجلد الثانى)، تحرير محمد الجوهرى، وإبراهيم عبد الحافظ، ومصطفى جاد، ٢٠٠١.

٧- استخدام الحاسب الآلى فى مجال العلوم الاجتماعية (استخدام برنامج SPSS من خلال Windows)، عبدالحميد عبداللطيف،٢٠٠٠.

٨- البناء السياسى فى إحدى قرى الصعيد، محمود جاد ، ٢٠٠٠.

٩- آثار القبلية على المزاج الغنائى والموسيقى لأهل الصعيد، تأليف محمود جاد، ٢٠٠١.

١٠- العنف فى الأسرة، تأديب مشروع أم انتهاك محظور، تأليف عدلى السمرى، ٢٠٠١.

١١- ملامح التغير في القصص الشعبي الغنائي ، تأليف إبراهيم عبدالحافظ، ٢٠٠١.

١٢- الصحة والبيئة: دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية مهداة إلى روح الأستاذ الدكتور نبيل صبحي، تأليف مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بالجامعات المصرية، ٢٠٠١ (ضمن مشروع توثيق الإنتاج العربي في علم الاجتماع).

١٣- الإنتاج الفكري العربي في علم الاجتماع : قائمة ببليوجرافية مشروحة (١٩٢٤-١٩٩٥)/ إشراف أحمد زايد ، ومحمد الجوهري ،٢٠٠١، (وهي طبعة منقحة ومزيدة من المجلدات السبعة الأولى من الملخصات السوسيولوجية العربية التي سبق أن أصدرها المركز ونفذت) .

١٤- الشباب ومستقبل مصر : الندوة السنوية السابعة لقسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٩-٣٠ أبريل ٢٠٠٠/ تحرير محمود الكردي، ٢٠٠١.

١٥- المجتمع الاستهلاكي ومستقبل التنمية في مصر : الندوة السنوية الثامنة لقسم الاجتماع، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ٢٢-٢٣ إبريل ٢٠٠١/ تحرير أحمد مجدي حجازي ، ٢٠٠١ .

١٦- الإدراك البيئي عند الطفل: دراسة مقارنة بين الريف والحضر، تأليف أحمد مصطفى العتيق، ٢٠٠١.

١٧- دراسات مصرية في علم الاجتماع: مهداة إلى روح الأستاذ الدكتور حسن الساعاتي، ٢٠٠٢.

١٨- الجماعات الهامشية: دراسة أنثروبولوجية لجماعات المتسولين بمدينة القاهرة، تأليف ابتسام علام ، تقديم: فاروق العادلي ، ٢٠٠٢ .

١٩- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعي، الكتاب الأول: الإطار النظري وقراءات تأسيسية، تأليف مجموعة من أساتذة الجامعات، ٢٠٠٢.

٢٠- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الثانى: التراث فى عالم متغير: قراءات تأسيسية، تأليف مجموعة من أساتذة الجامعات، ٢٠٠٢.

٢١- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الثالث: مقترحات ومحاولات بحثية، تأليف مجموعة من أساتذة الجامعات، ٢٠٠٢.

٢٢- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الرابع: عمال مصر بين ثقافة التصنيع والثقافة التقليدية: دراسة ميدانية بمجمع الألومنيوم، تأليف محمود عبدالرشيد بدران، أحمد محمد السيد عسكر، ٢٠٠٢.

٢٣- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الخامس: التيار الإسلامى بين التأييد والمعارضة: قراءة فى الصحافة المصرية، تأليف على ليلة، ٢٠٠٢.

٢٤- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب السادس: تأثير أنماط العمران على تشكيل بعض عناصر الثقافة الشعبية: دراسة ميدانية لسياقات اجتماعية متباينة بمصر، إشراف وتحرير محمود الكردى، ٢٠٠٢.

٢٥- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب السابع: الاحتفالات الشعبية الدينية: دراسة لديناميات التغير وقوى المحافظة والتجديد. تأليف منى الفرنوانى، ٢٠٠٢.

٢٦- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الثامن: الطب الشعبى: دراسة فى اتجاهات التغير الاجتماعى فى المجتمع المصرى، تأليف سعاد عثمان، ٢٠٠٢.

٢٧- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب التاسع: قوى المحافظة والتجديد فى بعض عناصر التراث المادى: دراسة حالة للأزياء الشعبية المصرية. تأليف فاتن أحمد على، ٢٠٠٢.

٢٨- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعي، الكتاب العاشر: ديناميات تغير التراث الشعبي في المجتمع المصري: دراسة لعادات الطعام وآداب المائدة. إعداد نجوى عبدالمنعم قاسم، إشراف علياء شكري.

٢٩- علم الاجتماع ودراسات المرأة: تحليل استطلاعي، تأليف محمود عبدالرشيد بدران، ٢٠٠٢.

٣٠- المرأة وقضايا المجتمع، تأليف مجموعة من أساتذة الجامعات، ٢٠٠٢.

٣١- بحوث في الأنثروبولوجيا العربية، مهداة إلى الأستاذ الدكتور أحمد أبوزيد، تحرير/ ناهد صالح، ٢٠٠٢.

٣٢- دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، مهداة إلى روح الأستاذ الدكتور أحمد الخشاب، ٢٠٠٢.

٣٣- القيم كما تعكسها الصحافة المحلية: تحليل مضمون صفحة (المحليات) بجريدة الأهرام، تأليف فاطمة القليني، ٢٠٠٢.

٣٤- علم الاجتماع والرعاية الاجتماعية، دراسات مهداة إلى روح الأستاذ الدكتور عبدالمنعم شوقي، تحرير/ عبدالهادي الجوهري، ٢٠٠٢.

٣٥- العدالة بين الشريعة والواقع في مصر في العصر العثماني، إشراف رؤوف عباس، تحرير/ ناصر إبراهيم، عماد هلال، ٢٠٠٢.

٣٦- علم السكان، تأليف محمد محي الدين، القاهرة، ٢٠٠٢.

٣٧- أنتوني جيدنز: مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، القاهرة، ٢٠٠٢.

٣٨-دراسات في علم الاجتماع، مهداة إلى روح الأستاذ الدكتور مصطفى الخشاب، تحرير/ أحمد زايد، القاهرة، ٢٠٠٣.

٣٩- رشدي صالح والفولكلور المصري. دراسة لأعماله وفصول من تأليفه، محمد الجوهري، القاهرة، ٢٠٠٣.

٤٠- الإنتاج العربى فى علم الاجتماع، قائمة ببليوجرافية مشروحة (المجلد الثانى: ١٩٩٦-٢٠٠٠)، إشراف محمد الجوهرى وأحمد زايد، القاهرة، ٢٠٠٣.

٤١- الملخصات السوسيولوجية العربية، المجلد الثانى عشر، إشراف محمد الجوهرى وأحمد زايد، القاهرة، ٢٠٠٣.

٤٢- التقاء الحضارات فى عالم متغير، حوار أم صراع، تحرير/ عبادة كحيلة، القاهرة، ٢٠٠٣.

٤٣- الثقافة الثأرية والثقافة المسالمة: تأصيل نظرى ودراسة ميدانية للثقافة الفرعية ومحددات السلوك الإجرامى، تأليف محمود عبدالرشيد بدران، أحمد محمد السيد عسكر، ٢٠٠٣.

٤٤- قراءات معاصرة فى نظرية علم الاجتماع، ترجمة مصطفى خلف عبدالجواد، مراجعة وتقديم محمد الجوهرى، القاهرة، ٢٠٠٢.

٤٥- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الحادى عشر: التراث والحداثة فى منظومة القيم المرتبطة بالعمل الأهلى عند قادة المجتمع المدنى، تأليف خالد عبدالفتاح، ٢٠٠٣.

٤٦- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الثانى عشر: التسامح الاجتماعى بين التراث والتغير، تأليف أشرف عبدالوهاب، ٢٠٠٣.

٤٧- تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعى، الكتاب الثالث عشر: قضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع: دراسة للثبات والتغير الاجتماعى والثقافى، تأليف علياء شكرى، ٢٠٠٣.

٤٨- دراسات بيئية فى المجتمع المصرى، تأليف نجوى عبدالحميد سعدالله، ٢٠٠٢.

رقم الإيداع	٢٠٠٢/٢٠٩٦١
الترقيم الدولى	I.S.B.N. 977-223-732-6

مطبعة العمرانية للأوفست

الجيزة ت : ٧٧٩٧٥٥٠